جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

جهود كل من داود عبده وميشال زكريا في المدرسة التوليدية العربية

إعداد الطالب
حمزة أحمد الخلايفة

إشراف
الأستاذ الدكتور عبدالقادر مرعي الخليل

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة
الدكتوراه في النحو/ قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2013

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية لا تُعبر
بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة

MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب حمزة أحمد الخلايفة الموسومة بـــ:

جهود كل من داود عبده وميشال زكريا في المدرسة التوليدية العربية

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في **اللغة العربية**.

القسم: اللغة العربية.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. عبدالقادر مرعي الخليل		2013/4/28	مشرفاً ورئيسا
د. سيف الدين طه الفقراء		2013/4/28	عضواً
د. عادل سلمان البقاعين		2013/4/28	عضواً
د. عمر محمد أبو نواس		2013/4/28	عضواً

عميد الدراسات العليا
أ.د. عبدالفتاح خليفات

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته -- الكرك -- الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهداء

إلى الذين منحوني الثقة بالنفس، و حضّوني إلى المضي قـدماً فـي طلـب العلـم و المعرفة.

إلى والدي حفظه الله، و والدتي أدامها الله، و رعاها.

إلى إخوتي و أخواتي.

إلى التي لم تتوان عن مد يد العون و المساعدة الكاتبة و الشاعرة أفنان العنتري.

إلى طلبة العلم و المعرفة، و إلى كل من نذر نفسه لخدمة اللغة العربيـة، و الحفـاظ عليها.

أهدي هذه الرسالة

حمزة الخلايفة

الشُّكر والتَّقدير

﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾
صدق الله العظيم (النمل 40)

الشكر لله أولاً و أخيراً إذ وفقني إلى هذا العمل راجياً منه – تبارك و تعالى – أن يحقق لي الفائدة المرجوة منه، و الغاية المنشودة، و من ثم إلى من تعهدني بالتعليم و التوجيه، فكان مثلي الأعلى والقدوة المثلى والمنهل الـذي لا ينضـب مـن العلـم والمعرفة إلى معلمي وأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور:
عبد القادر مرعي الخليل

أتقدم له بجزيل الشكر والعرفان والتقدير سائلاً الله – عز وجل – أن يحفظـه، و يبقيه ذخراً لطلبة العلم و رواد المعرفة و عوناً دائماً للدارسين.

كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان والتقدير لكل من وقف إلى جانبي وساعدني خلال فترة الدراسة وأخص بالذكر:

والدي و والدتي. وإخوتي الذين لم يتوانوا عن تقديم يد العون والمساعدة لـي في كل مراحل حياتي. وأساتذتي ومعلمي الذين ما بخلوا علي بمعلومـة أو بنصـح وإرشاد فطوبى لهم. الأستاذ والمربي الفاضل سـمير العنتـري؛ لتكرمـه بترجمـة الملخص، وبعض النصوص التي استفادت منها الدراسة. الكاتبة والأديبة والأسـتاذة أفنان العنتري؛ لما لها من دور في إذكاء روح العمل وإبداء الرأي في بعض المسائل.

كما أتوجه بجزيل الشكر للأساتذة الفاضلين لجنة المناقشة: الَّذين بـاركوا عملـي هذا،وتفضلوا بمناقشة هذه الرسالة، وسيكون لملاحظاتهم وتوجيهاتهم عنايـة خاصـة تزدان بها رسالتي.

حمزة الخلايفة

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
الإهداء	أ
الشكر والتقدير	ب
فهرس المحتويات	ج
الرموز المستخدمة في الدراسة	و
الملخص باللغة العربية	ز
الملخص باللغة الإنجليزية	ط
المقدمة	1
توطئة	8
(التمهيد)	14
الفصل الأول: جهود داود عبده في النظرية التوليدية التحويلية (المستويين النظري والتركيبي)	76
1.1 داود عبده من الوصف إلى التفسير	76
2.1 جهود داود عبده في المستوى النظري	81
3.1 داود عبده واكتساب اللغة (لغة الطفل)	81
4.1 مراحل ما قبل الكلام واكتساب المفردات عند الطفل	88
5.1 اكتساب اللغة والمقدرة اللغوية	97
6.1 مراحل نمو الجملة عند الطفل	99
7.1 جهود داود عبده التركيبية في النظرية التوليدية التحويلية وانعكاسها على اللغة العربية	109
8.1 البنية العميقة للجمل الفعلية في اللغة العربية (قضية الرتبة)	113

الفصل الثاني: جهود ميشال زكريا في النظرية التوليدية التحويلية (المستويين النظري والتركيبي) 132
1.2 ميشال زكريا واللسانيات التوليدية التحويلية 132
2.2 في المنطلقات الفكرية والقضايا العامة في المنهج التوليدي التحويلي (المستوى النظري) 137
3.2 المستوى التركيبي (جهود ميشال زكريا) 158
1.3.2 الجملة أساس التحليل الألسني وقضية الرتبة 161
2.3.2 مؤلفات الجملة 175
الفصل الثالث: جهود ميشال زكريا في التراث اللغوي والعربي (سيبويه وابن خلدون) 198
1.3 مقدمة 198
2.3 في مفهوم الجملة عند النحاة العرب 203
3.3 في مفهوم الجملة عند اللغويين المعاصرين 206
4.3 استقامة الكلام عند سيبويه ورؤية ميشال زكريا لها 209
1.4.3 في المصطلحات وأسباب الاختيار 211
2.4.3 معايير (مقاييس استقامة الكلام عند سيبويه) 217
5.3 التقارب بين سيبويه والنظرية التوليدية التحويلية 218
6.3 جهود ميشال زكريا في الفكر اللغوي عند ابن خلدون وربطه بالألسنية التوليدية 220
1.6.3 في مفهوم اللغة عند ابن خلدون وجهود ميشال زكريا في ذلك 223
1.1.6.3 اللغة ما بين ابن خلدون وتشومسكي 227
2.6.3 الملكة اللسانية/ مدخل 230
1.2.6.3 الملكة اللسانية/ لغوياً 232

2.2.6.3 الملكة اللسانية/ اصطلاحاً 233
3.2.6.3 الملكة اللسانية عند ابن خلدون وجهود ميشال زكريا في ذلك 236
4.2.6.3 مفهوم الملكة اللسانية 237
7.3 قضايا تتصل بالملكة اللسانية 242
1.7.3 الملكة اللسانية غير صناعة العربية وغير قواعدها 242
2.7.3 أحوال الملكة اللسانية 244
3.7.3 الحدس اللغوي 246
4.7.3 اكتساب اللغة والحصول عليها 249
8.3 الملكة اللسانية عند ابن خلدون وأبعادها في النظرية التوليدية التحويلية 254
9.3 أوجه التشابه و الاختلاف بين داود عبده و ميشال زكريا 257
الخاتمة 259
المصطلحات الواردة في البحث 264
المراجع 281

الرموز المستخدمة في البحث

التسلسل	الرمز	دلالة الرمز
1	ف	فعل
2	فا	فاعل
3	مف	مفعول
4	ض	ضمير
5	م	مبتدأ
6	خ	خبر
7	تر/اس	تركيب اسمي
8	تر/فع	تركيب فعلي
9	⟵	يؤدي/تتحول إلى
10	س	سمة
11	ع	معجم
12	س ع	سمة معجمية
13	ج	جملة
14	ر ك س	ركن اسمي
15	ر ك ف	ركن فعلي
16	ر ك ح	ركن حرفي
17	#	حد الجملة البداية والنهاية
18	D.S	بنية عميقة
19	S.S	بنية سطحية
20	ال	أداة التعريف
21	+ ض	إضافة ضمير
22	– ض	بدون إضافة ضمير

الملخص

جهود كل من داود عبده وميشال زكريا في المدرسة التوليدية العربية

حمزة أحمد محمد الخلايفة

جامعة مؤتة، 2013

تناولت هذه الدراسة جهود كل من داود عبده و ميشال زكريا في المدرسة التوليدية التحويلية من خلال التتبع الدقيق لمؤلفاتهم، وأبحاثهم، وأعمالهم، اللسانية في هذا الجانب، فجاءت هذه الدراسة في تمهيد، وثلاثة فصول:

أما التمهيد، فقد تمّ الحديث فيه عن النظرية التوليدية التحويلية، وما يتصل بها من منطلقات وأسس فكرية قامت عليها إلى جانب مناقشة أبرز مفاهيمها ومصطلحاتها وبيان قواعدها التوليدية منها والتحويلية، والكشف عن مكونات هذه القواعد، وقد خصصت في هذا التمهيد جانباً للحديث عن مراحل تطور هذه النظرية ومدى حضورها في الفكر اللساني العربي المعاصر.

أما الفصل الأول فقد تناولت فيه جهود داود عبده في النظرية التوليدية التحويلية، و انقسم هذا الفصل الى مستويين أساسين هما: المستوى النظري للنظرية التوليدية التحويلية في أعمال داود عبده الذي تمثل في الدعوة الصريحة عنده في الانتقال بالدراسات اللسانية من الوصف إلى التفسير والتحليل إلى جانب دراسة مسألة الاكتساب اللغوي عند الطفل، أما الجانب الثاني فتمثل في المستوى التركيبي، وهو الجانب التطبيقي للنظرية التوليدية التحويلية على الجملة العربية، وقد احتلت مسألة ترتيب العناصر اللغوية في البنية العميقة للجملة العربية الحيّز الأعظم في دراسة عبده التركيبية.

أما الفصل الثاني، فقد جاء لدراسة جهود ميشال زكريا في النظرية التوليدية التحويلية، وجاءت المعالجة فيه على مستويين أساسين هما: الجانب النظري لنظرية

التوليد والتحويل، وهو الجانب الذي برع فيه زكريا، فكان من السّباقين في دارسة الأطر النظرية لها من مثل: (أوليات النظرية ومبادئها، اللغة والعقل، الاكتساب اللغوي... الخ) أما المستوى الثاني فتناول المستوى التركيبي الذي عالج فيه زكريا قضايا أساسية طالت الجملة العربية في ضوء النظرية الألسنية الجديدة، وهذه القضايا هي: (الجملة أساس التحليل الألسني، ترتيب العناصر اللغوية للبنية العميقة للجملة العربية، مؤلّفات الجملة، النعت والاشتقاق).

أما الفصل الثالث والأخير، فقد جاء على جهود ميشال زكريا في إعادة قراءة التراث اللغوي العربي، ودراسته في ضوء الألسنية التوليدية التحويلية وقد خصّ زكريا اثنين من أفذاذ العربية في هذا الشأن وهما: سيبويه، وابن خلدون.

ثم انتهت الدراسة بخاتمة سُجّل فيها نتائج البحث التي توصلت إليها منها نتائج تتعلق بنظرية التوليد والتحويل، ونتائج أخرى ترتبط بموضوع الدراسة أي بجهود عبده وزكريا في المدرسة التوليدية العربية.

Abstract

The efforts of Dawoud Abduoh and Michelle Zakaria in Arabic evolutionary School

Hamza Ahmad Mohammad Khalaifeh

Mutah University, 2013

This study deals with the efforts of Dr. Dawoud Abdoh and Dr. Michelle Zakaria in evolutionary school by accurate follow-up to their linguistic works. This study is a presented in a prelude and three chapters.

In the prelude the discussion is about the evolutionary theory including its related basic launching points so as to debate its eminent concepts and idioms and to find out the components of these rules. Also, in this prelude there is a talk-over about the development of this theory and its important influence on the contemporary Arabic linguistic conception.

In chapter 1: the concentration is on the efforts and the works performed by Dr. Dawoud Abdoh concerning the evolutionary theory. Here, the discussion takes two levels:

1- Theoretical level which invites frankly to move from description to explanation and analysis besides studying the acquired language in childhood stage.
2- Syntacatical level which is considered as the applied side of evolutionary theory. Abduoh"s study focuses mostly on this level.

Chapter 2: Dr. Michelle is considered as a pioneer in his efforts of studying the frames of evolutionary theory in the first rules, language and intellect, acquirement, etc.

Regarding the syntactical level Michelle"s efforts handle the essential matters in Arabic sentence such as linguistic analysis, arranging the elements or the parts of a complex Arabic sentence structure, adjectives and derivations.

Chapter 3: Michelle"s efforts re-read and study the linguistic legacy of Arabic based on the evolutionary theory. Michelle Zakaria in his study focuses on the two great figures in Arabic language history: Sibawayh and Ibn-Khaldun.

As a conclusion the study ends by recording the results of evolutionary language theory and other results related to Abdoh"s and Michelle"s efforts in the evolutionary theory school of Arabic language.

المقدمة:

الحمد لله عظيم الشأن ذي المنة والإحسان، والصلاة والسلام على أشرف من نطق بالضاد، فنطق بلسان عربي مبين خاتم الأنبياء والمرسلين محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن اقتدى أثره إلى يوم الدين وبعد:

فلطالما أخذنا عن أساتذتنا وشيوخنا عبارتهم المشهورة التي مفادها بأن اللغة العربية لغة حيّة، ليس هذا وحسب، بل هي لغة متجددة ومتطورة باختلاف الزمان أو المكان، فاللغة العربية تواكب التطور والتغيرات التي قد تطالها بمرور الزمن وبتنوع المناهج اللسانية التي تتصدى لها، ولا يخفى على أحد منا ما حظيت به لغتنا العربية، ومنذ البدايات الأولى لها من جهود دفعت مسيرتها إلى ذروتها، فقد بذل الرعيل الأول من نحاة العرب وتلاميذهم جهداً مميزاً في جمع اللغة، وتفسير تراكيبها، وبيان أحوالها؛ مما خلّف لنا إرثاً لغوياً بارزاً على الرغم من قلة ما توافر لهم من طرائق ومناهج وأساليب بحثية إذ يبقى هذا التراث اللغوي الركيزة وحجر الزاوية في الدراسات اللسانية.

ومع مجيء العصر الحديث أخذت المناهج اللسانية الغربية تطل برأسها علينا، و أخذ شأنها يتعاظم شيئاً فشيئاً بين اللسانيين؛ انطلاقاً من أن هذه المناهج قادرة على حل وتجاوز المشكلات التي تطال ظواهر اللغة وأسرارها، فقد خطت هذه المناهج أبجديتها الأولى في الفكر اللساني الحديث على لغاتها التي اشتغل بها اللسانيون الغربيون، وقدَّموا فيها خلاصة فكرهم ونتاجهم اللساني الجديد، فظهرت اللسانيات الوصفية البنيوية، واللسانيات التوليدية التحويلية، واللسانيات التوزيعية، واللسانيات النفسية، وغيرها من المناهج التي جعلت من اللغة ميداناً رحباً للدراسة والبحث.

لقد شكل مجيء اللسانيات الحديثة بمناهجها المتنوعة ثورة معرفية عمّ تأثيرها أرجاء العالم، وبوصفه جزءاً من العالم –أعني العالم العربي– كان لزاماً عليه أن يتأثر بموجة المد اللساني هذا، فقد انفتحت الثقافة العربية اللسانية على اللسانيات الغربية منذ نصف قرن أو أزيد، وأخذ اللسانيون بالاشتغال بالأبجديات الأولى لهذه

المناهج، إما بالترجمة أو الإفادة منها في دراسة ظواهر اللغة العربية، أو بإخضاعها وتطويعها على قواعد اللغة، وقد ترتَّب على هذا الأمر أنْ حاول بعض اللسانيين العرب اقتراح نظريات جديدة تعالج اللغة وآلية البحث فيها، ومنهم من حاول أن يربط التراث اللغوي العربي بالألسنية الحديثة محاولةً منهم في فهم هذا التراث، والوقوف عند أسراره، ومنهم من حاول أن يعيد الجهود اللسانية العربية المعاصرة إلى جذور تتصل بالتراث اللغوي العربي، وبجهود النحاة العرب الأوائل من أمثال: سيبويه، وابن جني، وابن خلدون وغيرهم، وفي سياق غير منفصل برز فريقٌ من اللسانيين العرب المعاصرين رفض جملةً وتفصيلاً تمثُّلَ أفكار المناهج اللسانية المعاصرة، ودعا إلى الفصل المنهجي بين التراث اللغوي الذي خلّفه الأجداد واللسانيات المعاصرة والاكتفاء بما جاء به نحاتنا العرب من أفكار وآراء لغوية تزخر بها كتب النحو واللغة، و على الرغم من هذا التباين الواضح في التعاطي مع المناهج اللسانية الحديثة في عالمنا العربي إلا أننا نستطيع القول إنَّ البحث اللساني العربي شكّل ويشكل نشاطاً واتجاهاً بارزاً في الدراسات اللغوية.

لقد حظيت لغتنا العربية بنصيب كبير من عناية اللسانيين العرب وغير العرب فعملوا على إبراز ما للغة العربية من جمال وحضور متميزين في حقل الدراسات الألسنية، وهم إلى جانب ذلك بحثوا في أسرارها، وكشفوا النقاب عن كثير من خباياها، وحاولوا جاهدين أن يقدموا الصورة المشرقة للغتنا العربية لأبنائها ولغير أبنائها.

لقد كانت اللسانيات وما زالت موضوعاً يستهويني ومنذ السنوات الجامعية الأولى، فقد شكَّلت لي منطلقاً في البحث في أسرارها ومبادئها ومصطلحاتها اللغوية، وكان للنظرية التوليدية التحويلية التي شكَّل ظهورها في حقل الدراسات اللسانية ثورةً معرفيةً، وتحولاً من اللسانيات الوصفية البنيوية إلى التفسير والتحليل اعتماداً على القدرات الإدراكية (العقلية) التي يمتلكها الإنسان أثرٌ واضح في نفسي، وباعثٌ وراء اختياري لموضوع هذه الرسالة والموسومة بـ"جهود داود عبده وميشال زكريا في

المدرسة التوليدية التحويلية العربية" التي تناولتُ فيها جهود هذين اللسانيين في ميدان الدراسات التوليدية التحويلية، وانعكاسها على اللغة العربية، وقد جاء اختيار هذا الموضوع للأسباب الآتية:

1- لما لهذين اللسانيين من جهود بارزة في دراسة الفكر التوليدي التحويلي، وتطبيقه على اللغة العربية.

2- لما يتمتع به كل منهما من تنوع في الكتابات اللغوية التي اتسعت لتطال قضايا متعددة في اللسانيات المعاصرة، فجاءت هذه الدراسات على معظم حقول الدراسات اللسانية.

3- لما قدَّمه الرجلان من مؤلفات، وكتب للمكتبة العربية عملت وما زالت تعمل على خدمة القارئ العربي، وتعزيز مكانة اللغة العربية بين نظيراتها من اللغات الأخرى.

4- تنوع الآراء اللسانية عند هذين الرجلين، وخصوصاً فيما يتعلق باللسانيات التوليدية التحويلية، فنحن لا نكاد نقرأ بحثاً أو كتاباً في اللسانيات المعاصرة إلا ويكون لهما نصيب منها.

انطلاقاً من هذه الأسباب جاءت هذه الدراسة، و اتخذت من المنهج الوصفي منهجاً علمياً للدراسة إلى جانب التحليل وبعض الإسقاطات التاريخية التي تطلبها البحث، فعمدت إلى المنهج الوصفي؛ لاستقراء جميع الجهود اللسانية التي طالت النظرية التوليدية التحويلية عند كلا الباحثين، أما التحليل فقد ارتسم في مناقشة بعض القضايا والوصول إلى رأي سديدٍ فيها، بما يتوافق و منطق اللغة في الدراسة، أما الإسقاطات التاريخية، فقد ركنْتُ إليها لوضع الجهود اللسانية المعاصرة عند كلا الباحثين في سياقها التجديدي، وربطها بالفكر التراثي العربي.

وقد توزعت مادة البحث على تمهيد وثلاثة فصول على النحو الآتي:

أ- التمهيد:

لقد قدَّمْتُ لهذا التمهيد بتوطئةٍ أسست القاعدة التي انطلق منها البحث، وقدَّمتُ في هذه التوطئة إضاءةً سريعة حول اللسانيات المعاصرة وصولاً بها إلى الألسنية التوليدية التحويلية، وقد تناول التمهيد الموضوعات الآتية:

1- النحو التحويلي البداية والمنطلقات الفكرية، وتضمن هذا العنوان التعريف بالمدرسة التوليدية التحويلية وبرائدها نوام تشومسكي، كما تطرَّق إلى أصول هذه النظرية التي من خلالها انطلقت،الى جانب الحديث عن مبادئ وأسس النحو التوليدي التحويلي التي تمثلت في (الكفاية، والأداء اللغوي، والسلامة النحوية، والبنيتين العميقة والسطحية، والحدس اللغوي، والإبداعية)، ثم انتقل الحديث حول موضوع الدراسة ومنهجها في المدرسة التوليدية التحويلية، وأهداف الدراسة اللسانية فيها.

2- النحو التوليدي التحويلي المفاهيم والقواعد، وقد قدَّمتُ في هذا البند التأطير النظري والتطبيقي للمصطلحات، والمفاهيم التي جاء بها الفكر التوليدي التحويلي إلى جانب الحديث عن القواعد التوليدية والتحويلية ومكوناتها الأساسية.

3- أطوار النظرية التوليدية التحويلية، وفي هذا الجانب قمت برصد المراحل التي مرت بها هذه النظرية، وأبرز السمات التي طبعت كل مرحلة بدءاً من مرحلة البنى التركيبية، وانتهاءً بمرحلة النظرية المُصغَّرة، أو كما تعرف بالبرنامج الأدنوي أو الأدنى.

4- المدرسة التوليدية التحويلية في الفكر اللساني العربي المعاصر، وفي هذا الجانب سلّطت الضوء على مدى حضور هذه النظرية في أعمال اللسانيين العرب، وآلية تعاملهم معها على وجه الإيجاز لا التفصيل.

ب- الفصل الأول:

قدَّمتُ لهذا الفصل والموسوم بـ"جهود داود عبده في المدرسة التوليدية التحويلية" بعرض موجز عن حياته وأبرز مؤلفاته، وكيف أن هذا الرجل انتقل بالدراسات اللسانية من الوصف إلى التفسير، فكان من أوائل اللسانيين العرب الذين عملوا على إرساء مصطلح التفسير في الدراسات اللسانية العربية، ومن ثم قمتُ بمحاولة تتبع جهود داود عبده في المدرسة التوليدية العربية، وقد جاءت في مبحثين أساسيين هما:

1- جهود داود عبده في المستوى النظري للنظرية التوليدية التحويلية، و تناول هذا المبحث مسألة الاكتساب اللغوي عند الطفل بوصفها مسألة حظيت بعناية النظرية التوليدية التحويلية؛ لارتباطها بالعمليات العقلية عنده.

2- جهود داود عبده التركيبية في النظرية التوليدية التحويلية، وانعكاسها على اللغة العربية، وهو مبحث يكشف مدى حضور قضية الرتبة، أو كما تُعْرَف بـ " ترتيب العناصر اللغوية في البنية العميقة للجملة العربية في أعمال داود عبده" وقد جاء هذا المبحث محاولة؛ للكشف عن آراء عبده في هذه المسألة وتحليلها والتعليق عليها.

ج- الفصل الثاني:

لقد خُصِّص هذا الفصل للحديث عن "جهود ميشال زكريا في النظرية التوليدية التحويلية"، بدأت هذا الفصل بتقديم لميشال زكريا بالتعريف بحياته، وأبرز مؤلفاته اللسانية، ومنهجه في الدراسة اللسانية، و تناولت في هذا الفصل مبحثين أساسيين:

1- جهود ميشال زكريا في المنطلقات الفكرية والقضايا العامة للمنهج التوليدي التحويلي، وهو ما أطلقت عليه "المستوى النظري" وقد تضمن هذا المبحث مناقشة الأصول النظرية للنظرية التوليدية التحويلية، كما تناولها ميشال زكريا وهذه الأصول هي "الكفاية اللغوية، القواعد والحدس اللغوي، الإبداعية، اكتساب اللغة، اللغة والعقل، مظاهر العقلانية في اللغة"، والمبحث الأخير منها

تناول قضايا بعينها وهي: (الإبداعية، التمييز بين الكفاية اللغوية والأداء الكلامي، الفرضية الفطرية، القواعد الكلية).

2- جهود ميشال زكريا التركيبية في النظرية التوليدية التحويلية، وانعكاسها على اللغة العربية، وهو مبحث تطبيقي ارتسمت فيه الخطوط العريضة لأعمال ميشال زكريا في المستوى التركيبي، والذي ينعكس على الجملة العربية في ضوء الألسنية التوليدية التحويلية، و تناول هذا المبحث المسائل الآتية:

1- الجملة أساس التحليل الألسني وقضية الرتبة.

2- مؤلفات الجملة.

3- الجملة والنعت.

د- الفصل الثالث:

حاولت في هذا الفصل استكمال جهود ميشال زكريا في التراث اللغوي العربي، ومدى حضور معطيات النظرية التوليدية التحويلية في هذا التراث، و قدَّمتُ لهذا الفصل بمقدمةٍ موجزةٍ تعرض لجهود النحاة العرب القدامى وطرائقهم في التحليل والبحث، ومدى إدراكهم للأسس والأصول الفكرية التي قام عليها الدرس اللساني الحديث دون أن أتطرق للحديث عن أسبقية النحاة العرب في إدراك بعض مبادئ الألسنية الحديثة، ومن ثم تطرقت لرؤية ميشال زكريا في هذا الجانب، فالرجل حاول إعادة قراءة التراث اللغوي العربي في ضوء النظرية الألسنية الحديثة، و جاء هذا الفصل ليناقش المباحث الآتية:

1- مفهوم الجملة عند النحاة العرب وعند اللغويين المعاصرين.

2- استقامة الكلام عند سيبويه ورؤية ميشال زكريا لها.

3- جهود ميشال زكريا في الفكر اللغوي عند ابن خلدون، وربطة بالألسنية التوليدية.

أما الخاتمة فاشتملتْ على أبرز النتائج التي توصَّلتْ إليها الدراسة من خلال التتبع الدقيق لآراء وأفكار باحثينا في مؤلفاتهم التي طالها البحث والنقاش، وبعد أن

تمت الخاتمة أوردت مسرداً للمصطلحات اللسانية الواردة في الدراسة التي لها علاقة بالنظرية التوليدية التحويلية، وإلى جانب ذلك وضعت جدولاً يُبين أبرز الرموز التي استخدمت في الدراسة.

أما مصادر هذه الدراسة ومراجعها، توزعت ما بين قديم وحديث، وإن كانت الغالبية فيها للحديث منها، ومن ضمن المصادر العربية القديمة التي تمثل معيناً لا ينضب لكل باحث، كتب النحو و اللغة خاصة، كالكتاب لسيبويه،والخصائص لابن جني، وكتب علوم اللغة والمعجم إلى جانب كتاب مقدمة ابن خلدون، وأما الكتب الحديثة، فهي كثيرة ومنها نظرية تشومسكي اللغوية لجون ليونز، والمدارس اللغوية التطور والصراع لـ"جيفري سامبسون"، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي لـ "رمضان عبد التواب"، واللسانيات واللغة العربية لـ "عبد القادر الفاسي الفهري"، ومناهج البحث في اللغة لـ "تمام حسان"، وفي نحو اللغة وتراكيبها لـ "خليل عمايرة"، وكتاب آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن لـ "نعوم تشومسكي"، وغيرها الكثير من الكتب التي استعان بها البحث إلى جانب مؤلَّفات كلٍّ من داود عبده، وميشال زكريا.

وختام القول لا أدّعي أنني أحطت بكل صغيرة وكبيرة في هذه الرسالة، إذ إن الكمال لله وحده غير أني بذلت جهداً، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي ولي أجر المجتهد إن شاء الله.

توطئة

مع نهاية القرن التاسع عشر شعر اللسانييون أن التتبع التاريخي للظواهر اللسانية وإن كان ضرورياً لم يعد كافياً؛ لأن المنهج التاريخي والمقارن لم يعد قادراً على دراسة الظواهر اللسانية دراسة شمولية، ناهيك عن قصوره في الكشف عن كل أسرار الظواهر اللسانية، فكان لا بد من دراسة اللسانيات دراسة شاملة تتعمق في أسرارها وتكشف بنيتها ونظامها، فظهرت بذلك المدرسة البنيوية، وهي مدرسة من المدارس اللسانية الحديثة التي ظهرت في القرن العشرين التي اهتمت بدراسة بنية اللغة.

ارتبطت المدرسة البنيوية باللساني السويسري "دي سوسير"[1]. بعد دعوته إلى مفهوم البنية، والنظام في اللغة، فيعد من الأوائل الذين مهَّدوا الطريق لهذه المدرسة في محاضراته في جامعة جنيف، و في مؤلفاته اللسانية المشهورة وعلى رأسها كتابه "محاضرات في علم اللسان العام" الذي صدر بالفرنسية سنة 1916 [2].

أطلق على هذه المدرسة اسم البنيوية؛ لاهتمامها بالبنى اللغوية، فالبنيوية تعني أن لكل لغة بنية وبهذا المعنى فإن أغلب اللسانيين بنيويون؛ لأنهم يدرسون بنية اللغة، ويبحثون عن الانتظام والقوانين التي تحكمها، و انكب البنيويون على دراسة اللغة

---

[1] فردنيان دي سوسير: (1857-1913) ولد في جنيف عام 1857 من عائلة عريقة أعطت العديد من العلماء، نشر في سنة 1879 رسالة عنوانها(رسالة في التنظيم البدائي للمصوّتات في اللغات الهندو أوروبية) في سنة 1880 حصل على درجة الدكتوراه بعد أن تقدم بأطروحته التي تناولت اللغة السنسكريتية، وإليه يعود الفضل في إرساء الأسس الألسنية الحديثة على دعائم علمية ثابتة، توفي سنة 1913. لمزيد من المعلومات انظر: زكريا، ميشال الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ص 223.

[2] عبدالتواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1997، ص3.

وخاصة المنطوقة في الإطار الذي رسمه بلومفيلد في الثلاثينيات من القرن السابق دراسة وصفية، ومن هنا عرفوا بالوصفيين [1].

وفي الجانب الآخر من العالم – في أمريكا خاصة – بدأت الدراسات اللسانية بإحداث ثورة كبيرة داخل الدراسات التركيبية البنيوية، ويعد بلومفيلد[2] رائد الدراسة اللسانية الحديثة في أمريكا، وأفكاره ومبادئه واضحة جلية في كتابه "اللغة Language" وهو صاحب المنهج السلوكي في دراسة اللغة وهو إذْ يرى " أن هذا المنهج أو الطريق أولى بالاتباع من الاتجاه العقلي الذي يقوم على أفكار ومبادئ غريبة عن حقائق اللغة." [3].

منهج بلومفيلد جاء متشبعاً بمبادئ السلوكية، وهذا ما جعله يعلن صراحة التزامه بهذا المذهب في وصف الظواهر اللغوية، فذهب إلى أن اللسانيات شعبة من شعب علم السلوك متأثراً في ذلك بمؤسس المذهب السلوكي في علم النفس "واطسون Watson"[4]، و اعتبر بلومفيلد اللغة نتاجاً آلياً واستجابة كلامية لحافز سلوكي ظاهر، وعلى هذا الأساس أطلق بلومفيلد على منهجه في دراسة اللغة المنهج السلوكي أو

---

[1] مؤمن، أحمد، اللسانيات،النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002، ص 197.

[2] ليونرد بلومفيلد (1887–1949): تلقى علومه في جامعة هارفارد حيث انصرف إلى تخصص اللغة الألمانية ونال الدكتوراه في هذا المجال، علّم اللغة الألمانية ثم الألسنية العامة، أصدر سنة 1914 كتابه "مدخل إلى اللغة" إذ كوّن هذا الكتاب المرجع لدراسة اللغة آنذاك، شارك بلومفيلد في تأسيس جمعية الألسنية الأمريكية سنة 1924 (Linguistic society of America) وقد كان لاهتمامه بدراسة اللغات الأميركو– هندية أثرها في تحديد اتجاهه الألسني الحديث، لمزيد من المعلومات انظر: زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، ص231.

[3] رضوان، محمَّد مصطفى، نظرات في اللغة، دار الكتب الوطنية، ط1، 1976، ص 458.

[4] جون برودوس واطسون (1878–1958) سايكولوجي أمريكي ومؤسس المدرسة السلوكية في علم النفس، بدأ دراسته النفسية في جامعة شيكاغو وأخذ منها شهادة الدكتوراه سنة (1903)، وعين فيها مساعد لعلم النفس التجريبي إلى أن أصبح أستاذاً لعلم النفس التجريبي والمقارن ومديراً لمعمل علم النفس، في عام (1912) أعلن ميلاد المدرسة السلوكية التي انجذب لها كثير من علماء النفس الشباب بسبب كلام واطسن المؤثر وأسلوبه الحماسي. ولمزيد من المعلومات انظر: عاقل، فاخر، مدارس علم النفس، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1968، ص62.

المادي أو الآلي"، وهو منهج يقوم على تفسير السلوك البشري في حدود المثير والاستجابة على غرار ما تقوم به العلوم الفيزيائية والكيماوية في اعتمادها على تفسير الظواهر على تتابعات العلة والأثر"[1].

فالمدرسة السلوكية تهتم في دراستها للظواهر اللغوية بالحدث الكلامي، والتصرف السلوكي الذي ترتب عليه؛ لأن اللغة في نظر بلومفيلد سلسلة من الاستجابات الكلامية لحوافز ليست ميدان البحث اللغوي، فهو لا يهتم بالعمليات النفسية (الحافز الداخلي) السابقة على عملية الكلام وإصدار الإشارات الصوتية، بل بدراسة التصرف الكلامي، فيصف ما فيه من فونيمات ومورفيمات توزع في إطار جملي [2].

وفي ذات السياق أخذت الدراسات التركيبية التوزيعية تُطلُّ برأسها، وظهرت المحاولات الأولى مع ولادة فكرة التحويل التي تبناها اللغوي "هاريس"[3] الذي يعد من أهم أقطاب المدرسة التوزيعية، هذه المدرسة التي ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية في حوالي سنة 1930م، وهي مرتبطة ارتباطاً فكرياً بالاتجاهات الأوروبية المعاصرة في دراسة اللغة ولاسيما أفكار دي سوسير اللغوية، وهذا يسمح لنا بوسمها على أنها من البدائل للبنيوية [4].

---

[1] مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 195.

[2] عمايرة، خليل، في نحو اللغة وتراكيبها دراسات و آراء في ضوء علم اللغة المعاصر، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، جدة، ط1، 1984، ص 47.

[3] زليغ هاريس (1909–1992) تلقى علومه في جامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية، نال درجة الدكتوراه على أثر تقدمه بأطروحة تناولت قواعد اللغة الفنيقية، درّس في جامعة بنسلفانيا منذ سنة 1942 وزع اهتماماته الألسنية بين اللغات السامية وبين اللغات الأميركو – هندية، لمزيد من المعلومات انظر: زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، ص 258.

[4] فوك، كاترين؛ وقوفيك، بيارلي، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ترجمة منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1984، ص 38.

و ارتكز التوزيعيون على مبادئ دي سوسير اللسانية، وإن بـــدا لنـــا بعـــض الاختلافات الواضحة بينهم وبينه، ولعل هذا الاختلاف أراده التوزيعيـــون لأنفســـهم؛ ليتميزوا عن باقي المدارس اللسانية، فاللغة عند التوزيعيين نظـــام مخصـــوص لـــه عناصره التي تتحدد بعلاقتها داخل النظام أي بعلاقتها مع غيرها من العناصر اللغوية في التركيب الواحد، وهو ما يسميه دي سوسير بالعلاقات الركنية أو الســـياقية التـــي تجمع بين كلمات جملة واحدة حيث تستدعي كل منها الأخرى؛ لتشكل سياقاً لغويـــاً ذا دلالة، ولعلنا هنا نقف على أهم مبادئ النظرية التوزيعية، حيث إنها ترى أن عمليـــة التوزيع السليم الذي تأخذ فيه الكلمة قيمتها بالتالي علاقات منطقية ولغوية مع بعضها البعض هي التي تصل بنا في النهاية إلى المعنى السليم، ومن هنا جاءت تسمية هـــذه المدرسة [1].

فالمنهج التوزيعي يستند على اعتبار اللغة مجموع من الوحدات التمييزية التي تظهرها عملية التقطيع أو التقسيم، ويعتمد هذا المنهج طريقة شكلية في الوصول إلـــى المكونات المباشرة (المركبات الأساسية) والمركبات النهائية (الوحدات الصـــرفية أو المورفيمات)، فالغاية من التحليل التوزيعي هي إظهـــار البنـــاء المتـــدرج للعبـــارة اللغوية[2].

إن أبرز ما عاب المنهج التوزيعي قصوره فيما يتعلق بالجانب الدلالي إلا أنـــه جاء بتجارب مفيدة أدَّت إلى ولادة نظرية جديدة يمكن أن نقول عنها الأكثر اكتمـــالاً ونضوجاً على يد اللغوي المشهور تشومسكي الذي كان متـــأثرا بمبـــادئ اللســـانيات التوزيعية بوصفه تلميذاً لهاريس، فكانت كتاباته الأولية في ميدان اللسانيات محـــدودة إلى أن ظهر كتابه المعنون "بالبنى التركيبية" عام 1975 الذي جاء ثورة ضد المـــنهج الوصفي ومبادئه في الدراسة اللسانية التي سادت الدراســـات اللســـانية فـــي القـــرن الماضي.

---

[1] فوك، وقوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ص 39.

[2] قدورة، أحمد محمَّد، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008، ص 249-250.

ثم أخذت الدراسات والمفاهيم التوزيعية تتراجع شيئاً فشيئاً، لتحل المفاهيم الجديدة التي جاء بها تشومسكي بنظريته اللسانية معلناً بذلك ولادة منهج جديد لدراسة اللغة أطلق عليه اسم "النحو التوليدي التحويلي".

فقد أحدث تشومسكي ثورة في الدراسات اللسانية، يقول جيفري سامبسون في كتابه المدارس اللغوية التطور والصراع: "يقال دائماً بأن تشومسكي أحدث ثورة في علم اللغة"[1].

لقد قلب تشومسكي المفاهيم البنيوية التي سادت ردحاً من الزمن، بل صاغ مجموعة من القواعد التي تتبع ترتيباً معيناً وهو "دراسة اللغة على أنها نظرية فيزيائية آلية بيولوجية تعمل داخل الدماغ البشري"[2].

النحو التوليدي الذي جاء به تشومسكي هو نظرية لسانية قامت على انتقاد المنهجين البنيوي و التوزيعي في مقوماتها الوصفية المباشرة باعتبار أن هذا التصور لا يكشف إلا الجمل المنجزة بالفعل، ولا يمكنه أن يفسر عدداً كبيراً من المعطيات اللسانية مثل: الالتباس والأجزاء غير المتصلة ببعضها بعضاً، فوضع هذه النظرية؛ لتكون قادرة على تفسير ظواهر الإبداع لدى المتكلم وقدرته على إنشاء جمل لم يسبق أن وجدت أو فهمت على ذلك الوجه الجديد[3].

وعليه فقد كان تشومسكي من علماء اللغة المنتقدين للمدرسة البنيوية؛ لأنها أهملت الجانب العقلاني والإبداعي من اللغة، وبهذا تعد ثورة تشومسكي مفارقة حقيقية بين النزعة العقلانية التي ينادي بها في منهجه التوليدي، والنزعة التجريبية التي سادت المناهج اللسانية السابقة لمنهجه، فقد رفض تشومسكي الوصف القائم على

---

[1] سامبسون، جيفري، المدارس اللغوية التطور والصراع، ترجمة أحمد فهيم الكراعين، ط1، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1993، ص 134.

[2] بلعيد، صالح، نظرية النظم، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، 2002، ص79.

[3] البناني، محمَّد الصغير، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، الجزائر، دار الحكمة، (د.ط)، 2001، ص 76.

الملاحظة الشكلية للحدث اللغوي؛ "لأن التحليل اللغوي لا ينبغي أن يكون وصفاً لما كان قد قاله المتكلمون، وإنما شرح وتعليل وتحليل للعمليات الذهنية التي من خلالها يمكن للإنسان أن يتكلم بجمل جديدة"[1].

مما لا شك فيه أن مجيء النحو التوليدي أسهم في حل مجموعة من المشكلات التي طالت القضايا اللسانية التراثية التي تناولتها المناهج اللسانيّة السابقة، وساهم في تطوير المعرفة الإنسانية واللغوية، التي هي تعبير عن فكر الإنسان بوصفها ميزة بشرية تميزه عن باقي الكائنات الأخرى، التي تتطلب استعمالاً لأكبر قدر من الوسائل المتاحة فقد نجح تشومسكي في منهجه هذا بفتح آفاق جديدة في مجال الدراسة اللسانية الحديثة.

وفي هذا التمهيد سنعرض أهم منطلقات هذه النظرية، وأهم أفكارها، وأصولها في ميدان البحث اللساني.

---

[1] حساني، أحمد، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، د.ت، ص 119.

التمهيد

أولاً: النحو التوليدي البداية والمنطلقات الفكرية.

1. التعريف بالمدرسة التوليدية التحويلية.

قامت المدرسة التوليدية على نقد أتباع الفكر البنيوي التوزيعي في دراسة اللغة، حيث قرَّر منذ البدء الطبيعة المادية للحدث الكلامي، الذي فسَّر اللغة وظواهرها تفسيراً ميكانيكياً من خلال نظرية الأثر لـ "سكينر"[1]،ومدرسته السلوكية إذ إن هذا الفكر لم يعط أهمية للقدرة اللسانية التي تتحكم في استخدام ابن اللغة للغته بوصفه عارفاً بقواعدها معرفة ضمنية، وكيفية إنتاجه العقلي للبنية اللغوية وتفهمه لها وتصرفه بها بشكل إبداعي مع قدرته اللسانية على إصدار أحكام تقييميه لما يسمعه من كلام منجز.

فلقد أدت الرغبة في تبني منهج عقلي في دراسة اللغة، وفهم أسرارها والوقوف على أهم الأسس العقلانية التي تؤثر في الظواهر اللغوية إلى نشوء طريقة جديدة عند اللسانيين الأمريكيين أطلقوا عليها اسم "اللسانيات التوليدية التحويلية"، وهي مجموعة من القواعد والمبادئ والنظريات التي طورها اللساني الأمريكي "تشومسكي" رائد هذه المدرسة، وأول من تبنى المنهج العقلي في دراسة اللغة.

نشر تشومسكي كتابه "البنى النحوية" عام 1957، وهو كتابه الأول، وكان كتاباً ضئيل الحجم مقتضباً، وكانت أفكاره غير مقيدة بالتناول العلمي والفني لقضايا

---

[1] بورهوس فردريك سكينر (1904–1990) ولد في بنسلفانيا في الولايات المتحدة تخرج من كلية هاملتون بنيويورك عام (1926) اهتم بأعمال النفساني السلوكي جون واطسون والعالم النفساني الروسي إيفان بافلوف، نال درجة الدكتوراه في علم النفس من جامعة هارفرد عام (1931) درس تعلم الحيوان ووظائف الجهاز العصبي، انضم إلى هيئة التدريس في جامعة مينسوتا عام (1936) ثم في جامعة هارفرد عام (1948). لمزيد من المعلومات انظر: ملحم، إياد ، صناع الحضارة أعلام القرن العشرين، تعريب، دار الحسام للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1993، ص406.

هذا العلم إلى حد ما، ومع ذلك فقد كان الكتاب ثورة في الدراسة العلمية للغة ظل تشومسكي بعدها يتحدث بسطوة منقطعة النظير في كافة نواحي النظرية النحوية لسنوات طويلة[1].

جاءت أفكار تشومسكي في كتابه هذا ثورة على المدرسة السلوكية التي يمثلها بلومفيلد وسكينر، وهي مدرسة سادت أوساط اللسانيين ردحاً من الزمن في أوروبا وأمريكا، فقد طرح تشومسكي في كتابه مجموعة من الأفكار والمبادئ التي تعد من أصول هذه المدرسة ومن ركائزها الأولية.

اهتم تشومسكي بالجملة وعدَّها أهم وحدة لغوية، واهتم بالمعنى والدلالة، وأعطاه دوراً بارزاً في استنباط القواعد اللغوية، وفرق تشومسكي بين النحو (syntax) والقواعد (grammar) باعتبار القواعد اصطلاح يشمل النحو والصرف والنظام الصوتي، وركز أيضاً على ما يسمى بقدرة المتكلم على إنتاج الجمل التي لم يسمعها من قبل وآلية فهمها [2].

حري بنا قبل الانتقال إلى الحديث عن منطلقات المدرسة التوليدية التحويلية والشروع في بسط القول فيها التوقف عند رائدها والتعريف به وبحياته العلمية والتوقف عند أبرز آرائه السياسية التي أثّرت في شخصيته وتكوينه الفكري.

أفرام نوام تشومسكي (رائد المدرسة التوليدية التحويلية) Noam Chomsky.

هو لساني أمريكي مشهور من عائلة روسية إسرائيلية متطرفة في أفكارها السياسية والدينية ولد في مدينة فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية في 7 ديسمبر 1928م[3]، ودرس بجامعة بنسلفانيا الفلسفة واللسانيات والرياضيات[4]. وبعد ذلك

---

[1] ليونز، جون نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق حلمي خليل، ط1، الإسكندرية، دار المعارف الجامعية، 1985 ص 29.

[2] عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها،ص53.

[3] ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص 11.

[4] المرجع نفسه، ص 11، انظر أيضاً: الوعر، مازن، دراسات لسانية تطبيقية،دار طلاس، ط1، دمشق 1989، ص 223.

حصل على الماجستير في علم الفونيمات الصرفي للعبرية الحديثة في عام (1951)، ثم حصل على الدكتوراه سنة (1955م)، وببحث بعنوان البنية المنطقية للنظريات اللغوية (the logical structure of linguistic the org) [1].

ثم عين مدرساً في معهد مساتشوستس للتكنولوجيا ظل يترقى في رتبته الأكاديمية حتى وصل إلى درجة الأستاذية في علم اللغة و اللغات الحديثة وهو متزوج وله ثلاثة أولاد – بنتان وولد –[2].

في عام 1967 حصل تشومسكي على درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة شيكاغو، ومن جامعة لندن في ذات السنة، وحصل على نفس الدرجة من جامعتي دلهي و مساتشوستس، وتشومسكي عضو فاعل في كثير من الجمعيات اللغوية وغير اللغوية مثل: الجمعية العلمية للتقدم العلمي، والأكاديمية العلمية للتقدم العلمي والأكاديمية للعلوم السياسية والاجتماعية كما عمل تشومسكي أستاذاً زائراً في عدة جامعات في أمريكا وأوروبا كجامعة كولومبيا (1957–1958)، وجامعتي أكسفورد ولندن 1969، وجامعة كمبردج عام 1971[3].

حقق تشومسكي شهرة واسعة في مجال اللسانيات، فقد تعلم مبادئ اللسانيات من والده الذي كان عالماً في اللغة العبرية، وتأثر بعدد من العلماء في مشواره العلمي على رأسهم اللغوي "هاريس الذي تأثر به تأثراً ملحوظاً في فكرة التحويل"[4]. غير أن تشومسكي مهّد الأرضية لانطلاقة النحو التوليدي التحويلي وفق رؤية عقلانية مناهضة للمناهج اللسانية السابقة؛ ليكون هو مؤسس النظرية التوليدية التحويلية التي تعد من أشهر إنجازاته التي أحدثت ثورة كبيرة وغير مسبوقة في مجال اللسانيات

---

[1] عمايره، في نحو اللغة وتراكيبها، ص52.

[2] ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص11.

[3] المرجع نفسه، ص 11–12.

[4] مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 202.

الحديثة فهي أكثر النظريات اللسانية انتشاراً في الجامعات الأمريكية والأوروبية والعالمية.

إن شهرة تشومسكي لا تعود إلى أعماله وجهوده في مجال اللسانيات، بل إلى عمله المدني المعارض لكثير من سياسات الدولة الأمريكية الداخلية والخارجية[1]. ولعل هذا الموقف تبناه تشومسكي من أستاذه هاريس، الذي كان محفزاً له لسلوكٍ سياسيٍ له أبعاده العقلية الحقيقية بموضوعية النظر إلى الكون والإنسان.

إن كون تشومسكي يهودياً يعيش في مجتمع مسيحي ساهم إلى حد كبير في تكوين آرائه السياسية مبكراً، فقد كان يعيش في مجتمع صغير في أمريكا يمثل أقلية، وهو المجتمع اليهودي، وعلى نهج معظم الأقليات اليهودية كان يميل إلى نزعات تطرفية، غير أن شهرته السياسية جاءت من نقده اللاذع للسياسة الخارجية الأمريكية إبان التورط الأمريكي في حرب فيتنام[2].

وفي مناهضته للسياسات الأمريكية واليهودية تحدث في كتابه "السلام في الشرق الأوسط " (piece in the middle East) عن الصراع العربي الإسرائيلي، وما يتصل به، وهو يرجع هذا الصراع إلى أسباب تاريخية تتعلق بطرفي الصراع على الأرض اليهود والعرب، وهو يرى أن من حق العرب واليهود العيش معاً في سلام داخل فلسطين[3]. من خلال استناده إلى النصوص التي وردت في التوراة التي تثبت الوجود التاريخي لليهود في فلسطين.

لقد اكتسب تشومسكي شهرة واسعة بين المثقفين والسياسيين واللغويين وعامة الناس باعتباره واحداً ممن أثَّروا في مجرى الحياة الإنسانية في القرن العشرين، فهو من النماذج الإنسانية المنخرطة في القضايا الإنسانية،ومشكلات عصره الداخلية

---

(1) مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 204.

(2) انظر: ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص 14.

(3) Chomsky,piece in the middle East, new york,1974

والدولية إلى جانب اهتماماته اللسانية، كل هذه الأبعاد ساهمت في تكوين شخصيته وهويته العلمية ليكون واحداً من أهم علماء اللسانيات على وجه هذه البسيطة.

أصول النظرية التوليدية التحويلية.

منذ أن نشر تشومسكي نظريته في النحو التوليدي وتحديداً إبان ظهور كتابه "التراكيب النحوية أو البنى النحوية" عام (1957)، سعى إلى إقامة نظرية لسانية بارزة تصدر عن اتجاه عقلي؛ لأنَّ اللغة عنده عمل عقلي يتميز به الإنسان عن الحيوان، وبما أن هذه النظرية ركَّزت على الجانب العقلاني في فهم اللغة وتفسير ظواهرها، فإننا نجد جذوراً فلسفية تأثر بها تشومسكي في صياغته لها، فقد اتخذت نظرية تشومسكي اللسانية من منهج ديكارت[1] الفلسفي أساساً لها في فهم وتحليل الظاهرة اللغوية، ديكارت الذي أصَّل لفكرة (الطابع الإبداعي والخلاّق في اللغة)، وذلك من خلال تفريقه بين الحيوان والإنسان على هذا الأساس، يقول ديكارت في هذا الصدد: "لا يوجد كما هو جدير بالملاحظة أي إنسان مهما بلغت درجة بلادته أو غباوته إلا ويستطيع أن يُركّب كلمات متنوعة في تركيب واحد وأن يؤلف خطاباً يعبر من خلاله عن أفكاره، وعلى العكس من ذلك لا يوجد حيوان آخر يقوم بذلك"[2].

وعند الحديث عن ديكارت لا بدّ أن نشير إلى مقولته المشهورة التي لا نكاد ننساها وهي: (أنا أفكر إذن أنا موجود) التي عُرفت اصطلاحاً بين الفلاسفة

---

[1] رينيه ديكارت(1569–1650): فيلسوف ورياضي وفيزيائي فرنسي يلقب ب(أبو الفلسفة الحديثة) صاحب أطروحة (تأملات في الفلسفة الأولى) التي ما زالت تشكل النص القياسي لمعظم كليات الفلسفة، وديكارت الشخصية الرئيسية لمذهب العقلانية في القرن (17) وهو صاحب المقولة الشهيرة "أنا أفكر إذن أنا موجود". لمزيد من المعلومات انظر: ديكارت، روبنسون، ديف؛ وجروفز، جودي، ترجمة إمام عبدالفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، المطابع الأميرية، 2001، ص95.

[2] الراجحي، عبده، النحو العربي و الدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت،1979، ص121.

بـــ(كوجيتو ديكارت) [1]. وهي ما عبَّر عنها ديكارت بالفكر الذي لا يتوقف مطلقـــاً أو كما قال: إن النفس تفكر دائماً فلا مكان فيها لما سيُسمى فيما بعد باللاشعور، بـــل إن كل شيء شفاف بالنسبة للنفس و في النفس وهذه هي نظرية الواقع[2].

لقد أخذ التحويليون بأفكار ديكارت الفلسفية والقائمة على أن جوهر الشيء يقوم على حقيقته المجردة، وهي ليست بالمادة الملموسة، وإنما البنيـــة التحتيـــة العميقـــة المتمثلة بالفكرة، غير أنهم أضافوا إليها أشياء أخرى ومعطيات جديدة؛ لتنســـجم مـــع نظريتهم اللسانية الجديدة.

ومن الفلاسفة الذين تأثر بهم تشومسكي في صياغته لنظريته اللسانية الفيلسوف الألماني (همبولت) [3]. "الذي نادى بفكرة الجانب الخلاّق في اللغة"[4]. حيـــث يـــرتبط الجانب الخلاق بالعقل الذي يمتلكه الإنسان فحسب على عكس العمل الحيواني الـــذي وصفه بالآلي.

---

[1] زوين، علي، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1986، ص 43. انظر أيضاً: فضل الله، مهدي، فلسفة ديكارت ومنهجه نظرة تحليليـــة نقدية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص 93.

[2] ڤـــــال، جان، الفلسفة الفرنسية من ديكارت الى سارتر، ترجمة فؤاد كامـــل، دار الكتـــاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة، ص 11-12.

[3] ولهام فان همبولت (1767-1835) ولد في بروسيا في ألمانيا، التحق ســـنة 1787 بجامعـــة فرنكفورت لكي يتخصص بالمحاماة إلا أنه انصرف إلى دراسة فقه اللغة سنة 1788 بعد أن التحق بجامعة (Gottingen) أوفد إلى مؤتمرات فينّا (1813-1815) وزيرا مفوضاً مطلق الصلاحيات واستلم منصب مدير التعليم في وزارة الداخلية وأسس جامعة برلين سنة 1810م. درس لغات الهنود الحمر في أمريكا الشمالية واللغـــة السنســـكريتية والصـــينية والمجريـــة والتترية. لمزيد من المعلومات انظر: زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعـــلام، ص169.

[4] زكريا، ميشال، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعيـــة للدراســـات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ص271.

فاللغة عند همبولت عمل عقلاني لا بد أن تصدر من الـــداخل ولـــيس علـــى السطح وأن هذه اللغة ذات شكلين هما: داخلي وخارجي.

فالشكل الداخلي عضوي متلاحم وينتج عما يسمى بالبنية العميقة للغة، وهـــذه النظرة نابعة من نظرته للطبيعة الإنسانية والحرية الفردية، فالطبيعة الإنسانية ليســـت خاضعة للعوامل الخارجية إنما تتطور من داخلها، للوصول إلى العمل الخلاق الـــذي يصدر من الداخل أي من البنية العميقة للغة.

لقد شكّلت أفكار همبولت الفلسفية في الجانب اللغوي رصـــيداً فكريـــاً جيـــداً لتشومسكي للوصول إلى أهم مبادئ نظريته اللسانية فيما يخص البنية العميقة (Deep structure) والبنية السطحية (Surface structure)، والبنية العميقة عند تشومسكي هي التي تعبر عن الفكر أو المعنى الكامن في نفس المتكلم، أما البنية السطحية فهـــي الكلمات المنطوقة التي يعبر بها عن المعنى الراسخ في ذهن المتكلم.

إن تشومسكي قبل أن يؤسس لنظريته اللسانية عمل على الاستفادة من منجزات التراث الفلسفي والعلمي لصياغة نظريته الجديدة؛ لتكون هذه النظرية أكثر شـــمولية وملاءمةً للدرس اللساني، وكما استفاد تشومسكي من التراث الفلسفي والعقلاني استفاد من آراء وتوجهات النحو التقليدي؛ لأنه في رأيه أكثر اقتراباً من الطبيعة الإنسانية في دراسة اللغة فقد استفاد من المدرسة البنيوية و التوزيعية.

يرى تمام حسان أن "النحو التحويلي قد انسدل من النحو التوزيعي مع التنويـــه أن تشومسكي وازن بين تعاليم بلومفيلد وهمبلوت ودي سوســـير ومنطقيـــة بوريـــال والمنطق الرمزي وعلم النفس منتهياً بالعقلانية في فهم اللغة"[1]. وهو رأي تبناه عبد القادر الفاسي الفهري في كتابه "البناء الموازي" حيث يقول: "إن التغير الـــذي طبـــع النظرية اللسانية مع تشومسكي لا يمكن أن يحجب عنا إفادته من مدارس لسانية سابقة كالتوزيعية (Distributionnalisme) ممثلة في ما قدّمـــه هـــاريس Z.S Harris

---

[1] حسان، تمام، إعادة وصف اللغة العربية ألسنياً، بحث نشر في ندوة اللسانيات و اللغة العربية، العدد4، الجامعة التونسية 1978. ص 171.

الذي اتجه اتجاهاً مبايناً لاتجاه أستاذه بلومفيلد Bloomfield وخصوصاً ما اعتمده في وصف اللغة من طرائق تحويلية، ونجد من لا يتوانى في ربط النظرية التوليدية بالبنيوية، ويكفي أن نشير في هذا الصدد إلى أن "بياجي" يطلق على الاتجاه التوليدي (البنيوية التحويلية) في إشارة واضحة إلى العلاقة بين الاتجاهين"[1].

وفي سياق غير منفصل عن هذا التوجه في تأصيل النظرية التوليدية التحويلية عند تشومسكي يؤكد محمد عبد الرزاق قدوره في بحثه المعنون بـ(علما الطبيعة واللسان صنوان عند تشومسكي) والمنشور في مجلة اللغة العربية في دمشق عام 1991 إلى أن النحو التوليدي قام على أنقاض الاتجاه البنيوي " وعلى أنقاض الاتجاه البنيوي الجولدماني نشأ النحو التوليدي (generative grammars) كنموذج جديد يجيب عن الأسئلة العالقة، وينحو بالبحث اللساني منحى مغايراً حيث يرى تشومسكي أن دراسة اللسان ما زالت قاصرة على المشاهدة والوصف؛ لأنها لن تصبح علماً إلا متى ارتقت إلى التفسير أي انتقلت من ماذا؟ إلى لماذا؟"[2]. فالتفسير اللغوي هنا يركز على اللغة من داخلها لا من خارجها.

أما عند محاولة تأصيل نظرية تشومسكي اللسانية في التراث العربي القديم نستطيع القول إنه ربما تأثر تشومسكي بعلماء العربية، ولاسيما بربط اللغة بالجانب العقلي، ومن أبرز العلماء الذين ربطوا اللغة بالجانب العقلي ابن جني، وعبد القاهر الجرجاني، والزمخشري، ويشير نهاد الموسى إلى تأثر التحويليين بمنهج عبد القاهر الجرجاني إذ يقول: "إن ما انكشف لتشومسكي وللتحويليين في المستوى الدلالي للجملة

---

[1] الفهري، عبدالقادر الفاسي، البناء الموازي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1990، ص 17.

[2] قدورة، محمَّد عبدالرزاق، علما الطبيعة واللسان صنوان عند تشومسكي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج3، م66، 1991، ص545.

في بنيتها العميقة والسطحية قد انكشف لابن هشام وللإمام عبد القاهر الجرجاني ويظهر ذلك في احتكامهم إلى المعنى في تراكيب لغوية متعددة"[1].

ومن أهم مبادئ نظرية تشومسكي اللسانية التي قد نجد لها جذوراً في التراث اللغوي العربي ما سمي بالكفاية اللغوية، وهي المقدرة على إنتاج الجمل وتفهمها في عملية التكلم، فقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى هذه الملكة عندما يقول: " إن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة، فهو علم بكيفية لا نفس كيفية"[2].

وفي فصله الذي عقده في كتابه قضايا لسانية تطبيقية لبيان أوجه التقارب بين فكر تشومسكي اللغوي في نظريته اللسانية وابن خلدون يشير ميشال زكريا إلى التقارب الكبير بينهما عند الحديث عن أصل مهم من أصول النظرية التوليدية وهو (الملكة الإنسانية) إذ يقول: "فابن خلدون لا يغفل عن الإشارة إلى العلاقة القائمة بين الملكة اللسانية وبين صناعة العربية"[3].

ونخلص إلى القول في هذا المبحث الذي تناول تأصيل نظرية تشومسكي اللسانية: إن إعادة قراءة المحاولات الأولى للفلاسفة وعلماء النحو التقليدي وأتباع المناهج اللغوية يعطينا مؤشراً واضحاً عن مدى تأثر تشومسكي بأفكارهم ومناهجهم في التفكير العقلي واللغوي غير أن أهم ما ميز تشومسكي استفادته من هذه الأفكار

---

[1] الموسى، نهاد، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، المؤسسة العربية، عمان، 1980، ص 64.

[2] ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمَّد، المقدمة كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق المستشرق الفرنسي أ.م. كاترمير، عن طبعة باريس سنة 1858،المجلد الثالث، مكتبة لبنان، بيروت لبنان،1992،ص309.

[3] زكريا، ميشال، قضايا لسانية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص112.

وصياغتها في نظرية لسانية شاملة أعادت للعقل الإنساني قيمته وميزته عن غيره من المخلوقات.

مبادئ (أسس) النحو التوليدي التحويلي:

لقد قامت المدرسة التوليدية التحويلية على جملة من الأفكار، تعد القاعدة الأساس التي انطلقت منها هذه المدرسة اللسانية، ويمكن لنا أن نلخص هذه الأفكار على النحو الآتي:

1.الملكة والتأدية (الكفاية والأداء) (Competence / Performance):

إنهما مصطلحان ظهرا في وقت متأخر نسبياً عند تشومسكي، وكان ذلك عام (1965) في كتابه "أوجه النظرية النحوية"[1].

وهما من أهم المبادئ التي ركزت عليها نظرية تشومسكي اللغوية، فهما يُظهران علاقة المتكلم بلسانه؛ لأنهما يرتبطان بمفهومي اللغة والكلام، فالملكة اللسانية أو الكفاية يعرفها تشومسكي بأنها "معرفة المتكلم المستمع للسانه"[2]، ويقول أيضاً: "هي معرفة الإنسان الضمنية للغة"[3]، وهذا يعني أن كل إنسان لديه معرفة لغوية حدسية، وهي مجموعة من القواعد المكتسبة والمشتركة بين متكلمي لغة معينة، أي القدرة على فهم وإنتاج جمل لم يسمعها من قبل، أو لم يكن له معرفة سابقة بها، فهي "ذات إطار ذاتي خاص بمتكلم اللغة أو ما نسميه بالاستيطان الكامن لقواعد لغة ما"[4].

فقد ركز تشومسكي على الكفاية اللغوية (Competence) وهي معرفة المتكلم السامع للغته، وعليه فقواعد اللغة عنده هي وصف للكفاية الحقيقية للمتكلم – السامع

---

(1) Chomsky, Noam. (1965), Aspects of the Theory of Syntaxes, J.C. Milner Editions du deuil, p.13.

(2) الشايب، محاضرات في اللسانيات، ص374.

(3) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص32.

(4) عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ص266.

المثالي-"[1]، ولعل ما يميز الملكة الإنسانية أو الكفاية اللغوية أنها مشتركة لا تقتصر على أحد دون الآخر "فالملكة ما هي إلا نسق كلي للتمثل الذهني للغة"[2]، وهذا ما يميزها عن التأدية (الأداء) إذ إن الأداء يتمايز من شخص إلى آخر.

إن الملكة (الكفاية) هي ما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات وتجعله يحمل صفتي العقلانية والإبداع في خلق وابتكار جمل لا نهاية لها وفهمها، وإن كانت وليدة اللحظة "إن الملكة اللغوية خصيصة من خصائص النوع وعامة في أفراده ومقصورة عليه في صفاتها الأساسية، وهي قادرة على إنتاج لغة غنية ومفصلة ومعقدة على أساس من مادة لغوية دقيقة"[3].

أما الأداء (التأدية) فيحددها تشومسكي بأنها الاستعمال الفعلي للسان في الظروف المحسوسة وبعبارة أخرى فهو "الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين"[4].

فالتأدية هي الانعكاس اللفظي أو الأداء الكلامي؛ أي التطبيق الفعلي للملكة، يقول ميشال زكريا: "فالأداء الكلامي هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين، وفي الأداء الكلامي يعود متكلم اللغة بصور طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن كفاءته اللغوية كلما استعمل اللغة في مختلف ظروف المتكلم، فالكفاءة بالتالي هي التي تقود عملية الأداء الكلامي"[5].

إن النظرة الفاحصة لما سبق تقودنا للقول بأن مصطلحي الملكة والتأدية هما حجرا الأساس في النظرية التوليدية التحويلية؛ لأن هذه النظرية ركزت على الجانب

([1]) الشايب، محاضرات في اللسانيات، ص374.

([2])الفهري، الفاسي، اللسانيات واللغة العربية، نماذج دلالية وتركيبية، دار توبقال، الدار البيضاء، 1985، ص10.

([3]) تشومسكي، نعوم، اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990، ص46.

([4]) زكريا، الألسنية المبادئ والأعلام، ص45.

([5]) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية(النظرية الألسنية)، ص33.

العقلي في إنتاج وفهم اللغة مع التأكيد على أن تشومسكي أعطى الأولوية لدراسة الملكة اللسانية انسجاماً مع المنطقات العقلانية لهذه النظرية، وهذا ما نجده عند التمييز بين الكفاءة اللغوية (الملكة اللغوية) والأداء الكلامي "ذلك أن الكفاية اللغوية حقيقة عقلية كامنة وراء الأداء الكلامي تقود هذا الأداء الكلامي الذي ينحرف عنها لأسباب عائدة إلى ظروف المتكلم؛ فهو يخضع لعوامل نفسانية متعددة ولا يعكس مباشرة الكفاية اللغوية، وفي إطار هذا التمييز يتوجب على الألسني أن يهتم أولاً بقواعد الكفاية اللغوية"[1].

2.السلامة النحوية (المقبولية) (Grammaticality / Acceptability):

ويقصد بها القواعد التي على أساسها تكون جملة ما مقبولة لدى صاحب اللغة[2]، أي تلك الجملة أو الجمل المبنية على أسس نحوية حيث إن الحكم على سلامة الجملة يترك للنحو فقط دون اعتبار المعنى، وتشومسكي يرفض الاعتماد على أي مقياس دلالي في تحديد سلامة الجملة أو مقبوليتها، وفي ذلك يقول تشومسكي: "ولا يمكن لمفهوم "سليم نحوياً" أن يقصد به أن يحتوي على معنى أو له دلالة"[3].

وهذا الأمر كان واضحاً في البدايات الأولى للنظرية التوليدية التحويلية، حيث هدف تشومسكي في المراحل الأولى من نظريته اللسانية إلى أن يؤسس لفكرة مفادها أن الجملة قد تكون فارغة من المعنى غير أنها سليمة من الناحية النحوية[4]، وبخصوص مقياس الحكم على سلامة جملة أو عدم سلامتها، فإنَّ ذلك مرتبط بالحدس لدى المتكلم وليس الاستعمال، فقد عدَّ تشومسكي الحدس من مميزات القواعد النحوية

([1])زكريا، ميشال، التطور الذاتي في الألسنية التوليدية التحويلية، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد الخامس و العشرون، بيروت، 1983، ص20.

([2]) الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص115-116.

([3]) Noam. Chomsky (1965), Aspects of the Theory of Syntaxes, p.17.

([4])مور، تيرنس؛ وكارنلغ، كريستين، فهم اللغة نحو علم لغة لما بعد مرحلة جومسكي، ترجمة حامد الحجاج، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1998، ص113.

التي طوّرها من حيث قدرة أبناء اللغة على الحكم على الجمل بأنها واضحة ومقبولة أو غامضة أو مرفوضة، أي تقديم الحدس على أنه دليل مستقل أو أصلي في الحكم على الجمل؛ لأن الجمل في هذه الحالة تختلف من حيث الصواب النحوي (Well Forcedness) إذ تتفاوت الجمل فيكون بعضها أقل صواباً من بعض مما ينبغي أن يحتل موقعاً أدنى بين درجات الصواب النحوي، ويناط تقويم الجمل تبعاً لهذا المعيار وهو معيار النحوية (Grammaticality) لما يتمتع به المتكلم السليقي من كفاءة[1].

وعليه فإنَّ الجملة تنقسم تبعاً لهذا المعيار إلى قسمين، هما: الجملة الأصولية (النحوية)، والجملة غير الأصولية (غير النحوية)، فالجملة الأصولية هي الجملة المبنية على نحو جيد موافق لقواعد اللغة القائمة ضمن الكفاءة اللغوية لمتكلم اللغة، أي القواعد الضمنية التي تقود عملية التكلم التي يطبقها متكلم اللغة بصورة لا شعورية حيث ينتج جملة[2]، فيراعي قواعد اللغة التي ينتمي إليها في بناء جملته وترتيبها وموافقتها لكل المستويات، وأما الجملة غير الأصولية فهي التي تنحرف عن هذه القواعد.

3.البنية العميقة والبنية السطحية (Deep Structure / Surface Structure):

يقر تشومسكي بأن لكل جملة بنيتين أساسيتين هما البنية العميقة والبنية السطحية، فالبنية العميقة (D.S) هي من نتاج العناصر الأولية المغذية لكل من المكوّن النحوي والمكوّن الدلالي، فهي: "الأساس الذهني المجرد لمعنى معين يوجد في الذهن، ويرتبط بتركيب جملي أصولي يكون هذا التركيب رمزاً لذلك المعنى وتجسيداً له، وهي النواة التي لا بد منها لفهم الجملة ولتحديد معناها الدلالي، وإن لم تكن ظاهرة فيها"[3]، وبعبارة أخرى نستطيع القول إن البنية العميقة هي: "شكل

([1]) إيفتش، اتجاهات البحث اللساني، ص385.

([2])زكريا، ميشال، بحوث ألسنية عربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1992، ص49.

([3])خليل، إبراهيم، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، عمان، 2007، ص95.

تجريدي داخلي يعكس العمليات الفكرية ويمثل التفسير الدلالي الذي تشتق منه البنيـــة السطحية من خلال سلسلة من الإجراءات التحويلية"[1].

ومعنى هذا أن البنية العميقة (D.S) تمثل الفكر أي المعنى الذهني الكامن فـــي نفس المتكلم، التي تخضع فيما بعد لمجموعة من القواعد التحويلية والعناصر التحويلية وصولاً بها للبنية السطحية، أي الأداء الكلامي.

أما البنية السطحية (S.S)،فإنها تعرف بذلك التمثيل الصوتي للجملة[2]، أي أنها البنية الظاهرة للعيان عبر توالي الكلمات في الجملة: "فهي نتاج المكون التحويلي (أي استعمال القواعد التحويلية)، وفي هذه البنية تمثل الجملة بطريقة ملموســـة وواقعيـــة مظهرة كل المورفيمات (الحرة المنفصلة والمقيدة المتصلة) والتي ترجع إلى ما سوف نسمعه إذا نطقنا تلك الجملة"[3]، فالبنية السطحية (S.S) ما هي إلا نتاج للبنى العميقة عبر التحويلات الاختيارية أو الإجبارية، ويمكن تمثيل عملية التحول من البنية العميقة (D.S) إلى البنية السطحية (S.S) على النحو الآتي:

بنية عميقة D.S ← قواعد تحويلية ← بنية سطحية S.S

المعنى الذهني المجرد ← إجبارية، اختيارية ← الأداء الكلامي المنجز

والجدير بالذكر أن تشومسكي قد اهتم بالبنية العميقة على حساب البنية السطحية، ذلك انسجاماً مع مبدأ نظريته اللسانية التي أعطت الجانب العقلاني الأهمية الكبـــرى كمـــا ذكرنا سابقاً.

4.الحدس (Intuition):

وهو من المعايير التي اعتمد عليها تشومسكي في التمييز بين ما هـــو ســـليم وغير سليم نحوياً في بناء الجملة، انطلاقاً من أن كل إنسان يتمتع بمقدرة لغوية كامنة تمكنه من معرفة الجمل من حيث إمكانيتها أو عدمها، ويُعرّف الحدس عنـــد المـــتكلم

([1]) مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص212.

([2]) عمايرة، في نحو اللغة وتركيبها، ص58.

([3]) الفهري، اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية)، ص56.

بالمقدرة التي تسمح لمتكلم اللغة بالتمييز بين الجمل السليمة وغير السليمة نحوياً، يقول ميشال زكريا: "نسمي مقدرة متكلم اللغة على إعطاء المعلومات حول مجموعة من الكلمات المتلاحقة من حيث إنها تؤلف جملة صحيحة أو جملة منحرفة عن قواعد اللغة بالحدس اللغوي"[1]، وفي ذات السياق يعتبره ميشال زكريا جزءاً من معرفة المتكلم الضمنية بقواعد لغته أي أنه جزء من الملكة اللسانية[2].

ويحتل الحدس مكانة متميزة في القواعد التوليدية "فالحدس ليس عنصراً ثانوياً في الدرس اللغوي، وإنما هو عنصر جوهري"[3].

وفي سياق غير منفصل يشير "جون ليونز" إلى مكانة الحدس بوصفه عنصراً مهماً من القواعد التوليدية إذ يقول: "إن تشومسكي قدّم حدس صاحب اللغة على أساس أنه دليل مستقل، ولكن الشرح الذي يقدمه هذا الحدس عدّه دليلاً ثانوياً للمهمة الأساسية لتوليد الجمل، أما في عمله الأخير فقد اعْتَبَر حدس أبناء اللغة جزءاً من المادة اللغوية التي تقوم القواعد بدراستها، وأصبح الآن يعتمد على صحة هذا الحدس أكثر من قبل عندما كان مهتماً باختياره بواسطة تقنيات عملية مرضية"[4].

5.الإبداعية (Creativity):

ويقصد بها الطاقة أو القدرة التي تجعل أبناء اللغة الواحدة قادرين على إنتاج وفهم عدد كبير بل غير محدود من الجمل التي لم يسمعوها قط، ولم ينطق بها أحد من قبل[5]، ومعنى هذا أن تشومسكي قد لاحظ وجود إمكانات ذهنية موجودة في كل

([1]) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية(الجملة البسيطة)،المؤسسة الجامعية للطباعة و النشر، بيروت،1986، ص8-9.

([2]) زكريا، الألسنية المبادئ والأعلام، ص157.

([3]) الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، ص118.

([4]) مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص211، وانظر أيضاً: ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص210-214.

([5]) ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص57.

اللغات الإنسانية تجعل من ناطقيها قادرين على الإبداع، هذا الإبداع الذي يظهر في المقدرة على إنتاج الجمل والتراكيب التي لم يسمعوها من قبل، فالإبداعية تتجلى في إنتاج الجمل وفهمها.

والإبداعية من الخصائص التي ينفرد بها الإنسان عن سائر المخلوقات، يقول ميشال زكريا: "وتختص هذه المقدرة بالإنسان من حيث هو إنسان ولا نجدها بالتالي عند أي كائن آخر، فبعض الحيوانات التي سبق وأشرنا إليها تمتلك في الواقع القدرة على إنتاج عدد محدود من المراسلات (Massages) الثابتة من حيث معناها والتي لا يمكنها تغييرها أو بناء عناصر جديدة منها"[1].

لقد جاء تركيز تشومسكي على مفهوم الإبداعية من خلال رؤيته اللسانية لمفهوم اللغة، فاللغة عنده "ليست مجموعة عادات كلامية، وهي بالتالي مختلفة عن لغة الحيوان، وتتسم بخصائص مميزة، وفي هذا المجال يركز تشومسكي على ميزة الإبداعية في اللغة الإنسانية"[2].

ونظراً لأهمية هذا المظهر اللغوي العقلاني دعا تشومسكي إلى ضرورة اعتباره موضوعاً من موضوعات علم اللسان، لذلك نجد أن فكرة الإبداعية تتصل اتصالاً وثيقاً بعملية الاكتساب اللغوي عند الأطفال "فالأطفال الذين تعلموا لغتهم يصبحون –بسرعة كبيرة– قادرين على توليد وفهم عدد لا محدود عملياً من العبارات"[3]، وفي هذا إشارة واضحة لرفض تشومسكي النظرية السلوكية القائمة على مبدأ التقليد لأن هذه النظرية تساوي بين السلوك الحيواني والسلوك الإنساني الذي يمتاز عن سائر المخلوقات بامتلاك اللغة.

([1]) زكريا، المبادئ والأعلام، ص30.

([2]) زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية "النظرية الألسنية"، ص16.

([3])محسب، محيي الدين، انفتاح النسق اللساني دراسة في التداخل الاختصاصي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص16.

وفي معالجة تشومسكي اللسانية لمفهوم الإبداعية نجده يميز بين نوعين منهـــا، الأول: يتعلق بالملكة (الكفاية) الإنسانية لابن اللغة (المتكلم المثالي)، والثـــاني يتعلـــق بالأداء الكلامي (التأدية)، غير أن تشومسكي اهتم بالنوع الأول؛ لأنَّه ينسجم مع رؤيته العقلانية للغة ولاهتمامه بالملكة التي تخص جميع البشر، وعلـــى اخـــتلاف لغـــاتهم، بغرض إنشاء نحو كلي يفسر كل الظواهر اللغوية الممكنة تحت ما ســـمي بنظريـــة النحو الكلي أو العام (The Universal Grammar).

إن النظرة المتفحصة لهذه المبادئ والأسس التي قام عليها النحـــو التوليـــدي التحويلي يعطينا مؤشراً واضحاً بأن تشومسكي أراد لهذا الأنموذج أن ينطلـــق مـــن تصور عقلي (ذهني) يسعى إلى إنتاج التراكيب وتحليلهـــا وتفســـيرها دون الاكتفـــاء بوصفها، إلى جانب أن هذه الأسس تقودنا إلى نتيجة مفادها أن تشومسكي أقام نظريته اللسانية على الثنائيات كما في اللغة، والكلام والبنية السطحية والبنية العميقة، والكفاية (الملكة) والأداء (التأدية)، والإبداع والتقليد.

موضوع الدراسة اللسانية ومنهجها في المدرسة التوليدية التحويلية:

يحدد تشومسكي رائد المدرسة التوليدية ومؤسس نظريتها اللســـانية موضـــوع الدراسة اللسانية على النحو الآتي: "إن موضوع النظرية اللغوية الأولى هـــو إنســـان متكلم – مستمع Locuteur – auditeur مثالي تابع لبيئة لغوية متجانســـة تمامـــاً، ويعرف جيداً لغته وحين يستعمل هذا الإنسان معرفته للغة في أداء كلامـــي فعلـــي لا يكون مصاباً بحالات غير ملائمة من الناحية اللغوية كالحد من الذاكرة والشـــرود أو السهو وانتقال الاهتمام أو الانتباه والأغلاط العرضية أو المميزة"[1].

تشومسكي في بيانه لموضوع الدراسة يشير إلى عنصرين مهمين من عناصر العملية اللغوية، هما: الإنسان المتكلم المستمع المثـــالي، والأداء الفعلـــي الكلامـــي، وبعبارة أخرى الكفاية والأداء، فقد ركز تشومسكي ومن جاء من بعده من اللســـانيين

([1]) Noam. Chomsky (1965), p.3. نقلاً عن: زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث والمبادئ والأعلام، ص144-145.

على ضرورة الاهتمام بالملكة اللغوية، وهي مقدرة ذهنية موجودة في ذهن ابن اللغة، وفي هذا الصدد يقول تشومسكي: "فمن حيث الموضوع كانت المدرسة البنيوية تتخذ من النصوص اللغوية موضوعاً لدراستها على حين اتخذت المدرسة التحويلية من قدرة المتكلم على إنشاء الجمل التي لم يكن سمعها من قبل موضوعاً لها"[1].

وبالحديث عن منهج الدراسة اللسانية عند تشومسكي، فإنَّنا نؤكِّدُ أنه أراد أن يبني نظرية لسانية جديدة أكثر قبولاً ورواجاً من النظريات اللسانية السابقة، فقد رفض تشومسكي الاعتماد على المنهج الوصفي، وكذلك رفض المنهج السلوكي الآلي في تفسير الظواهر اللغوية، بل "دعا إلى منهج يتوخى شرح الظواهر اللغوية وتعليلها، وذلك من خلال صياغة الفرضيات وفحصها ثم تطبيقها على أكبر عدد من اللغات من أجل تثبيت صحتها"[2].

وفي هذا إشارة واضحة ودقيقة إلى أن منهج تشومسكي في الدراسات اللسانية منهجٌ عقلي ذهني يركز على القدرة العقلية للإنسان، ويسعى إلى التعليل والتفسير بدلاً من الوصف المجرد.

ومن أبرز اللسانيين الذين تأثر بهم تشومسكي في منهجه اللساني "رومان جاكبسون"[3]، فقد كان الأخير "ينادي بمبدأ العموميات اللغوية (الكليات) بما فيها الصوتية، ويرى أن الأبنية الصوتية الموجودة في لغات العالم ما هي إلا مجرد

([1])عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997، ص187.

([2])الوعر، مازن، النظريات النحوية والدلالية في اللسانية التحويلية والتوليدية، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، الجزائر، العدد 6، 1982، ص27.

[3]رومان جاكبسون (1896–1982) تخصص جاكبسون في جامعة موسكو في القواعد المقارنة، وفي فقه اللغة السلافية أسس سنة (1915) مع بعض الطلاب "نادي موسكو الألسني" وساهم في وضع بعض النظريات الأدبية الحديثة شغل نائب رئيس براغ الألسني سنة (1938) درس في نيويورك ما بين (1942–1946) ودرس في جامعو كولومبيا سنة (1957). لمزيد من المعلومات انظر: زكريا، المبادئ والأعلام، ص241–242.

تنوعات ظاهرية تخضع لنظام أساسي عام، وقد كانت هذه الفكرة هي الجوهر أو الأساس الذي قام عليه منهج تشومسكي الذي يدّعي أن هناك عموميات لغوية في مجال التركيب"[1].

فالمنهج التوليدي التحويلي هو: منهج عقلي تفسيري ينطلق من العمليات الذهنية التي تدور في ذهن المتكلم (البنية العميقة) أي عمليات إنتاج الجمل وتوليدها إلى الوسائل التي تخرج بها إلى بنية سطحية، وبمعنى آخر هو منهج ينطلق من الكليات إلى الجزئيات أو من الواقع الذهني إلى الواقع المحسوس.

هدف الدراسة اللسانية عند المدرسة التوليدية التحويلية:

لقد حدد التوليديون هدفهم من نظريتهم اللسانية تحديداً دقيقاً، وعلى مستوى أعلى بكثير من أية جماعة لسانية سابقة، ولم يخرج هدفهم عن وصف وتحليل وتفسير كل ما يرتبط بكفاية المتكلم للغته، فالتحويليون يحققون أهدافهم "بإظهار الوصف اللغوي في قواعد تتضمن قدرة المتكلم بلغته الفوقية الإبداعية على إنتاج وفهم عدد غير محدود من الجمل التي لم يسبق له نطق أو سماع معظمها"[2].

لقد كان الهدف من اللسانيات قبل تشومسكي ومدرسته التوليدية هو: وصف اللغات وتصنيفها، فقد كان العديد من اللسانيين الأمريكيين يعتبرون أن هدفهم من الدرس اللساني "هو تصنيف اللغات الإنسانية فكان هدف النظرية إذن هو أن توفر لعالم اللغة مجموعة من الطرائق الدقيقة، أي مجموعة من وسائل الاكتشاف التي بمقدورها أن يستخدمها لكي يستخرج من المتن الفونيمات والمروفيمات... الخ"[3].

([1])عمر، أحمد مختار، محاضرات في علم اللغة الحديث، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1995، ص161، وانظر أيضاً: محاضرات في اللسانيات، فوزي الشايب، ص378.

([2]) الراجحي، شرف الدين؛ وحنا، سامي عياد، مبادئ اللسانيات الحديث، دار المعرفة الجامعية، 2003، ص67.

([3]) سيرل، جون، تشومسكي والثورة اللغوية، مجلة الفكر العربي، العددان 8-9، مارس، بيروت، 1979، ص124-125.

ومع مجيء تشومسكي وتصدر آرائه اللسانية الواجهة العالمية في الدراسات اللسانية العالمية، وتوجيهه للفكر اللساني نحو الوصف والتفسير وثورته على الاتجاهات البنيوية والسلوكية في دراسة اللسانيات "أكد أن هدف الوصف اللغوي يجب أن يتجه إلى بناء النظرية التي تؤدي حساباً عن العدد اللامتناهي في لغة طبيعية، فمثل هذه النظرية أن تشرح متتابعات الكلمات التي تشكل جملاً كما توفر وصفاً للبنية النحوية لكل جملة"[1].

يرى تشومسكي أن اللغة نظام عقلي قادر على إنتاج أكبر عدد ممكن من الجمل التي لا حصر لها، فهو يرى أن "هدف النظرية اللسانية ليس تحليل النص الذي هو في الواقع يحتوي على عدد من الجمل المختارة في نطاق لا حدود له، بل إن الهدف هو توضيح النظام الذي يرتكز عليه والذي يجعل اللغة لا نهاية لها"[2].

وفي كتابه "البنى التركيبية" يرى تشومسكي أن هدف التحليل اللساني "أن يفصل الجمل النحوية في اللغة المعينة عن الجمل غير النحوية وأن يشير إلى بنية الجمل النحوية"[3]، مع التأكيد على أن الهدف من النظرية اللسانية عند تشومسكي لا يقتصر فقط على التمييز بين ما هو صحيح أو غير صحيح نحوياً، وإهمال الجانب الدلالي (المعنى) الذي تؤديه الجملة "بل تهدف إلى تصحيح التراكيب النحوية وتصحيح المعنى؛ لأنهما قد يبدوان متجانسين إلا أنهما في الأصل متمايزان ولأن الأولى متعلقة بملكة المتكلم والثانية مرتبطة بالتأدية"[4].

([1]) سيرل، تشومسكي والثورة اللغوية، ص127.

([2])حجازي، محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة، المجالات والاتجاهات، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص137.

([3]) هلبش، جير هارد، تاريخ علم اللغة الحديث، ترجمة سعيد البحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2003، ص477.

([4]) علوي، شفيقة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، ط4، 2004، ص50.

لقد ركزت النظرية التوليدية بكل منطلقاتها على الإنسان المتكلم أو السامع والذي نعته تشومسكي بالمثالي، فهذه النظرية تتوجه بالدراسة إلى صاحب اللغة المثالي في مجتمع متجانس يعرف لغته وقوانينها، وهذا شرط ضروري "لأن الهدف هو معرفة القوانين الإنسانية التي تجعل الإنسان يتميز بهذه القدرة على اللغة"[1].

وفي هذا إشارة واضحة إلى جانبين مهمين من جوانب هذه النظرية، هما: كفاءة المتكلم (البنية العميقة) والكلام (الأداء) الإنساني المنطوق أو ما يسمى بـ"البنية السطحية".

ويؤكد تشومسكي ضرورة أن تسعى "دراسة الأداء والكفاية إلى معرفة ما يسميه "بالنحوية" في اللغة (Grammaticality) أي القواعد التي على أساسها تكون جملة ما مقبولة لدى صاحب اللغة، ومعنى ذلك أن هدف النحو هو أن يميز كل ما هو "نحوي" مما "ليس نحوياً" في اللغة"[2].

وخلاصة القول إن الهدف من النظرية اللسانية التي جاء بها تشومسكي في كتابه البنى التركيبية "شرح التراكيب أي في تعيين القواعد النحوية الكامنة وراء الجمل"[3]، وهو هدف بُني عليه فيما بعد، وخصوصاً وبعد تطور النظرية التوليدية وإدراكها النضوج في كتاب تشومسكي الجديد (وجوه النظرية التركيبية)، فقد جاءت الأهداف الجديدة "لتفسير كل العلاقات اللغوية القائمة في اللغة بين نظام الأصوات ونظام الدلالات"[4].

([1]) الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، ص114-115.

([2]) المرجع نفسه، ص115-116.

([3]) سيرل، تشومسكي والثورة اللغوية، ص128.

([4]) المرجع نفسه، ص128.

ثانياً: النحو التوليدي التحويلي المفاهيم والقواعد:

1. النحو التوليدي المفهوم والمصطلح.

يطلق مفهوم النحو التوليدي (generative grammar) على مجموعة القواعد التي تحدد أنواعاً مختلفة من أنظمة اللغة [1].

فالقواعد التوليدية: هي القواعد التي تولد الجمل المقبولة في اللغة في حين أنها لا تولد جملاً غير مقبولة في اللغة؛ لأن اللغة على حد تعبير تشومسكي تتكون من "مجموعة –متناهية أو غير متناهية– من الجمل) كل جملة طولها محدود ومكونة من مجموعة متناهية من العناصر وكل اللغات الطبيعية في شكلها المنطوق أو المكتوب تتوافق مع هذا التعريف؛ وذلك لأن كل لغة طبيعية تتكون من مجموعة محدودة من الأصوات أو مجموعة محدودة من الرموز الكتابية مع ذلك؛ فإنها تُنتج جملاً لا نهاية لها" [2].

فمصطلح التوليدية جاء نسبة إلى تولد الجمل أو إنتاجها بكم كبير وغير متناه مع ارتباطها الوثيق بالجانب العقلي المنتج لهذه الجمل، وهذا يقودنا للحديث عن أهم سمة وجهت الفكر التوليدي وهي سمة الإنتاجية (productivity)، وهي من أهم الخصائص التي تميز اللغة البشرية عن لغات الحيوانات فهي تعني: "أن المتكلمين يستطيعون أن ينطقوا بتركيبات لم يسبق أن سمعوها من قبل ويعود هذا جزئياً إلى الوضع السابق للغة وجزئياً إلى استعمال المتكلم" [3].

وتُعرَّف القواعد التوليدية في إطار النظرية الألسنية التوليدية التحويلية على النحو الآتي: "القواعد التوليدية هي: مجموعة قواعد تُولِّد من خلال تعاملها مع معجم

---

[1] علي، محمَّد محمَّد يونس، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص84.

[2] زكريا، ميشال، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ص30.

[3] علي، مدخل إلى اللسانيات، ص 33–34.

مفردات محدود و مجموعة متناهية أو غير متناهية من التتابعات الكلامية، وتحدّد كل تتابع كلامي على أنه تركيب جيد في اللغة التي تصفها هذه القواعد، وتقرن القواعد التوليدية كل تتابع كلامي جيد التركيب (وكل جملة) تولّده بوصف بنياني ملائم [1].

ويحاول تشومسكي من خلال مبدأ التوليد كما يقول محمد محمود غالي: "الوصول إلى القواعد البديهية Intuitive التي يستعمل بمقتضاها صاحب اللسان لسانه الذي ولد فيه، وهو بهذا يرى أن كل صاحب لسان الذي ولد فيه يجيد الحديث به واستظهار قواعده دون تلقين في مدرسة أو معلم" [2]. وفي محاولة أخرى لفهم مبدأ التوليد عند تشومسكي يقول أحمد مؤمن في كتابه اللسانيات النشأة والتطور: "ويراد به عنده من جهة أخرى –يقصد تشومسكي– الجانب الإبداعي في اللغة أي القدرة التي يمتلكها كل إنسان لتكوين وفهم عدد لا متناه من الجمل في لغته الأم بما فيها الجمل التي لم يسمعها من قبل، وكل هذا عند الإنسان بطريقة طبيعية دون شعور منه بتطبيق قواعد نحوية معينة" [3]، بمعنى أن الإنسان يمتلك قدرة إبداعية تمكنه من خلال إتباع قواعد نحوية تكوين كل الجمل الممكنة في اللغة [4].

إن مفهوم التوليد مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالجانب الإبداعي في اللغة؛ أي القدرة التي يمتلكها الإنسان على إنتاج الجمل وفهمها في لغته الأم وإن لم يكن له معرفة سابقة بها؛ أي أن التوليد هو انبثاق تركيب أو مجموعة من التراكيب من جملة هي الأصل وتسمى الجملة الأصل بالجملة التوليدية "وأهم وصف للجملة التوليدية أنها

---

[1] زكريا، ميشال، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية –النظرية الألسنية–، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1986، ص 124.

[2] غالي، محمَّد محمود، أئمة النحاة في التاريخ، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1976م، ص9.

[3] مؤمن، اللسانيات، النشأة والتطور، ص206.

[4] المرجع نفسه، ص206.

الجملة التي لها معنى مفيدٌ مع كونها أقل عدد ممكن من الكلمات ومع كونها خالية من ضروب التحويل" [1].

القواعد التوليدية:

ينبني النحو التوليدي عند تشومسكي على قواعد محددة، وهي تعد جزءاً مهماً من العملية اللغوية التي تمر بها الجملة لتصل إلى شكلها النهائي، أي البنية السطحية أو الأداء الكلامي، وتنقسم القواعد التوليدية إلى نوعين هما:

1. القواعد المحدودة الحالة (Finite State Grammar).
2. قواعد بنية العبارة (Phrase Structure Grammar).

ولقد عبَّرَ "ماثيوس" عن هذه القواعد بقوله: "القواعد التوليدية مجموعة من القواعد الشكلية التي تولد جمل لغة ما، وتنسب إلى كل جملة مجموعة من الأوصاف البنيوية الملائمة"[2].

أما النوع الأول القواعد المحدودة الحالات، فهي قواعد تقوم على مبدأ توليد الجمل عن طريق سلسلة من الاختيارات (Series of Choices) تبدأ من اليسار إلى اليمين، أي عند الانتهاء من اختيار العنصر الأول، فإن كل اختيار يأتي عقب ذلك يرتبط بالعناصر التي سبق اختيارها مباشرة، وبناءً على ذلك يجري التركيب النحوي (Syntactic Structure) للجملة"[3].

ومعنى هذا أن القواعد المحدودة الحالات تسعى إلى توليد عدد من الجمل عبر سلسلة من الاختيارات التي تنطلق من اليسار إلى اليمين في اللغات الأوروبية، أما في اللغة العربية فيمكن أن تُطبَّق هذه السلسلة من اليمين إلى اليسار، ويقدم تشومسكي المثال التالي على ذلك:

---

[1] مؤمن، اللسانيات، النشأة والتطور، ص206.

[2] الشايب، فوزي، محاضرات في اللسانيات، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط1، 1999، ص381.

[3] ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص103.

1. The man comes.
2. The men come.

نجد أن البدء بكلمة (The) تؤدي إلى اختيار كلمة (Men, Man)، ولكــن إذا وقع الاختيار على إحداهما، فإن ما يليها يصبح اختياراً إجبارياً، لأن اختيار (Man) لا بد أن يتبعه اختيار (Comes) في حين أن اختيار (Men) يــؤدي إلــى اختيــار (Come) ويمكن أن نوسع دائرة الجملة بإضافة كلمات أخرى كأن نقول[1]:
"The old man comes".

ويمكن تمثيل سلسلة الاختيارات في الجملة السابقة على النحو الآتي:

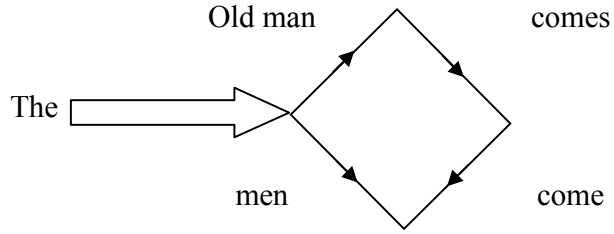

لقد أدى هذا الأنموذج من القواعد إلى نشوء جمل غير صــحيحة نحويــاً، ولا توافق حدس المتكلم، ممَّا أدى إلى عجزه، وخَلُصَ تشومسكي إلى رفضه؛ لذلك اقترح النمط الثاني من أنماط القواعد التوليدية الذي سمّاه قواعد بنية العبارة[2].

أما النوع الثاني من القواعــد التوليديــة "قواعــد بنيــة العبــارة" (Phrase Structure Grammar)،فهو يعد أكثر تلاؤماً من الأنموذج الأول "فنظراً لقصــور النموذج الأول طرح تشومسكي هذا النموذج ووصفه بأنه أكثر قــوة وفعاليــة مــن النموذج السابق، وأكثر تلاؤماً في وصف اللغات الإنسانية من سابقه"[3].

لقد جاء تشومسكي بهذا النموذج من القواعد لقدرته الكبيرة على توليــد أكبــر عدد ممكن من الجمل إلى جانب أنه "يسمح لنا بتوليد عدد كبير من الجمل بتطبيق عدد

([1]) ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص107.

([2]) مؤمن، اللسانيات، النشأة والتطور، ص207-208.

([3]) الشايب، محاضرات في اللسانيات، ص384.

قليل من القواعد، ويستخدم فيها نوعاً آخر من الأشـــكال التوضـــيحية عِوضـــاً عـــن المشجرات"[1].

ويتكون هذا النموذج من ثماني قواعد هي[2]:

1. الجملة ← مكون اسمي + مكون فعلي.
2. المكون الفعلي ← فعل + مكون اسمي.
3. المكون الاسمي ← أداة + اسم.
4. الفعل ← فعل مساعد + فعل.
5. الأداء ← "ال" والتنوين.
6. الاسم ← (رجل، كرة، كتاب).
7. الفعل المساعد ← (كاد، كان، جعل).
8. الفعل ← (ضرب، كتب، قرأ).

وتطبيق هذه القواعد على العربية من اليمين إلى اليسار، وهي قواعد تتألف من مركب اسمي ومركب فعلي، ويصاحبها القواعد المعجمية التي تترجم فيها التصنيفات النحوية إلى كلمات.

ولقد صاغ تشومسكي هذه القواعد في شكل شجرة تراكيـــب تظهـــر مختلـــف التغيرات التي تحدث للجملة في الرسم الآتي[3]:

([1]) علي، مدخل إلى اللسانيات، ص94.

([2]) الشايب، محاضرات في اللسانيات، ص384، وانظر أيضاً ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص121، وانظر أيضاً: باقر، مرتضى جواد، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2002، ص59.

([3]) الشايب، محاضرات في اللسانيات، ص386.

الجملة: الرجل سيضرب الكرة
The man will hit the ball

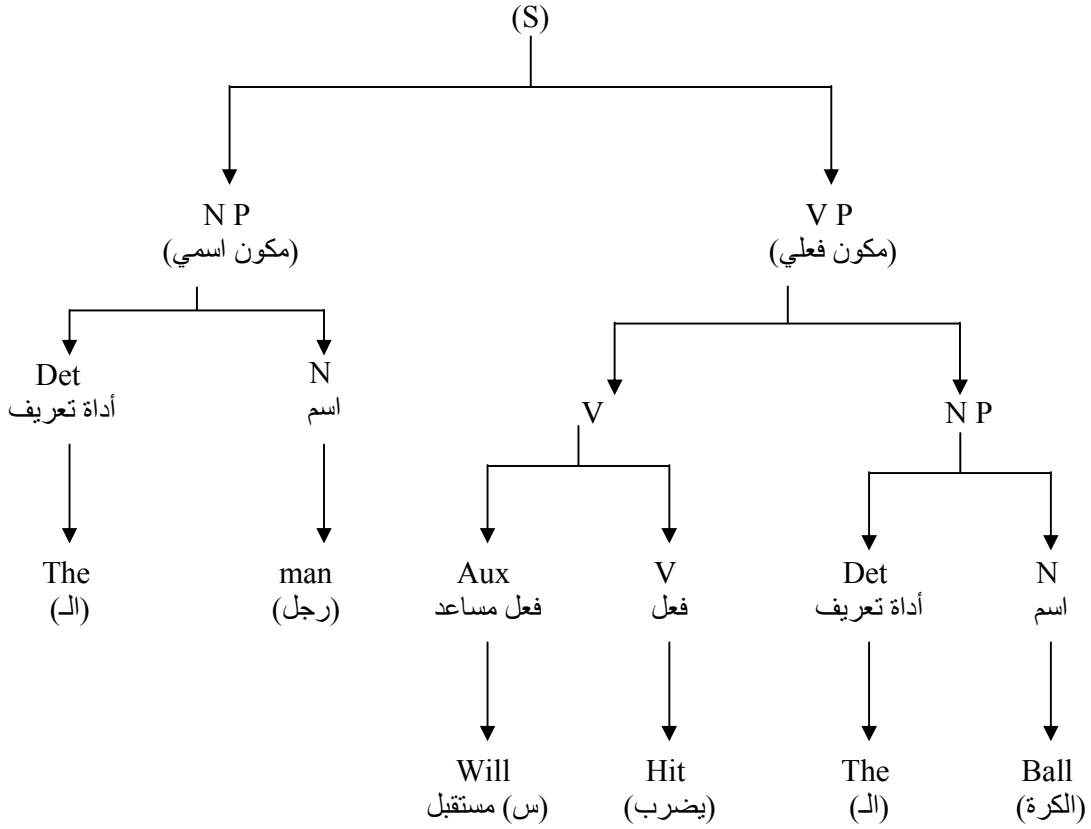

يعتبر هذا النموذج من القواعد أقدر من النموذج الذي سبقه، غير أن تشومسكي يعتبره عاجزاً عن تمثيل بعض الجمل، كما أنه عاجز عن تفسير بعض الجمل، وهذا ما عبَّر عنه تشومسكي: "بالنظر إلى توليد بعض الجمل التي بينها علاقة متبادلة مثل الجمل المبنية للمعلوم (Active) والجمل المبنية للمجهول (Passive) في اللغة الإنجليزية"[1].

([1]) ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص130.

وبعد أن أقرَّ تشومسكي بقصور نموذجيه السابقين في تفسير البنى التركيبية للجمل اتجه إلى عرض النموذج الثالث الذي أحدث به ثورة في اللسانيات، وبه يكتمل التمثيل والتفسير للتركيب الجملي، واكتسب بسببه شهرة واسعة، وهو نموذج القواعد التحويلية، وسنأتي عليه بالشرح والتفصيل لاحقاً.

التحويل: المفهوم والمصطلح:

قبل الخوض في مفهوم التحويل لا بد من الإشارة إلى أن أول من نادى بدراسته وتطبيقه في الدراسات اللسانية "هاريس" (Harris) وهو أستاذ تشومسكي، فقد تحدث هاريس عن التحويل الذي يجري باشتقاق جملة أو مجموعة من الجمل تسمى الجملة المحولة من الجملة النواة (الجملة الأصل).

ويعد العنصر التحويلي عاملاً أساسياً يعمل على تحويل أنماط لغوية أساسية إلى جمل[1]، وبإدخال عنصر التحويل على القواعد التوليدية تصبح تحويلية، فالتحويل من العناصر الأساسية لهذه النظرية –النظرية التوليدية التحويلية– والذي يعني الانتقال، أو التغيير من حالة إلى أخرى كما يمكن اعتبارها قواعد تنظم العلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية، وتحدث تغيرات عند البنية الناتجة عن القواعد النسقية حتى تقربها من صورتها المميزة، ويحدث ذلك بتغيير ترتيب عناصرها أو بحذف بعض منها انطلاقاً من جمل النواة، وهي التي ما زالت تحتاج إلى قواعد صرفية تطبق عليها فتصيرها جملة منجزة حقاً[2].

إن تقديم مفهوم للتحويل يدعونا للبحث في أساليب اللغة المتنوعة التي تخضع لها اللغة، فمبدأ التحويل يقوم على "تحويل جملة إلى أخرى متى تقاربت معانيها وإن اختلفت مبانيها، فعبارة "كُتِبَ الدرسُ" مثلاً تعتبر تحويلاً للعبارة المشابهة معنى المخالفة مبنى، وهي "كتبَ الولدُ الدرسَ"، وهناك قواعد متكاملة وضعها تشومسكي

([1]) عبد الجليل، عبد القادر، اللسانيات الحديثة، دار صفاء للطباعة والنشر، الأردن، ط1، 2002، ص275.

([2]) بلعيد، صالح، نظرية النظم، دار معرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001، ص80.

وأتباعه لتحويل الجمل من معلوم إلى مجهول، ومن تقرير إلى استفهام أو نفي وما شابه ذلك خاصة في الإنجليزية[1].

وعليه، فإن مفهوم التحويل كما ذهب إليه محمد محمود غالي هو الذي "يكشف لنا بطريقة جلية كيف تتحول الجملة النواة إلى عدد من الجمل المحولة، وأتى بجملة من القواعد التحويلية التي قد تكون وجوبية (Obligatory) أو جوازية (Optional) منها: الاستفهام، والنفي، والأمر، والمجهول، والعطف، والدمج،والإتباع، والزمان، والملحقات، والحدود الفاصلة... الخ، وبشكل عام فإن الطريقة المتبعة هي أنه بعد تطبيق القواعد المركبة (Phrase Structure Grammar) تُطبَّق مباشرة القواعد التحويلية (Transformational Rules) على السلسلة النهائية (Terminal String) لتشكيل الجمل المرادة"[2].

إن التحويل هو: الصورة المنجزة للقواعد التوليدية التي تخضع لقواعد تحويلية محددة، هذه القواعد هي التي تحول البنية العميقة للغة إلى البنية السطحية بواسطة عناصر تحويلية كالحذف والزيادة والترتيب وغيرها من عناصر التحويل، بمعنى آخر أنها تنتقل من المرحلة الفعلية إلى المرحلة الملموسة كتابياً أو نطقياً، فيقصد بالتحويل في النحو التوليدي التغيرات التي يدخلها المتكلم على النص فينقل البنيات العميقة المولدة من أصل المعنى إلى بنيات ظاهرة على سطح الكلام وتخضع بدورها إلى الصياغة الحرفية الناشئة عن التقطيع الصوتي[3].

إنَّ القوانين التحويلية هي قوانين –إن جاز التعبير– تكميلية تكمل الدور الذي تقوم به القواعد التوليدية، فهي تعمل بعد القواعد التوليدية، فالتحويل عملية تنقل المستوى العميق للجملة إلى مستواها الظاهر عن طريق مجموعة من القواعد التحويلية "فلأية قواعد لكل جملة من اللغة نجد تركيباً باطنياً وتركيباً ظاهرياً، وتربط

([1]) غالي، أئمة النحاة في التاريخ، ص9.

([2]) مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص207.

([3]) البناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ص81.

التركيبين بنظام خاص، يمكن أن تكون قواعد تحويلية ولو لم تصف نفسها بهذا الوصف، فالربط بين التركيب الظاهري والباطني هو التحويل"[1].

إن الهدف من مبدأ التحويل هو ضبط التركيب الذي يبنى عليه نظام اللغة والقواعد التي تحكمه، وملخص مبدأ التحويل عند تشومسكي "أن أهل اللغة قادرون على تحويل الجملة الواحدة إلى عدد كبير من الجمل"[2].

أي أن التحويل هو العملية التي يتم من خلاله تحويل الجملة النواة الأصلية إلى عدد غير محدود من الجمل المحوّلة.

القواعد (القوانين التحويلية) (Transformational Grammar):

لقد أشرنا في موضع سابق إلى مفهوم التوليد الذي يتكئ على الجانب الإبداعي في اللغة من حيث قدرة الإنسان على تكوين وفهم عدد لا متناهٍ من الجمل في لغته الأم، بما فيها الجمل التي لم يسمعها من قبل (أي كل الجمل الممكنة في اللغة)، وكل هذا يصدر عن الإنسان بطريقة طبيعية اعتماداً على قدرته العقلية وملكته اللغوية، فالتوليد اللغوي كما أشرنا سابقاً هو الصورة الذهنية للغة (البنية العميقة) قبل أن تصبح أداءً لغوياً منجزاً (البنية السطحية)، وهو الشكل النهائي للجملة، فالتوليد عند تشومسكي ناتج عن الكفاية اللغوية، أما التحويل فهو نتاج الأداء "وهناك قوانين تحويلية (إجبارية أو اختيارية) تقوم بتحويل التركيب الباطني إلى تركيب ظاهري"[3].

وللوصول بالبنية العميقة إلى شكلها النهائي (البنية السطحية) لا بد أن تخضع لمجموعة من القوانين والقواعد التحويلية "وتأتي هذه القوانين على صنفين مختلفين:

([1]) الخولي، محمَّد علي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار المريخ، الرياض، ط1، 1981، ص22.

([2]) استيتية، سمير، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، إربد، ط1، 2005، ص179.

([3]) الخولي، محمَّد علي، مدخل إلى علم اللغة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، 2000، ص120.

جوازية اختيارية، وإجبارية وجوبية، فالتحولات الأولى هي التي يجوز تطبيقها وعدم تطبيقها عند صياغة اشتقاق ما، ويظل الناتج في الحالتين جملة أما التحولات الوجوبية،فإنها إذا لم تطبق لا يكون الناتج جملة أبداً"[1].

أي أن التحويلات الاختيارية تُصبح الجملة نحوياً ودلالياً بها وبغيرها، كقاعدة البناء للمجهول وتقديم المفعول به على الفاعل جوازاً وتميز ذلك من القواعد الجوازية، أما الإجبارية فهي القواعد التي لا تصبح الجملة إلا بها كقاعدة المطابقة في العدد والجنس في الحالات الوجوبيّة للمطابقة،أما الحالات الجوازيّة للمطابقة فلنا أن نصنفها ضمن القواعد الاختيارية، ومما لا شك فيه أن هذه القواعد تتداخل فيما بينها، فقد يستمر تحويل إجباري عن تحويل اختياري للوصول إلى الصورة النهائية للجملة.

إن فكرة تشومسكي عن القواعد التحويلية يمكن تلخيصها في أن الجملة التي يتلفظ بها المتكلم تمر عند نطقها بمرحلتين متتابعتين، الأولى منها يتم فيها استخدام القواعد الأساسية التي ترتبط بكفاية المتكلم ومعرفته المختزنة باللغة، والثانية هي التي يتم فيها اللجوء إلى القواعد التحويلية وهي قواعد مرتبطة بالأداء، فهي تعمل على تحويل التركيب الأساسي الذي هو نتاج القواعد الأساسية التوليدية إلى جملة ذات طابع نحوي ونطقي ومعنوي نهائي، وقد سُمّيت البنية الأولى للجملة بنية عميقة فيما سميت الثانية بنية سطحية[2]، وعلى النحو الآتي:

([1])زكريا، ميشال، بحوث ألسنية عربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1992، ص49، وانظر أيضاً: محمَّد علي خولي، قواعد تحويلية للغة العربية، ص25.

([2])إيفتش، مليكا، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 2000، ص484، انظر أيضاً: مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص207.

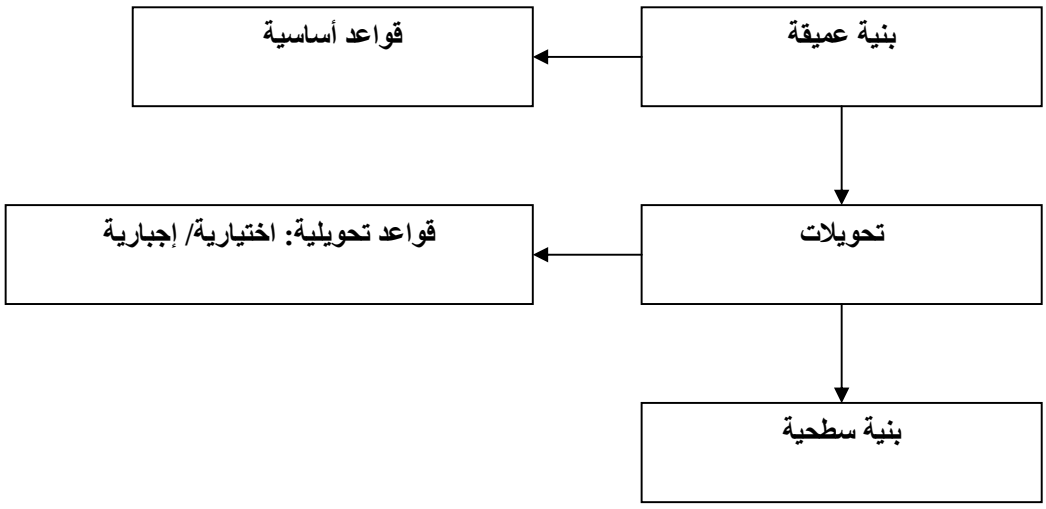

إنَّ عملية التحول من البنية العميقة إلى البنية السطحية تخضع لقواعد التحويل الاختيارية والإجبارية، وهذه القواعد لا تتم إلا بمجموعة من العناصر تسمى عناصر التحويل، وهي: (الحذف، الترتيب، الزيادة، التبعية، الإحلال)، "وهي عناصر تـــدخل على الجملة للربط بين أجزائها ولتحويل الجملة النواة إلى تحويلية، وتبقى الجملة في معناها كما هي تستوي قبل دخول عناصر التحويل عليها وبعد أن دخلتها؛ لأنَّها فـــي الحالتين تعبر عن بنية عميقة واحدة قائمة على الترابط بين المعاني الذهنية في الجمل النواة"[1].

ولتوضيح هذه العناصر نأخذ عنصرين من عناصر التحويل همـــا: الحـــذف، والترتيب، فنقول مثلاً:

([1]) عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص66. وانظر أيضاً: بكري، محمَّد بالحاج (2002). تراث العربية والفكر الألسني الحديث "بحث في المنهج والتطبيق"، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، العدد 15، ص39.

الحذف	←	كسر إنسان الزجاج	بعد التحويل ←	كُسِرَ الزجاج
		C + B + A	←	C + A[1]
				حذف الفاعل
الترتيب	←	عاد خالد	من الجامعة	قبل ساعتين
		A	B	C

يمكن بالترتيب أن يكون:

A + B + C
B + A + C
C + A + B
C + B + A[2]

ومن عناصر التحويل أيضاً التنغيم، وهو مصطلح يدل على ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام، وهذا الارتفاع والانخفاض لا يكون إلا لمعنى[3]، وهو عنصر لم يعطِهِ النحاة الأوائل أهمية في جانب التقعيد النحوي، ولعل ذلك راجع إلى اهتمامهم باللغة المكتوبة لا المنطوقة، وفي هذا يقول خليل العمايرة: "وإن التفاتهم –أي النحاة– إلى التنغيم فيه منصوص عليه ولا أثر لإشارة مباشرة إليه"[4].

ويرى تمَّام حسان أن التنغيم عنصر مهم من عناصر اللغة، ذلك أنه يؤدي وظيفة نحوية ودلالية مهمة وهو لا يكون في الجمل والتراكيب إلا لمعنى[5]، ولتوضيح هذا العنصر التحويلي في اللغة نعمد إلى تجربة خليل العمايرة في النحو التحويلي يقول: "فالجملة التوليدية: كتب التلميذ الدرس ونغمتها مستوية يمكن أن تتحول إلى كتب التلميذ الدرس بنغمة صوتية صاعدة لتفيد الاستفهام، وبنغمة صاعدة

([1])عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص66.

([2]) المرجع نفسه، ص66.

([3]) حسان، مناهج البحث في اللغة.ص164.

([4]) عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص34.

([5]) حسان، مناهج البحث اللغوي،ص64.

جداً مع نبر إحدى كلمات الجملة، لتفيد معنى الرهبة أو الإعجاب، فالجملة في وضعها الثاني والثالث هي جمل تحويلية فعلية جاء التحويل فيها باستخدام النغمة الصوتية"[1].

وخلاصة الأمر أن الكلام المنطوق المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقواعد التحويلية في اللغة، بها يتمُّ انتظام الكلمات في جمل يُعبِّر بها المتكلم عن علاقة ذهنية مجردة (المعنى) بكلماتٍ محسوسة منطوقة، وقد أورد تشومسكي لتوضيح ذلك المثال الآتي:
اللهُ الذي لا يُرى خلق العالم المرئي.

فهذه الجملة تحويلية، وهي البنية السطحية لمعاني ذهنية مجردة يمكن تمثيلها بالجمل النواة الثلاث الآتية:

ج1 ← اللهُ الذي لا يُرى
ج2 ← العالم مرئي
ج3 ← خلق اللهُ العالمَ

فيتم ارتباطها ببعض أو تحويلها؛ لتظهر في الجملة التحويلية الكبرى "الله الذي لا يُرى خلق العالم المرئي"، ويتم هذا التحويل بواسطة عدد من العناصر التي تستخدم بربط الجمل النواة بعضها ببعض، فترمز الجملة الكبرى إلى المعنى الذهني المجرد الكائن في ذهن المتكلم، وهو ذو دور رئيس في الوصول إلى المعنى الدلالي التركيبي الجملي[2].

ومما يلاحظ على القواعد التوليدية والتحويلية في البدايات الأولى للنظرية اللسانية عند تشومسكي إهمالها للجانب الدلالي، وهذا الأمر تنبه إليه تشومسكي في كتابه "Aspects of theory of syntax" الذي صدر سنة 1965،فأدخل تطويراً مهماً على نظريته اللسانية بإضافته العنصر الدلالي هذا التطوير الذي عرف بـ"النظرية المعيارية أو النموذجية standard theory".

([1]) عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص174.

([2])المرجع نفسه، ص59، وانظر أيضاً: الوعر، مازن، دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة، دار المتنبي للطباعة والنشر، دمشق، 2001، ص27.

ولقد هدف من خلاله إلى إغناء المكون الدلالي، فقد أدخل إلى نظريته فرضيتين الفرضية النموذجية لحل بعض الصعوبات المتعلقة بالمفردات، والفرضية التفسيرية بقصد التغلب على بعض المشكلات الدلالية، فقد ربط تشومسكي التمثيل الدلالي بالبنية العميقة والبنية السطحية على حد سواء[1].

ثالثاً: مكونات القواعد التوليدية والتحويلية

استطاع علماء المنهج التوليدي التحويلي ومن خلال منهجهم اللساني هذا أن يقدموا لنا مجموعة من الأسس والمبادئ والقواعد العامة التي تصلح أن تكون أساساً قوياً ينطلق منها اللساني لوصف اللغة وصفاً دقيقاً سواء أكان ذلك من خلال القواعد التوليدية أم القواعد التحويلية، فقيمة النحو التوليدي تتجلى في إنشاء انموذج للتمكن اللغوي يكون بمنزلة آلة ميكانيكية تساعدنا على وضع نظام دقيق أو نسق من القواعد يسمح بتوليد الجمل والعبارات الممكنة في اللغة، ولا بد لهذا النظام أن يشتمل على ثلاثة عناصر (مكونات) وهي:

1- المكون التركيبي أو النحوي (Syntactic component).

2- المكون الدلالي (Semantic component).

3- المكون الفونولوجي (الصوتي) (Phonological component)[2].

ومما تجدر الإشارة إليه أن المكون التركيبي وهو المكون الوحيد الذي يصف البنية العميقة للجملة (التركيب اللغوي)، ويحلِّل عناصرها ومكوناتها التي تتألف منها

([1]) الوعر، مازن، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس، دمشق، 1987، ص 59-63.

(2) زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص115-126، وانظر أيضاً: جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص135-139، وانظر أيضاً: زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية "النظرية الألسنية" ص137-156، وانظر أيضاً: تشومسكي، نعوم، اللغة والعقل، ترجمة بيداء علي العلكاوي، مراجعة سلمان الواسطي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1996، ص41.

في حين أن المكونين السابقين الدلالي والفونولوجي يقومان بعملية التفسير، فهما تفسيريان لا أكثر[1].

ولتوضيح الأمر نقول: إن المكون التركيبي هو المكون المسؤول عن توليد البنى التركيبية للجمل وتكوينها، ويتكون المكون التركيبي من مكونين هما:

1- المكون الأساسي ويشتمل على قواعد تكوين ومعجم.

2- المكون التحويلي وهو المسؤول عن تحويل البنى العميقة إلى بنى سطحية بواسطة مجموعة من القوانين تسمى القوانين التحويلية[2].

أما قواعد التكوين، فهي قواعد تقوم بوظيفة أساسية في تكوين المعلومات اللازمة لتوليد وتركيب الجمل الصحيحة الممكنة الصياغة اللغوية في اللغة عند من يتكلمها (ابن اللغة)، وتتخذ قواعد التكوين شكل إعادة الكتابة وقد عرضها تشومسكي على النحو الآتي:

1- الجملة ← مركب اسمي+ مركب فعلي.

2- المركب الفعلي ← فعل+ مركب اسمي.

3- المركب الاسمي ← مركب اسمي مفرد

مركب اسمي جمع.

4- مركب اسمي مفرد ← أداة تعريف + اسم

5- مركب اسمي جمع ← أداة تعريف+ اسم+ علامة جمع.

6- أداة تعريف ← (أل).

7- الاسم ← (رجل، كرة، باب....).

8- الفعل ← فعل مساعد+ فعل.

9- الفعل ← (ضرب، أخذ، أكل...).

---

(1)زكريا، ميشال، المكون الدلالي في القواعد التوليدية والتحويلية، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد 18، 1982، ص13.

(2) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص145-150.

10- المساعد ⟵ صيغ الفعل.

11- زمن الفعل ⟵ (ماضي، مضارع...) [1].

وقد تعامل اللسانيون العرب مع هذه القواعد بطريقة مغايرة نوعاً ما مع إجراء بعض التعديلات عليها؛ لتتناسب والجملة العربية ومن ذلك ما نجده عند ميشال زكريا، فقد قسم الجملة إلى ركنين هما: ركن الإسناد، وركن التكملة[2]، وسيأتي شرحها في الفصل الثالث، ولا بد من الإشارة إلى أن اللسانيين العرب لم يخرجوا عن الخطوط العريضة التي رسمها تشومسكي لقواعد التكوين.

أما القواعد المعجمية التي تظهر في المكون الأساس فهي مجموعة من المفردات والسمات المعجمية بالإضافة إلى الخصائص النحوية والصوتية والدلالية للمفردة[3]. ومن هذه السمات المعجمية نذكر (اسم، عام، متحرك، عاقل، مذكر، مفرد، إنسان، حي، ثابت...الخ)، وتتوزع هذه السمات بين المركبات الأساسية للجملة أي بين المركب الفعلي والمركب الاسمي والمركب الحرفي، بحيث يأخذ كل مركب من هذه المركبات سماته المعجمية الخاصة به، فالفعل مثلاً له سماته المعجمية الخاصة به، ولتوضيحه أقدم المشجر الآتي:

---

(1) ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص136.

(2) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص45.

(3) تشومسكي، جوانب من نظرية النحو، ص12.

مركب فعلي

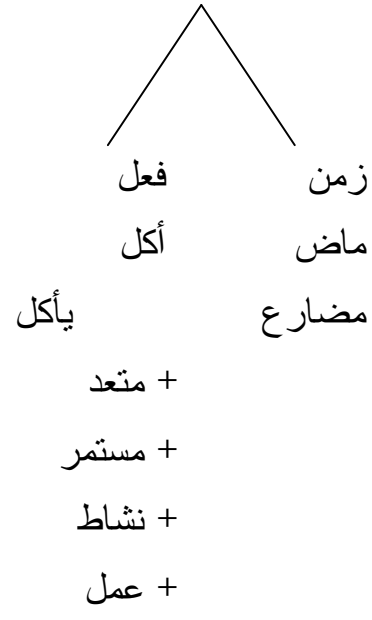

وكما هو حال الفعل في هذه القواعد كذلك الاسم وتوضيحه من خلال المشجر الآتي:

مركب اسمي

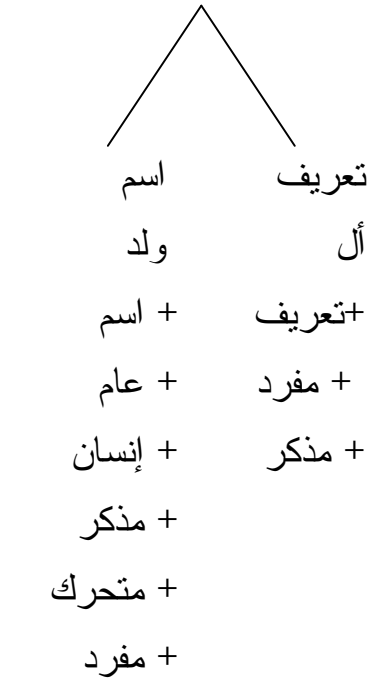

وبالحديث عن المكوِّن الثاني من مكوّنات المكوِّن التركيبي أعني المكوِّن التحويلي، فهو المكوِّن المسؤول عن تحويل البنى العميقة المولّدة في المكوِّن الأساس

إلى بنى سطحية عن طريق القوانين التحويلية[1]. وكنا قد أشرنا في موضع سابق إلى أن هذه القوانين تنقسم إلى قسمين: اختيارية وإجبارية، فالإجبارية لا بد من تطبيقها على الجملة للحصول على جملة صحيحة نحوياً، والاختيارية يجوز تطبيقها كتحويل المبني للمعلوم إلى مبني للمجهول ومن أبرز هذه القوانين (الحذف، التعويض، الإضافة، النقل) [2]، ويكون عمل هذا المكون على النحو الآتي:

بنية عميقة ← مكون تحويلي ← بنية سطحية

D.S (قوانين تحويلية إجبارية واختيارية) S.S

أما المكون الثاني من مكونات القواعد التوليدية والتحويلية وهو المكون الدلالي ويتناول هذا المكوّن القضايا المتعلقة بالدلالة أو بالمعنى، فيدرس دلالات العناصر اللغوية[3]. ويُعد هذا المكون مكوناً تفسيرياً يقوم بتفسير وتوضيح الدلالات والمفردات في البنية العميقة للتركيب اللغوي، وقد حصر ميشال زكريا عمل هذا المكون في جانبين هما: المعجم وقواعد الإسقاط، فالمعجم يحدد دلالة المفردة ضمن السياق اللغوي الذي توجد منه مثل مفردة طاولة، فيمكن تجزئة هذه المفردة من خلال المعجم إلى مجموعة من السمات وعلى النحو الآتي:

الطاولة (مصنوع، متاع، مجهول، شيء له أرجل، شي له مقعد، مقعد لشخص واحد...إلخ) [4].

أما قواعد الإسقاط، فهي التي تقوم بتعداد القراءات التي تُسند الى مختلف مفردات الجملة وبتوضيحها وذلك على ضوء البنية العميقة التركيبية والمشيرات

---

(1) الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، ص38، وانظر أيضاً: لوشن، نور الهدى، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2001، ص335.

(2) الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، ص40، ص23، وانظر أيضاً، البهناوي، حسام، القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، مكتبة الثقافة الدينية، دار المنهل، القاهرة، 1992، ص101.

(3) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة (النظرية الألسنية) ص139.

(4) المرجع نفسه، ص142.

الدلالية العائدة لكل من مؤلفات هذه البنية، فهذه القواعد تفرق بين المفردات المعجمية وبين البنية التركيبية[1]. وبمعنى آخر أن هذه القواعد تضطلع بدور مهم في كونها تسقط المعنى على بنية معينة؛ لتوضيحها وتفسيرها إلى جانب دورها في تكوين، وإعطاء التراكيب الصحيحة نحوياً من خلال الربط بين السمات المعجمية للمكون التركيبي والسمات المعجمية للمكون الدلالي.

وبالحديث عن المكون الأخير من مكونات القواعد التوليدية التحويلية (المكون الفونولوجي)، فإن هذا المكون يشتمل على مجموعة القوانين الصوتية والصرفية، وهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبنية السطحية للتركيب اللغوي، ويبحث هذا المكون في القواعد التي تصف الجملة بواسطة تمثيلات فونتيكية مأخوذة من النظرية الألسنية العامة،ويتكون المكون الفونولوجي من: المعجم الفونولوجي، والقواعد الفونولوجية، إذ يتكون المعجم من: الخصائص العامة،والخصائص الدلالية، والخصائص التركيبية للمورفمات التي تستمد من الخصائص النطقية لها، في حين تتكون القواعد الفونولوجية من أصناف من القواعد من مثل: (قاعدة حذف مقطع معين، قاعدة إدراج مقطع معين، قواعد مماثلة، قواعد مخالفة، قواعد قلب مكاني...الخ) [2]. وبعض الباحثين يسمي هذه القوانين بقوانين "التأويل الصوتي"[3]، التي تصل بالجملة إلى صورتها النهائية.

وفي إطار توضيح العلاقة القائمة بين المكونات الأساسية للقواعد التوليدية التحويلية يقدم تشومسكي بشكل واضح لهذه العلاقة، فهو يبين علاقة كل مكون بالآخر إلى جانب توضيح عمل كل من هذه المكونات، ويستخدم مصطلح البنية العميقة

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) ص143.

(2) المرجع نفسه، ص138-139.

(3) باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص64.

(D.S) ويربطه بوضوح بالبنية السطحية (S.S)،ويقف على أبرز العلاقات القائمة بين البنيتين[1]. ولتوضيح العلاقة القائمة بين هذه المكونات يعتمد الرسم الآتي:

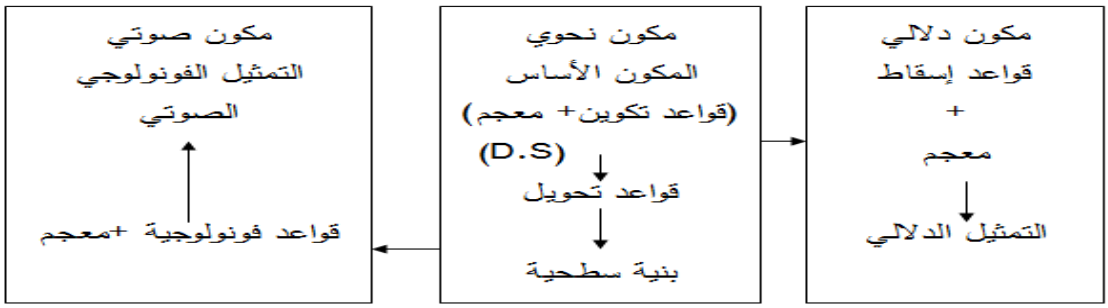

نلحظ من الرسم السابق أن البنية السطحية ما هي إلا تفسير صوتي للبنية العميقة التي تقوم بدورها بالتفسير الدلالي للجملة، إلى جانب دورها في الربط بين قواعد التركيب، وقواعد التحويل، وقواعد الإسقاط التي يتحصل من تطبيقها التمثيل الدلالي[2].

رابعاً: أطوار النظرية التوليدية التحويلية وتطوراتها

لقد شكل ظهور النظرية التوليدية التحويلية في الدراسات اللسانية ثورة معرفية ولغوية فاق صداها الآفاق، ومنذ ولادتها فقد طُبعت هذه النظرية بالعقلانية والواقعية، العقلانية في كونها تؤمن بالجانب الخلَّاق والإبداعي في سير العمليات اللغوية واكتساب اللغة، والواقعية من خلال إفادتها من معطيات المدارس اللسانية التي سبقتها أو التي سارت معها جنباً إلى جنب، كاعتمادها على بعضٍ من أفكار المدرسة التوزيعية آنذاك على سبيل المثال، الأمر الذي أدى إلى إيجاد وتكوين نظرية لسانية رائدة في ميدان الدراسات اللسانية احتلت مركزاً قيادياً بين العلوم الإنسانية كافة[3].

---

(1) زكريا، المكون الدلالي في القواعد التوليدية والتحويلية، ص13.

(2) بارتشت، بريجتيه، مناهج علم اللغة (من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي)، ترجمة سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004، ص278.

(3) المزيني، حمزة بن قبلان، مراجعات لسانية، الناشر النادي الأدبي بالرياض، ط1، 1410هـ-1990م، ص9.

ومما لا شك فيه أن هذه النظرية لم توجد مكتملة دفعةً واحدة، بل مرت بأطوار ومراحل مختلفة وبسلسلة من التطورات، بدءاً من نسختها التي ظهرت في كتاب تشومسكي "البنى النحوية (1957)"، وانتهاءً بالبرنامج المصغّر أو كما يحب بعضهم أن يسميه بـ "برنامج الحد الأدنى" من باب الاختلاف في الترجمات، وقد ظهر هذا البرنامج في منتصف التسعينات من القرن السابق وتحديداً عام 1995، وفيما يلي عرض موجز لمراحل هذه النظرية، وأبرز الخصائص والسمات العامة التي طبعت كل مرحلة من هذه المراحل:

1- مرحلة البنى التركيبية

تمثل هذه المرحلة الصورة الأولية والمبسطة للقواعد التوليدية والتحويلية أو ما يعرف بالنحو التوليدي التحويلي، فقد ظهرت هذه المرحلة بظهور كتاب تشومسكي "البنى التركيبية (Syntactic Structures) (1957)"[1]، وهو الكتاب الذي تقدم به تشومسكي إلى جامعة بنسلفانيا، ومنح عليه درجة الدكتوراه في الدراسات اللسانية[2]، وفي هذا الكتاب ينتقد تشومسكي المدرسة الوصفية التركيبية الأمريكية التي قصرت الدراسة اللسانية على الوصف دون التفسير[3]، فتشومسكي في كتابه هذا ينتقل بالدراسات اللسانية التركيبية من الوصف إلى التفسير الذي هو أساس مهم في فهم قضايا اللغة وأسرارها.

---

(1) ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص29، وانظر أيضاً: زكريا، النظرية الألسنية وقواعد اللغة العربية، النظرية الألسنية، ص11.

(2) تشومسكي، نعوم آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص13.

(3) حسام الدين، كريم زكي، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1985، ص67.

وتعد هذه المرحلة "مرحلة البنى التركيبية" المرحلة الأم للنظرية التوليدية التحويلية، حيث أسس تشومسكي لمنطلقاته الفكرية واللسانية التي شكلت في جملتها المنهج التوليدي التحويلي في الدراسة اللسانية ومن أبرز هذه المنطلقات:

1- الدعوة إلى دراسة اللغة من منطلق عقلاني وضرورة النأي بالدراسات اللسانية عن الوصف والتقليد.

2- غياب الحديث عن العلاقة بين النحو والدلالة عند تشومسكي في هذه المرحلة، فقد كان يرى أن القواعد التركيبية ذات كيان مستقل ولا علاقة لها بالدلالة.

3- دعا إلى استقلالية المستوى التركيبي عن المستويين الصوتي والدلالي.

4- حدد في هذه المرحلة طرق التحليل اللغوي في النظرية التوليدية التحويلية كما أشرنا سابقاً وهذه الطرق هي:

أ- طريقة القواعد النحوية Pinite Stat grammar.

ب- طريقة قواعد تركيب الجملة Phrase Structure grammar.

ج- طريقة النحو التحويلي Transformational grammar.

5- لم يتطرق تشومسكي في هذه المرحلة إلى العلاقة بين النحو والدلالة، فقد فصل بينهما غير أنه عاد عن رأيه هذا في النظرية النموذجية الموسعة كما سنشير لاحقاً.

6- اعتمد تشومسكي في هذه المرحلة على قوانين محددة لتوليد الجمل تسمى بالقوانين الأساس والقوانين التحويلية وما يتخللها من تغيرات صوتيه وفونيمية ومعجمية[1].

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية النظرية الألسنية، ص12، وانظر أيضاً: باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص9-10، وانظر أيضاً كتاب تشومسكي الآتي:
Chomsky, Naom, Syntactic Structures (Paris, the hagne 1976) 12 printing, p.p 13-16

لقد شكلت هذه المرحلة "البنى التركيبية" تأطيراً نظرياً وشكلياً للنظرية التوليدية التحويلية، فتشومسكي في هذه المرحلة لم يوضح إلى حد بعيد منهجه في التحليل والتفسير وخصوصاً على مستوى التطبيق، فقد عرض فيه لمكون الجملة الأولى ثم المكون الركني ثم المكون التحويلي فالمكون الفونولوجي الذي يمثل البنية السطحية، ففي هذه المرحلة لا نجد مستوى البنية العميقة ولا مرجعية التفسير الدلالي التي أخذت موقعها في النموذج اللاحق وهو النظرية النموذجية.

2- مرحلة النظرية النموذجية والنموذجية الموسعة

يمكن لنا أن نطلق على هذه المرحلة وصفاً دقيقاً يعبر عنها خير تعبير إذ توصف بالتطويرية، فقد أدخل تشومسكي في هذه المرحلة تعديلات مهمة على الجوانب النظرية والمنهجية للنظرية اللسانية، وتمّ له ذلك من خلال أنموذجين الأول: النظرية النموذجية (Standard theory)، والثاني: النظرية النموذجية الموسعة (Extended Standard theory) وقد أثار تشومسكي هذين النموذجين في كتابه جوانب من نظرية النحو (Aspect of the Theory of Syntax)[1]، الذي نشره عام 1965 أي بعد مرور ثماني سنوات على نشره كتابه التراكيب اللغوية أو البنى النحوية، وقد تميز النموذج الأول النظرية النموذجية بالسمات الآتية:

1- طوّر تشومسكي عمل المكون التركيبي ومكوناته، فقد أدخل عليه مكونين هما: المكون الأساس، والمكون التحويلي، وجعل المكون الأساس يتكون من: قواعد تركيب وقواعد معجم، وإلى جانب ذلك طور على قواعد التكوين حيث أصبحت الجملة تتكون من مركب اسمي+ مركب مسند، والمركب المسند يتكون من فعل مساعد+ مركب فعلي، واعتمد في ذلك على قواعد صنفية (Categorical Rules)، وقواعد التصنيف الجزئي (Sub

---

(1) Chomsky, Naom, Aspect of the Theory of Syntax, 20th printing (the M.I.T press 1998 وقد ترجم مرتضى باقر هذا الكتاب بعنوان (جوانب من نظرية النحو) والذي نشر بجامعة البصرة عام 1985.

Categorization Rules)، التي تقوم بتحديد انتقاء الفعل وفقاً لفاعله ومفعوله، وتحدِّد إلى جانب ذلك صنف الفعل من حيث الأصناف النحوية الأخرى.

2- إجراء بعض التعديلات التي طالت المكون التحويلي، وتشومسكي إذ قام بهذه التعديلات على المكون التحويلي كان يبغي التخلص من مشكلة الطول اللامتناهي للجمل حين تتداخل جملة في أخرى، لذلك قلّص وظيفة القوانين التحويلية في هذا النموذج؛ ليتخلص من التحويلات المعمّمة التي سادت في المرحلة الأولى.

3- اتضح في هذا النموذج مفهوم البنية العميقة (D.S) من خلال توضيح العلاقات الوظيفية لمفردات الجملة داخل البنية العميقة كالفاعل والمفعول به والمسند...الخ.

4- ظهور ما سمي بالمكون الدلالي (Semantic component)، وهو المكون الذي أهمله تشومسكي في الطور الأول من أطوار نظريته اللسانية.

5- في هذا النموذج عرض تشومسكي لثلاثة مكونات مرتبطة بالقواعد التوليدية والتحويلية وهي:

أ- المكون التركيبي.

ب- المكون الدلالي.

ج- المكون الفونولوجي.[1]

ولعل أبرز ما ميز هذا النموذج اقتران القواعد التوليدية التحويلية بالدلالة[2]، وهذا تطور مهم أصاب النظرية التوليدية التحويلية، حيث إن معنى الجملة عند

---

(1)تشومسكي، جوانب من نظرية النحو، ص12-15، وانظر أيضاً: باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص12-15 و 62-70، وانظر أيضاً:

Chomsky, Naom, Aspect of the Theory of Syntax, 20th printing (the M.I.T press1998), p.p 120-122 and 128-145.

(2) ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص161.

تشومسكي أصبح مشتقاً من كل جوانبه من البنية العميقة بواسطة قواعد التفسير الدلالي، أما التفسير الصوتي (الفونولوجي)، فهو مشتق من البنية السطحية وبواسطة القواعد الفونولوجية[1] التي تقوم بالمطلوب منها في هذا الجانب، وهو إنجاز الجمل على صورتها النهائية.

ويبقى أن نشير إلى أهم الأسباب التي دعت تشومسكي وعلماء النظرية التوليدية إلى التطوير على معطيات المرحلة الأولى "البنى التركيبية" وصولاً بها إلى مرحلة النظرية النموذجية، ولعل أهم الأسباب لذلك:

1- قصور المرحلة الأولى عن ضبط الفروق الدلالية في البنية العميقة في عبارات من نوع "انفتح الباب"، و "علي فتح الباب" و"الريح فتحت الباب"، فالمنهج النموذجي يعتبر الأسماء (الباب، علي، الريح) فاعلين في البنية العميقة، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل نجد أن أشهر علماء الدلالة التوليدية "فيلمورFilmore" اعتبر الفعل في الجمل السابقة نواة مركزية لا بد له من موضوع وجوبي وهو الباب وفاعلاً جوازياً هو علي، وأداة هي الريح، وهذا التصنيف الذي جاء به فيلمور أطلق عليه "الرتب الدلالية"[2]. وهذا يعني أن الفعل يحتل مركزاً هاماً وحيوياً في الجملة.

2- لم يعط تشومسكي أهمية للجانب الدلالي للتراكيب اللغوية في نموذجه الأول "البنى التركيبية"، فقد كان يحكم على أصولية الجملة مستنداً إلى ترتيب عناصرها اللغوية التي تعطي جملة صحيحة نحوياً، وإن كانت مجردة من الدلالة (المعنى)، فقد كان موقف تشومسكي ثابتاً بعزل النحو عن علم الدلالة، مما أدى إلى حدوث قصور في المرحلة الأولى "البنى التركيبية" في تفسير بعض الجمل، وإن جملة من مثل "يشرب الحليب

---

(1) ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص162.

(2) الوعر، نحو نظرية لسانية عربية، ص349-350. وانظر أيضاً: ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص173.

الطفل" لم تستطع النظرية الأولى "البنى التركيبية" منع اشتقاق نماذج لغوية كالجملة المحددة، وترك الأمر للتفسير الدلالي لرفض مثل تلك الجملة وهذه المسألة أدت إلى إضعاف فعالية القواعد التوليدية، فإذا عدنا وذكرنا بأن القواعد هي التنظيم الذي يتيح لنا إنتاج الجمل الأصولية فقط يتبين لنا أن على القواعد أن تمنع إنتاج الجملة: يشربُ الحليب الطفلُ[1]. ولعل هذا الأمر هو الذي جعل خصوم تشومسكي يقولون بأحقية وأفضلية الجانب النحوي على الجانب الدلالي الذي يشكل الطرف الآخر من أطراف العملية اللغوية[2]. على اعتبار أن اللغة وسيلة للتواصل والتعبير عن الحاجات، وأن تجردها من الدلالة أمر مرفوض بناءً على ذلك.

3- التعديل الجذري الذي قام به فيلمور" Filmore" والذي ارتكز على ضرورة أن تقوم العلاقات المعنوية بتفسير ومعالجة التحليل النحوي، وهذه العلاقات ما هي إلا علاقات عميقة، تكون نطاقاً عاماً ينطبق على كل اللغات بغض النظر عن ترتيب العناصر اللغوية في الجملة التي تختلف من لغة إلى أخرى، فهو بهذا -أي فلمور- يضع العلاقات المعنوية والدلالية أولاً في التحليل اللغوي، ثم تتحول هذه العلاقات وبواسطة قواعد نحوية، صرفية، تحويلية، وصوتية إلى الشكل الظاهر للجمل، وفيلمور لم يكتفِ بالحديث عن ما أسميناه "الرتب الدلالية" في التراكيب وحسب كما أشرنا سابقاً، بل اهتم بدراسة البعد الدلالي للكلمات، فهو يرى أن الكلمات المترادفة لغوياً في دلالاتها السطحية تمتلك دلالات عميقة، ومن ذلك لفظي "الغيث والمطر"، فهما مترادفان من حيث الدلالة السطحية، ولكن لكل منهما دلالة عميقة[3]. ومن الإسهامات التي أدخلها فيلمور على النظرية

---

(1) زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص113.

(2) مور، وكارلنغ، فهم اللغة نحو علم لغة لما بعد مرحلة تشومسكي، ص113.

(3) الوعر، قواعد تحويلية للغة العربية، ص 562.

التوليدية والتحويلية ما سمي بنظرية الحالة النحوية (Case grammar)، فقد نشر عام 1968 بحثاً بعنوان حالة الحالة (the case for case) ناقش فيه نظرية الحالة النحوية، وتوصل إلى نتيجة مفادها: أن التحليل النحوي الحقيقي للجمل هو الذي يكشف بصورة مقنعة عن مكونات الجملة في أعمق مستوى من مستويات التحليل النحوي، أي يكشف عما أسماه بالحالات النحوية مثل الفاعل (Ager) والأداة (+ Instrument) والمكان (Place) [1]. وفيلمور إذ يعتمد على هذه النظرية لكونها الوسيلة الفعّالة التي تستطيع فحص دلالة الجملة المدخلة واختيارها، وذلك من خلال وضع رمز رقمي يحدد فئة (الفاعل، المفعول به، الأداة) وغيرها من الحالات النحوية المرتبطة بالحدث (الفعل) [2]. ومما لا شك فيه أن هذه النظرية لاقت رواجاً عند بعض اللسانيين العرب[3] والذين وصفوها بالنظرية المناسبة لدراسة النحو العربي ومعطياته في ضوئها.

وبالنظر إلى هذه المرحلة (مرحلة النظرية النموذجية) نجدها بمثابة تطوير وتوضيح لمخططات تشومسكي اللغوية التوليدية والتحويلية، إذ نجده في هذا الأنموذج يوضح بشكل جلي أبرز مصطلحات نظريته، كمصطلحات البنية العميقة، البنية السطحية، القدرة اللغوية، الأداء الكلامي، أصولية الجمل ومقبوليتها النحوية والتي تشكل مجتمعة المعطيات الفكرية للنظرية الألسنية الجديدة.

---

(1) ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص169.

(2)محمَّد، سلمى عبد الباقي؛ ومرهون، علي فاضل؛ وعثمان، زينب إبراهيم، الترجمة الآلية من العربية إلى الإنكليزية لبعض أنواع الجمل الفعلية، بحث مستل من أطروحة دكتوراه، مجلة علوم ذي قار، العراق، المجلد2، العدد الأول، كانون الثاني، 2010، ص93.

(3) من هؤلاء: محمَّد علي الخولي الذي يرى أن نظرية فيلمور هي النظرية أو الفرضية الأنسب لدراسة اللغة العربية من خلالها فهي فرضية خالية من العيوب تماماً وميزاتها قوية على خلاف الفرضيات الأخرى، انظر: الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، ص50 وما بعدها.

أما مرحلة النظرية النموذجية الموسعة (Extended Standard theory)، فقد ظهرت نتيجة التطور الذي أصاب النظرية التوليدية التحويلية؛ بفعل الدراسات الدلالية التي دعت إلى ضرورة ربط النحو بالجانب الدلالي، لذا قام تشومسكي بتعديل النظرية "النموذجية" ليصل بها إلى النظرية النموذجية الموسعة عام 1972م[1]. وكان الظهور الأول لهذه النظرية في أعمال تشومسكي التي صدرت عام 1972 بعنوان "دراسات الدلالة في القواعد التوليدية" (Studies on Semantic in generative grammar)، وكتابه الآخر الذي عنون بـ "القيود على التحويلات Conditions on Transformations"[2]. أما أبرز إضافات هذا النموذج نجمله في النقاط الآتية:

1- اعتماد التمثيل الدلالي على البنية العميقة والسطحية معاً، فقد كان التمثيل الدلالي في النظرية النموذجية يقتصر على البنية العميقة دون السطحية مع ضرورة أن تكون البنية العميقة في هذا النموذج بنية دلالية لا نحوية، وهذا ما صرح به "لاكوف" قائلاً: "إن البنى العميقة يجب أن تكون دلالية"[3] أو مساوية للتأويل الدلالي للجملة.

2- ظهور نظرية الأثر (Trace theory) أو ما يعرف بـ (T-Model)، وتنص هذه النظرية على أن المركبات الاسمية عندما تنتقل من موضع إلى آخر تترك وراءها في موضعها الأصلي أثراً، وهو ما يعرف في اللغة العربية بالضمير.

---

(1) الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة، ص60-62، وانظر أيضاً، الشايب، محاضرات في اللسانيات، ص400.

(2) Chomsky, Naom, Studies on Semantic in generative grammar, (the Hague mouton 1972) and: Conditions on transformations (New York 1973)

(3) بالمر، فرانك، علم الدلالة، ترجمة مجيد الماشطة، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1985، ص141.

3- الاقتصاد في استخدام القوانين التحويلية وتوحيدها ضمن قانون واحد عرف باسم قانون نقل الألف (Move A) [1].

4- ارتباط المكونين الدلالي والفونولوجي بالمكون التركيبي عند البنية السطحية، وقد أصبح يطلق على المكون الدلالي "الصورة المنطقية Logical form" والمكون الصوتي "الصورة الصوتية Phonetic form"[2].

5- الاعتماد على السمات الذاتية والانتقائية للمفردات، ويقصد بالسمات الذاتية الصفات المعجمية الخاصة بالمفردة والتي لا تتغير بتغير سياق الكلام، وهذه السمات تنطبق على الفعل، الاسم، الحرف والأداة من مثل (+حدث، +زمن، +متعد...الخ)، أما الصفات الانتقائية، فهي التي يجب أن تتصف بها العناصر التي ترد مع المفردة من مثل: (+فاعل، +مذكر، +عاقل، +متحرك...الخ)، فلكل مفردة دلالتها المميزة التي تميزها عن غيرها، ويمكن لنا أن نضيق المعنى أو نوسِّعه عن طريق إضافة ملامح "سمات" أو حذف ملامح[3]. وهذا ما تضطلع به النظرية التحليلية.

وختام القول في النموذج الدلالي الجديد المتمثل في النظريتين النموذجية والنموذجية الموسعة أنه وعلى الرغم من وجود بعض الفروق بينهما إلا أنهما يشتركان في قواسم مشتركة، فالاختلاف بينهما ينحصر فقط في العلاقة بين الدلالة والنحو[4]. وهذا على وجه الخصوص، أما إذا أردنا أن نتبين الفرق بين المرحلة الأولى للنظرية التوليدية التحويلية مرحلة "البنى التركيبية"، والمرحلة الثانية "مرحلة النظرية النموذجية والنموذجية الموسعة"، فإننا نكتفي بقول جون ليونز تلميذ

---

(1)باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص 119.

(2) تشومسكي، نعوم، المعرفة اللغوية وأصولها واستخدامها، ترجمة وتعليق محمَّد فتيح، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1993، ص17.

(3)عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1988، ص126.

(4) الشايب، محاضرات في اللسانيات، ص404.

تشومسكي إذ يقول: "إن الخلاف الأساسي بين الدلالة التوليدية ونظرية تشومسكي يتمثل في أن نظرية تشومسكي ذات أصول نحوية بينما الدلالة التوليدية ذات أصول دلالية، ومعنى هذا أنَّ نظرية تشومسكي اللغوية تضع كل القدرة التوليدية للقواعد على المستوى النحوي، بينما يضع علم الدلالة التوليدي كل القدرة التوليدية للقواعد النحوية في القواعد الدلالية"[1]. فالقواعد الثلاثة الأولى في النظرية الأولى "البنى التركيبية" تمكننا من توليد جمل صحيحة لغوياً، وتتفق وضوابط اللغة لكنها غير مقبولة من حيث المعنى وهذه المعضلة تم حلها والتخلص منها في النموذجين: النموذجي والموسع.

3- مرحلة نظرية العمل والربط (المبادئ والوسائط)

ظهرت ملامح النظرية الأولى، نظرية العمل والربط (Binding theory and government)، والتي يرمز لها بـ (G.B) في كتاب تشومسكي " Lectures on government and Binding" الذي نشر في عام 1981 والمعروف بـ "المعرفة اللغوية –طبيعتها وأصولها واستخدامها" (Knowledge of Language- its Nature, origin, and use)[2].

وقد وصفت هذه النظرية بأنها نظرية ثورية[3]. فهي أول مقاربة حقيقية ومبدعة للغة طوال الألفين وخمسمائة سنة الماضية، وهي تختلف تصورياً اختلافاً شاسعاً عن التفسيرات السابقة للغة سواء التقليدية منها أم التوليدية، كما أنها تسعى لمعرفة المبادئ العامة التي تُحدِّد خواص نظام القواعد الكلي الذي يتطور في ذهن

---

(1) ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص182.

(2) Chomsky, Naom: Knowledge of language: its Nature, origin and use(New York praeger: 1986) وهذا الكتاب ترجمه إلى العربية محمَّد فتيح وهو من منشورات دار الفكر العربي، القاهرة، لسنة 1993، وللمزيد من المعلومات حول نظرية العمل والربط انظر هذا الكتاب:

Chomsky, Naom: Lecteres on government and binding, foris publications, Holland, first edition, 1981.

(3) تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، ص69.

المتكلم أو مكتسب اللغة[1]، ويتم ذلك من خلال عدد قليل من المبادئ العامة نوعاً ما، بحيث يكون كافياً لتحصيل نتائج أنظمة القواعد المعقدة والمسهبة الخاصة بكل لغة على حده[2]. ومن هذه المبادئ العامة التي يتوصل من خلالها اللساني إلى أنظمة القواعد إلى أنظمة القواعد نظريات بعينها وهي:

1- نظرية (X) البارية X-Bar Theory

2- نظرية الحدود Bounding Theory

3- نظرية الحالة Case Theory

4- نظرية العمل Government Theory

5- نظرية الربط Binding Theory

6- نظرية المحور Thematic Theory

حيث تقوم هذه المبادئ والنظريات ومن خلال قوالب متفاعلة فيما بينها وما داخلها من أفكار ومعطيات في تكوين وتحصيل أنظمة القواعد المعقدة والمسهبة والخاصة بكل لغة، و يُعالج الاختلاف بين أنظمة اللغات البشرية من خلال التنوعات الوسائطية التي تتضمنها هذه المبادئ ضمن النظرية الكلية (المبادئ والوسائط)، فالنظريات السابقة نظريات فرعية تتكامل مع بعضها في العمل؛ لتشكيل البنية الجملية وتفسيرها، وقد أثبتت الدراسات اللغوية أفضلية هذه النظرية في إعطاء تفسيرات دقيقة وصحيحة لكل تعقيدات هذا النظام الكلي[3].

4- مرحلة البرنامج المصغر (الأدنى، الأدنوي) (Minimalist Program)

ظهر هذا البرنامج في أعمال تشومسكي في الفترة الواقعة ما بين العامين (1993-1995)، وتحديداً في الدراسة التي قدمها تشومسكي التي حملت عنوان هذه

---

(1)باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص86.

(2) تشومسكي، المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها، ص175.

(3)أبو عاصي، حمدان رضوان، التطورات النظرية والمنهجية للنظرية التوليدية في نصف قرن، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد 4، العدد 3، أكتوبر، 2007، ص157.

النظرية برنامج الحد الأدنى للنظرية اللغوية (A minimalist program for linguistic Theory) [1]. ويعد البرنامج المصغر محاولة لإعادة التفكير في أسس مشروع (البحث اللساني كما يراه تشومسكي)، وهو يتخلى عن الصيغ غير الضرورية تصورياً كلها، أو التي لا تفرضها الضرورة الاختيارية، وتلك هي الشروط المألوفة في العلوم وعنت إعادة التفكير هذه التخلي عن كثير من الوسائل الوصفية في الأشكال المبكرة من النحو التوليدي، بل حتى تلك الاختراعات الناجحة كمستوى البنية العميقة ومستوى البنية السطحية، وهو ما ألجأ إلى البحث عن تفسيرات جديدة[2]. وهذا يقودنا إلى الحديث عن أبرز الأسباب التي دعت تشومسكي إلى إيجاد هذه النظرية واستثمار، معطياتها في الدراسة اللسانية، ويمكن أن نجمل هذه الأسباب فيما يأتي:

1- تجنب النقد الموجه إلى نظريته بأنها نظرية عقلانية محضة، وأنها لا تلتفت إلى الجانب البراغماتي للغة.

2- البحث عن أفكار تعبر عن اللغة الإنسانية على أن تكون هذه الأفكار مبسطة جداً[3]. وهو ما يعرف بالقواعد الكلية.

3- التخلص من الطرق السابقة في الوصف والتفسير التي كانت تستخدم في النظريات السابقة للمنهج التوليدي، إلى جانب الرغبة في استثمار معطيات علم الحاسوب والحوسبة اللغوية في هذا البرنامج الجديد، إلى جانب التغيير الذي طرأ على المصطلحات التي كانت تحتل مكانة متميزة في النظريات

---

(1) Chomsky, Naom: A minimalist program for linguistic Theory, (Cambridge, 1993, Mass, Mit press) and Chomsky: The minimalist program (Cambridge, 1955, Mass, Mit press)

(2) تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، ص69.

(3)عبابنه، يحيى؛ والزعبي، آمنه، علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الثقافي، الأردن- اربد، 2005، ص117

السابقة لنظرية البرنامج المصغر بسبب عدم كفاءة هذه المصطلحات لـــبعض المفاهيم الجديدة التي جاء بها البرنامج المصغر[1].

ولعل السبب الأهم في ظهور هذه النظرية الجديدة يتمثل في مبـــدأ الاقتصـــاد (Economy principle)، وهو مبدأ أقرَّه تشومسكي في الفترة التي تحدث فيها عـــن نظرياته المتعددة للقواعد، وهي الفترة التي عرفت نظرية الربط والعمل وما تخللهـــا من نظريات فرعية شكلت في مجملها ما عرف بنظرية المبادئ والوسائط، ويقوم مبدأ الاقتصاد هذا على التقليل من الوسائل والأدوات والعناصر الوصفية إلى حدها الأدنى، وبهذا فهو استمرار للتقليد النظري في مدرسة القواعد في ســـعيها لطـــرح مقـــولات بسيطة وعامة (أي كلية) حول اللغة البشرية بقدر الإمكان[2]. وهذا ما يفسر لنا تخلـــي تشومسكي عن أغلب المعطيات الفكرية التي رســـمت الطريـــق للنظريـــة التوليديـــة التحويلية بل وساهمت في تكوينها في المراحل الأولى للنظرية كالبنية العميقة والبنية السطحية للجملة، فهو يستغني في برنامجه المصغر عن هاتين البنيتين، وترتب علـــى هذا الاستغناء أن أصبح للجملة صورتان: الأولى الصورة الصوتية (PF) التي ترتبط بعالم الأصوات، والثانية الصورة المنطقية (LF) والتي ترتبط بدورها بعالم المفـــاهيم والتصورات[3]. إذن فقد أصبح للجملة مستويان جديدان تقرهمـــا النظريـــة الجديـــدة يصلان بين الجملة وبين العالم الخارجي، فالبرنامج المصغر انطلق من فكرة أساسية وهي "الاقتصاد"، فتشومسكي سعى إلى تقليص مستويات التمثيل النحوية إلى تمثيل مجرد للصوت أو ما يعرف "بالصورة المنطقية"، وهما مستويان لا يمكن الاستغناء عنهما أو تجاوزهمـــا؛

(1) باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص189.

(2) المرجع نفسه، ص190.

(3) المرجع نفسه، ص192.

لأنهما مستويان تمثيليان في الواجهة (interface level) ومتصلان بنسقين خارجيين بالنسبة للنحو: نسق يتصل بالإدراك والنطق، ونسق يتصل بالتصور والقصد[1].

وهكذا، فإن تشومسكي في برنامجه أو نظريته الجديدة استغنى عن البنيتين العميقة والسطحية لحساب الصورة الصوتية والصورة المنطقية القائمة على التفسير والتأويل، فالتمثيل النحوي في هذا البرنامج انحصر في المستويين الصوتي والمنطقي فقط، بدلاً من أربعة مستويات كانت قد تضمنتها النماذج السابقة للنظرية التوليدية التحويلية وهي: (الدلالة "المعجم"، والبنية العميقة، والبنية السطحية، والصورتان الصوتية والمنطقية).

ومن ثم، يمكن لنا أن ننظر إلى البرنامج الجديد على أنه برنامج ذو توجه تفسيري يروم بلوغ التفسير عبر ما يسمى بـ(الأدنوية)، وهي نهج نظري مفاده أن يقوم العلم بتغطية أكبر عدد من الوقائع والتجارب عبر استنتاجات منطقية مرتبطة بعدد قليل من الافتراضات والمسلمات، وهو مفهوم مرتبط بالبساطة (Simplicity)، والاختصار (Reduction)، والاقتصاد (Parsimony)[2]. وبناءً على هذا المبدأ "الأدنوية" نستطيع أن نفسر رغبة تشومسكي في تبني هذا البرنامج الجديد، فهو يعيد النظر في مستويات التمثيل النحوي ويقتصرها على مستويين فقط رغبة منه في التبسيط والاقتصاد واختصار القواعد، وهذا ما أكدنا عليه فيما سبق فهذه النظرية تنظر إلى العبارة اللغوية على أنها شكل أساسي ومبسط وتحاول أن تختزل وتختصر قواعد اللغة بحيث تبدو في أبسط صورة.

---

(1)رحالي، محمَّد، تركيب اللغة العربية مقاربة نظرية جديدة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء – المغرب، 2003، ص100، وانظر أيضاً: الفهري، عبد القادر الفاسي، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي المعرفة اللسانية، دار توبقال، الدار البيضاء– المغرب،ط1، 1998، ص19، وانظر أيضاً: بوزيان، رشيد، قراءات في اللسانيات التوليدية من العاملية والربط إلى البرنامج الأدنى، ج2، الناشر نادكوم للنشر والتوزيع، المغرب، 1999، ص70.

(2) الفهري، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي المعرفة اللسانية، ص17.

وللبرنامج المصغر مكونات ومبادئ عامة ترسم له الخطوط الفكرية والنظرية التي يتم من خلالها وصف القواعد اللغوية بأقل عدد ممكن من الوسائل والطرق التي تتماشى ومبدأ الاقتصاد الذي يشكل حجر الزاوية لهذا البرنامج، وفيما يلي عرض موجز لأبرز هذه المبادئ والمكونات:

1- الاشتقاق (التهجئة Spell out)

ويقصد بهذا المبدأ أن توليد أي بنى جملية يقوم على مكونين أساسيين هما: المعجم، ونظام الحوسبة، حيث يعد نظام الحوسبة وسيلة لتوليد بنى الجمل اعتماداً على إجراء أولي يسمى الانتقاء الذي يعني انتقاء وحدة معجمية (مفردة) من عدد من الوحدات المعجمية التي ستستخدم في بناء الجملة، ويتم ذلك من خلال عمليتين هما:

أ- الدمج (Merge) أي دمج أي تفريعين شجريين دمجاً صحيحاً.

ب- النقل أو الحركة (movem)، وقصد به تشومسكي حركة العناصر اللغوية من موقع إلى آخر في بنية الجملة[1].

فالاشتقاق هو عملية تقوم على الفصل بين السمات الصوتية، وتوضع تحت الصورة الصوتية للجملة، والسمات الدلالية وتوضع تحت الصورة المنطقية، في حين أن السمات النحوية والصرفية توضع تحت الصورتين، وبناء على هذا التصور فإن حوسبة الاشتقاق يسير في طرفين منفصلين يجري في أحدهما التمثيل الصوتي للجملة، وفي الثاني التمثيل الدلالي لها وتتدرج السمات النحوية والصرفية تحتها.

2- التأشير أو مبدأ الفحص (Cheching)

ويقصد بهذا المبدأ أن الوحدات المعجمية أو المفردات تنتقي سماتها المعجمية وشكلها النهائي من المعجم، فمثلاً الفعل ينتقي زمنه الماضي أو المضارع، أو ينتقي جنسه مذكراً أو مؤنثاً، أو عدده مفرداً أو مثنى أو جمعاً وهكذا، ومن خلال اللجوء إلى عملية الدمج لهذه المفردات يجري الفحص أي فحص السمات التي تحملها الوحدات

(1) باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص197-200.

المعجمية ومدى توافقها وموقعها في الجملة وعلاقتها بغيرها من العناصر[1]. فعملية الفحص أو التأشير تمكننا من اكتشاف مدى التوافق الذي قد يؤدي إلى الاشتقاق السليم أو انهيار الاشتقاق في بناء الجمل.

3- الحركة (move)

وهذا المبدأ مبدأ أساسي في البرنامج المصغر، ويقصد به حركة العناصر اللغوية داخل التركيب اللغوي من موقع إلى آخر، ولهذه الحركة ثلاثة أنواع وهي (حركة الرأس والتي تتمثل في حركة رأس العبارة إلى موقع رأس العبارة الأخرى، أما النوع الثاني، فهو حركة الموضوع، ويقصد به نقل يتم من خلاله النقل من موقع إلى موقع آخر في البناء الجملي بحيث يكون موقعاً مناسباً للموضوع، أما النوع الثالث، فهو حركة المعاملات كحركة عناصر الاستفهام إلى صدر الجملة[2].

4- التطابق (Agreement) ويرمز له بـ (Agr) وفي العربية (م تط)

ويقصد به عنصر الموافقة التي نراها مثلاً بين الفاعل وفعله، فالتطابق هو توافق بين السمات الاسمية في الفعل والسمات الاسمية في الفاعل، والتطابق يقوم بدور مهم في إنشاء التراكيب المناسبة والسليمة[3]. من منطلق وجوب وجوده في بناء الجملة.

5- الجشع (Greed)

وقصد به تشومسكي السبب الذي من أجله تتحرك العناصر اللغوية من موقع إلى آخر، وهذا المبدأ الذي اقترحه تشومسكي إنما جاء به ليؤكّد أنَّ العناصر اللغوية (المقولات) لا تنتقل إلا لإشباع حاجاتها الصرافية (سماتها) الخاصة وليس محبة

---

(1)باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص200-202.

(2)المرجع نفسه، ص205-206.

(3) المرجع نفسه، ص230.

منها[1]. ومن ذلك نقل المركب الاسمي من الداخل في البناء للمجهول من موقع تلقى فيه إعراباً يلغيه مبدأ الجشع ما دام إعرابه وسمات تطابقه (العدد، الجنس، الشخص...الخ) قد خضعت لمبدأ الفحص الذي يؤدي بالتراكيب إلى الاشتقاق.

وخلاصة القول في هذا الجانب أن النظرية الجديدة (البرنامج المصغر) إنما جاءت ثورة على المفاهيم السابقة، التي صمدت لوقتٍ طويل انطلاقاً من مرحلة البنى التركيبية مروراً بالنظريتين النموذجية والنموذجية الموسعة، وكذلك نظرية الربط والعمل وصولاً بها إلى هذا النموذج الذي يوصف بالمصغر في التركيب والتحليل، غير أنه كبير في هدمه لأهم اكتشافات النظرية التوليدية التحويلية لحساب علم الحوسبة.

ويبقى أن نقول إنَّ تشومسكي يؤكد أن "برنامج الحد الأدنى" لم يبلغ بعد أن يكون نظرية، فهو لا يعدو أن يكون برنامجاً لتحديد نوع معين من المقاربة البحثية، ويجب على أي نظرية للغة ضرورة أن تقترح صلة بين الصوت والمعنى، أي بين تمثيلات النطق وتمثيلات الخصائص المنطقية للكلمات والجمل وتبعاً لهذا يجب على النحو –أي اللغة– أن يحدد مستويين من التمثيل يطلق عليهما الصورة الصوتية والصورة المنطقية، وأن يحدد الصلة بينهما[2]، وهذه هي فلسفة البرنامج المصغر وجوهره الأساس.

خامساً: المدرسة التوليدية التحويلية في الفكر اللساني العربي المعاصر.

لقد قطع البحث اللساني العربي في العقود السابقة أشواطاً مهمة في استيعاب المدارس اللسانية الغربية، والاستفادة من مبادئها ومنطلقاتها الفكرية في دراسة اللغة العربية وفهم خصائصها وتراكيبها ودلالتها، وفي مستوياتها المختلفة سواء تعلق الأمر

---

(1)السعيدي، الحسن، المقولات الوظيفية في الجملة العربية دراسة صرفية تركيبية، الناشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بسايس– فاس، المغرب، ط1، 2005، ص34–35، وانظر أيضاً، باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص224.

(2) تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، ص69.

بوصف ظواهر اللغة العربيـــة أو تطبيـــق النمـــاذج النظريـــة المختلفـــة أو تـــداول المصطلحات اللسانية الحديثة في الدراسات اللسانية العربية.

ولقد شكل ظهور المدرسة التوليدية التحويلية في دراسة اللغة ثـــورةً طالـــت المدارس اللسانية السابقة، وأحدثت أفكار تشومسكي اللسانية مجالاً رحباً في الدراســـة والبحث، حيث جاءت لترسم الطريق الجديد للبحث اللساني العالمي، وأعادت توجيـــه اللسانيين وطرائقهم في التعاطي مع قضايا اللغة والوقوف على حيثياتها الدقيقة.

وبوصفه جزءاً من العالم – أي العالم العربي– كان مـــن البـــديهي أن يتـــأثر بأفكار المدرسة التوليدية التحويلية وتمثل أفكارها وتطبيقهـــا علـــى اللغـــة العربيـــة وقضاياها اللسانية المتعددة، التي تشكل معيناً لا ينضب لأي باحث يسعى لدراسة هذه اللغة والمضي في سبر أغوارها، إن الحديث عن واقع الكتابة التوليدية التحويلية فـــي العالم العربي يجعل لزاماً علينا أن نشير إلى أن تعاطي اللسانيين العرب مع النظرية التوليدية التحويلية جاء على شكل محاولات فردية، حاول أصحابها مـــن خلالهـــا أن يقدموا تصورهم وفهمهم لهذه النظرية بناءً على منطلقاتهم الفكريـــة اللغويـــة التـــي يؤمنون بها"، فالمتتبع لمسار الدرس التوليدي في المجال العربي لا يجد إلا القليل من الدراسات العربية التي تقدم فعلاً افتراضات جديدة بشأن بنيات العربية مـــن منظـــور توليدي، وتعكس مجهوداً عربياً فيه أصالة وإبداع يضع الدرس اللساني العربي فـــي إطار كافٍ، وتكاد هذه المساهمات تنحصر في بعض الأسماء العربية"[1]

وهذه المحاولات تنقسم إلى قسمين هما:

1- محاولات توليدية جزئية: وهي المحاولات التي ركزت اهتمامها على نمـــوذج أو أكثر من النماذج التوليدية، وسعت إلى تطبيقه (ها) على اللغة العربية كالنموذج المعيار أو الموسع.

([1]) علوي، حافظ اسماعيلي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد، المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009 ص262.

2- محاولات توليدية شمولية: وتظهر شموليتها في مواكبتها المستمرة للتطورات المتلاحقة التي عرفتها النماذج التوليدية مع تحديث الآلة الواصفة لمعطيات اللغة العربية، والانخراط في مستجدات الأسئلة التي أفرزها الخطاب اللساني الغربي المعاصر والتوليدي فيه بشكل خاص[1].

إن من أهم المحاولات التي سعت إلى تقديم صورة واضحة عن النظرية التوليدية التحويلية في الفكر اللساني العربي الحديث محاولة اللساني ميشال زكريا الذي ركز جهوده في توضيح مفاهيم النظرية التوليدية التحويلية، والأسس التي قامت عليها والتعريف برائدها وعقد المقاربات بين الفكر اللساني للنظرية التوليدية التحويلية وعلماء اللغة العربية من أمثال "سيبويه وابن خلدون"، وقدَّم ميشال زكريا إلى جانب ذلك أنموذجاً في استثمار أدوات التوليد والتحويل في تفسير الجملة العربية من خلال اعتماده على الحركة الإعرابية التي تبين الحالة اللازمة للمكون الجملي(فعل – فاعل- مفعول به) في ترتيبه عناصر الجملة، وهذا يحدد بدوره المستوى الصوابي لها، وفي ذات السياق لفت ميشال زكريا إلى أهمية النعت والتأكيد على إمكانية اعتبار النعت وصفاً يشتق منه الفعل، وفي هذا توسع في المكون الأساس للجملة [2].

ومن المحاولات الأخرى في الكتابة التوليدية العربية التي قدمت تصوراً للنظرية التوليدية التحويلية محاولة مازن الوعر، التي تعد من أهم المحاولات لتعريف القارئ العربي بالنظرية اللسانية الجديدة –أي النظرية التوليدية التحويلية- من خلال

([1]) علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، ص262.

([2]) للوقوف على جهود ميشال زكريا انظر: مؤلفات ميشال زكريا الآتية: الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، بحوث ألسنية عربية، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، قضايا ألسنية تطبيقية دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون دراسة ألسنية.

ربط المبادئ النظرية للنظرية التوليدية التحويلية بالتراكيب العربية؛ لتكون مجالاً رحباً للتطبيق والتحليل، وجهوده ساهمت في تطوير الفكر اللساني العربي المعاصر[1].

وفي سياق غير منفصل نشير إلى تجربة محمد علي الخولي في كتابه" قواعد تحويلية للغة العربية" الذي قدَّم من خلاله للنظرية التوليدية التحويلية، وبسط القول فيها، فتناول الحاجة لهذه النظرية وعرَّف بالقواعد التحويلية والقواعد التوليدية، وبين العلاقة بينهما، وأشار إلى مبررات استخدام هذه القواعد إلى جانب تقديمه تطبيقاً عملياً لهذه القواعد على الجملة العربية[2].

ومن الذين تلمسوا أبعاد هذه النظرية وحاولوا تقديم رؤية لها في الدرس اللساني العربي المعاصر خليل عمايرة، فقد سعى إلى تبسيط مضامين أساسية قامت عليها النظرية التوليدية التحويلية من خلال إبرازه للفروق الكائنة بين التراكيب المولدة والمحولة استناداً إلى الفرق الكائن بين المعنى والمبنى، بالإضافة إلى تقديمه تعريفاً للجملة المولدة والجملة المحولة[3].

([1]) للوقوف على جهود مازن الوعر انظر مؤلفاته: نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دراسات لسانية تطبيقية، النظريات النحوية والدلالية في اللسانية التحويلية وهو بحث منشور في مجلة اللسانيات الجزائرية العدد السادس عام 1982.

([2]) للوقوف على جهود محمَّد علي الخولي انظر مؤلفيه: قواعد تحويلية للغة العربية، مدخل إلى علم اللغة.

([3]) عمايرة، خليل، في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي والنفي اللغوي وأسلوب الاستفهام، دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر، مكتبة المنار، الزرقاء، ط1، ص34-35، وانظر أيضا الصفحات 88-95.

ناهيك عن تقديمه للنظرية التوليدية التحويلية والتعريف بأسسها والحديث عن أهم عناصر التحويل، و اتّباعه منهجاً تطبيقياً على الجملة العربية في ضوء النظرية التوليدية التحويلية [1].

ومن الجهود التي ساهمت في تكوين فهم عام للنظرية التوليدية التحويلية في الفكر اللساني العربي المعاصر جهود الاتجاه المغربي الذي يمثله الفاسي الفهري، وتلامذته الذين اهتموا بدراسة اللسانيات التوليدية التحويلية إلى جانب الدراسات الصوتية والتركيبية، ويعد كتاب الفهري الموسوم بـ " اللسانيات واللغة والعربية" من أهم الكتب التي بثَّ من خلاله رؤيته للمنهج التوليدي التحويلي، وتلمسه لمبادئه اللسانية العامة في فهم اللغة إلى جانب تطبيق آلياته التفسيرية في إعادة وصف قواعد اللغة العربية، لقد قامت رؤية الفهري اللسانية على مجموعة من المبادئ من أبرزها أن النحو العربي القديم غير صالح لوصف اللغة العربية في وضعها الراهن، كما نقد الفهري المنهج الوصفي بعدم كفايته التفسيرية، وغيرها من المبادئ التي قامت عليها رؤية الفهري في تأسيس نظرية لسانية جديدة معاصرة[2].

وختام القول إنَّ الحديث عن مستوى حضور اللسانيات التوليدية التحويلية في الفكر اللساني العربي المعاصر يطول نظراً لتعدد المحاولات وكثرة الأبحاث في هذا المجال وعلى الرغم من تعدد هذه الدراسات وتنوعها نجدها دراسات فردية تعبر عن توجهات أصحابها وطرائقهم في البحث اللساني الحديث، وفي هذا يقول حافظ إسماعيلي "ورغم أهمية المجهودات المبذولة فإن البحث اللساني التوليدي في الثقافة العربية ما زال يفتقد إلى الكثير من شروط الانسجام والتكامل"[3].

([1]) للوقوف على جهود خليل عمايرة انظر: خليل عمايرة في نحو اللغة وتراكيبها دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر.

([2]) للوقوف على جهود الفاسي الفهري انظر، الفهري، عبدالقادر الفاسي، اللسانيات العربية نماذج تركيبية ودلالية، دار تويقال، الدار البيضاء، 1982. وانظر أيضاً: الفهري، عبد القادر الفاسي، المقارنة و التخطيط في البحث اللساني العربي، دار توبقال للنشر، ط1، 1998م. وانظر أيضاً: الفهري، عبدالقادر الفاسي، البناء الموازي، دار تويقال، الدار البضاء، ط1، 1990م.

([3]) علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي واشكالته، ص 323.

الفصل الأول

جهود داود عبده في النظرية التوليدية التحويلية (المستويان النظري والتركيبي)

1.1 داود عبده من الوصف إلى التفسير (مقدمة)

يعد داود عبده من أوائل اللسانيين العرب الذين التفتوا إلى جوانب عصرية في دراسة اللغة العربية، ومؤلفاته اللسانية شاهدة على ذلك، فكانت دراسته في علم أصوات العربية من أهم الدراسات على مستوى العالم العربي، ولا يستغني عنها أي باحث، وهو من أوائل العلماء الذين اهتموا بالدراسات الحاسوبية وتطبيقها على اللغة العربية؛ للإفادة منها في مجال تعليم اللغة، لأبنائها ولغير الناطقين بها إلى جانب اهتمامه بالدراسات التركيبية، والمعجمية للغة العربية كل هذا جعله "واحداً من أبرز اللغويين في القرن العشرين" [1].

ولد داود عطية عبده سنة 1931 في السواحرة (قرب القدس) ويحمل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية من جامعة الينوي بالولايات المتحدة الأمريكية وهو متخصص في علم اللغة العام. عمل مدرساً في العديد من الجامعات، في الكويت وفي الأردن،فعمل أستاذاً في جامعة البنات الأردنية، وجامعة فيلادلفيا وله مؤلفات لسانية بارزة في مجال اللغة[2]سيأتي ذكرها لاحقاً.

داود عبده، وخلال مسيرته العلمية، قدَّم لنا أنموذجاً للعالم اللساني العربي المعاصر الذي استطاع من خلال رؤيته المعاصرة لقضايا اللغة العربية، تقديمها

---

[1] أبو أصبع، صالح، أكثر من الاحتفاء، مجلة جامعة فيلادلفيا الأردنية، العدد الثامن، 2.11، ص44.

(2) المشايخ، محمَّد، دليل الكاتب الأردني، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، 1992، ص60، وانظر أيضاً حمّاد، محمَّد عمر، موسوعة أعلام فلسطين من القرن الأول حتى الخامس عشر الهجري، ومن القرن السابع وحتى القرن الحادي والعشرين ميلادي، ج3، خزانة الوثائق الفلسطينية، وزارة الأعلام، دار الوثائق ودار السبيل، دمشق، 200، ص63-64.

بقالب جديد، فقد اقترح طرقاً جديدة في تدريس اللغة العربية في مدارسنا وجامعاتنا العربية من خلال اعتماده على "المنحى الوظيفي في تدريس اللغة العربية، بطريقة تؤدي إلى إتقان المهارات اللغوية الأساسية، فهم اللغة مسموعة وفهمها مقروءة، والتعبير الشفوي، والتعبير الكتابي فوظيفة اللغة، أي لغة هي القدرة على الفهم والإفهام ولإتقان هذه المهارات الأربع لا بد من اعتبار قواعد اللغة (قواعد تركيب الكلمة، وقواعد تركيب الجملة وقواعد الكتابة). وسائل لإتقان المهارات الأربع السابقة لا غاياتٍ في حدّ ذاتها وبالتالي يُقتصر في تدريسها على ما يحتاج إليه الطالب في إتقان المهارات اللغوية"[1].

فداود عبده يدعو إلى اللجوء إلى منهج علمي في تدريس اللغة العربية ليصار إلى فهمها بعيداً عن تعقيدات القواعد اللغوية، ورتابتها وقضايا الإعراب والصرف والمعجم. داود عبده ينتمي إلى ذلك الجيل الرائد في مجال علم اللغة جيل إبراهيم أنيس، عبد الرحمن أيوب، كمال بشر، تمام حسان، إبراهيم السامرائي، أحمد مختار عمر، ورمضان عبدالتواب، وغيرهم [2].

تنوعت مؤلفات داود عبده، وتعدَّدت بفعل ثقافته اللسانية المتنوعة كما أشرنا سابقاً، فهو مهتم بالدراسات الصوتية والتركيبية إلى جانب شغفه بالدراسات الحاسوبية وتطويعها لخدمة اللغة العربية، بالإضافة إلى تركيزه على الجوانب النفسية في دراسة اللغة، وسعيه الدؤوب في مجال الدراسات التطبيقية والوظيفية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بها كما له دراسات مهمة ترتبط بلغة الطفل، وآلية اكتسابه، وتعلمه للغة وفي خدمة القرآن الكريم، قدّم داود عبده دراسة متخصصة في بعض أحكام التجويد وهذه الكتب هي:

---

[1] إسماعيلي، حافظ؛ والعناتي، وليد، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2009، ص64.

[2] مناصرة، عزالدين، داود عبده الإنسان وعالم اللغة، مجلة فيلادلفيا الثقافية، العدد الثامن، 2011، ص47.

1- أبحاث في اللغة العربية (1973).
2- المفردات الشائعة في اللغة العربية (1979).
3- دراسات في علم اللغة النفسي (1984).
4- نحو تعليم اللغة العربية وظيفياً (1990).
5- دراسة في بعض أحكام التجويد (1990).
6- في لغة الطفل بالاشتراك مع سلوى حلو في المفردات والجملة (1991).
7- مصطلحات الحاسب الآلي (1995).
8- من قضايا اللغة العربية (2005).
9- أبحاث في الكلمة والجملة (2008).
10- دراسات في علم أصوات العربية (ج1+ج2) (2010).

لقد دعا داود عبده إلى اتخاذ التحليل والتفسير منهجاً في الدراسات اللسانية والاعتماد عليه بدلاً من الوصف الذي ساد الدراسات اللسانية فترة من الزمن فقد ساد المنهج الوصفي بين أوساط اللسانيين العرب، وتبناه كثير منهم. وفي هذا يقول داود عبده: "ويخيل إليّ أن بعض هؤلاء اللغويين المعاصرين قد بلغ فيهم التعصب للمنهج الوصفي حد التطرف، فكاد يجرد علم اللغة مما يستحق أن يسمّى من أجله علماً، فإذا كانت غاية علم اللغة الوصف فحسب، فلأي علم ننسب تفسير الظواهر اللغوية المختلفة" [1].

فعبده يتساءل عن المنهج الذي يركن إليه اللغوي في تفسيره وتحليله للظاهرة اللغوية، وهو منهج بعيد كل البعد عن الاكتفاء بالوصف الذي لا يقدم تفسيراً كاملاً للظاهرة اللغوية، ومن هنا نجد أن داود عبده قد تلمس مبادئ المنهج التوليدي التحويلي القائم على الاهتمام بالجانب العقلاني وعدم الاكتفاء بالوصف، بل لا بد من تفسير الظاهرة اللغوية، وتحليلها للوقوف على أسرارها، وفهمها في المحصلة.

---

[1] عبده، داود، دراسات في علم أصوات العربية، ج1، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط2، 2010، ص 17.

داود عبده بهذا الموقف يخالف ما استقر عند من سبقه من لسانيين عرب، أو حتى من عاصره في تبني التفسير للظواهر اللغوية، وعدم اقتصارها على الوصف فقط، وهو في هذا يقول معقباً على سؤال وجه إليه في هذا الشأن: لعل أهم ما خالفتُ فيه اللغويين المعاصرين الذين سبقوني، ومن أبرزهم إبراهيم أنيس، كمال بشر، عبد الرحمن أيوب، وأنيس فريحة، أنني كنت أدافع عن آراء المدرسة التوليدية التحويلية، فقد كان أولئك اللغويون يدافعون بشدة عن المدرسة الوصفية، فمهمة اللغوي فيما يرون هي وصف الظواهر اللغوية لا تفسيرها، وكان بعض أتباع المدرسة الوصفية يسخرون من آراء اللغويين العرب القدماء في تقدير أصل (بنية عميقة) تخالف ظاهرة اللفظ (البنية السطحية)، فرددت عليهم مؤيداً ضرورة تقدير بنية عميقة في بعض الأحيان تختلف عن ظاهر اللفظ لتفسير ظواهر لغوية لا يمكن تفسيرها دون ذلك التقدير[1].

فعبده ينتهج منهجاً تفسيرياً في الدراسة اللغوية والتفسير العلمي الدقيق للظواهر اللغوية من أهم مبادئ المدرسة التوليدية التحويلية[2]. التي أسس لها تشومسكي في نظريته الجديدة ودافع داود عبده عن هذا المنهج الذي يتخذه في الدراسة اللسانية، ويرد على من يدعي أن إدخال التفسير في دراسة اللغة يقودها إلى نطاق الفلسفة من خلال استشهاده ببعض الأمثلة من خارج اللغة، ومن ذلك سقوط التفاحة يقول: "يرى عالم من علماء الطبيعة تفاحة تسقط من شجرة، فيصف هذه الظاهرة بقوله: " إذا سقطت التفاحة من الشجرة، فإنها تسقط عمودياً وإلى الأسفل" هذا مجرد وصف لما حدث يستطيع أن يقدمه أي إنسان عادي. أما العالم، فنتوقع منه أن يقدم تفسيراً لما حدث لا مجرد وصف، فعليه أن يفسر: لماذا سقطت التفاحة عمودياً وإلى الأسفل، ولم تتجه أفقياً أو إلى الأعلى؟ ومن جواب هذا العالم يمكن الحكم على المنهج الذي يتبعه

---

(1)الاسماعيلي والعناتي، اسئلة اللغة اسئلة اللسانيات،ص66.

(2)علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص263.

بأنه علمي أو فلسفي"[1]. مع ضرورة التأكيد أن عبده رفض رفضاً مطلقاً اللجوء إلى علم المنطق والفلسفة ومعطياتها في تفسير الظواهر اللغوية[2]، فالتفسير لا بد أن يكون لغوياً[3]، أي أنه يقف موقفاً حازماً في هذا الشأن، فالتفسير لا بد أن يكون نابعاً من ذات اللغة، ومن أساسها لا من علوم أخرى.

لقد رفض التوليديون و التحويليون مبادئ المدرسة الوصفية، بل إنَّ آراء رائد المدرسة التوليدية التحويلية نعوم تشومسكي و أفكاره جاءت ردة فعل رافضة لسيادة المنهج الوصفي في الدراسات اللسانية. هذا المنهج الذي عدّه تشومسكي قاصراً وعاجزاً عن الإحاطة بحيثيات القضايا اللغوية وتفصيلاتها الجزئية، وهو منهج رفضه داود عبده في الدراسات اللسانية يقول: "وددت أن أوضح أن المنهج (الوصفي التقريري) ليس المنهج الأمثل في اللغة"[4]. وهذا يعني أن عبده قد انخرط في أفكار المدرسة التوليدية التحويلية واستلهم كثيراً من مبادئها واستفاد منها في دراسة اللغة العربية في مستوياتها المتشعبة الصوتية والتركيبية والدلالية، فقد ركز عبده في دراساته اللسانية على أهم مبادئ النظرية التوليدية التحويلية، ولاسيما البنية العميقة (D.S) والبنية السطحية (S.S) إلى جانب قضية الرتبة في الجملة العربية، وأهم القواعد الصوتية والتركيبية التي تتدخل في بنية المفردات، أو تراكيب الجملة لتحولها من صورة إلى أخرى، أي من بنية عميقة إلى سطحية.

ومن ذلك تفسيره لكثير من القضايا الصوتية التي أوردها في كتابه "دراسات في علم أصوات العربية"، وهو كتاب من جزأين إلى جانب تفسيره لأبرز القضايا التركيبية في كتابيه "أبحاث في الكلمة والجملة"، و "أبحاث في اللغة العربية" ولا بد من الإشارة إلى أن داود عبده لم يعلن صراحة انتسابه إلى المدرسة التوليدية التحويلية

---

(1)عبده، داود، أبحاث في اللغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، 1973، ص9-10.

(2)عبده، أبحاث في اللغة العربية، ص10.

(3) المرجع نفسه، ص27.

(4) المرجع نفسه، ص25.

غير أن "المتابعة الدقيقة لكتاباته تنمّ عن انتماء صريح إلى المدرسة التوليدية وفهم عميق لمبادئها وخصوصاً ما جاء في النموذج المعيار والمعيار الموسع"[1].

وسأحاول في قادم الصفحات تلمس مبادئ النظرية التوليدية التحويلية في كتابات داود عبده، وسيكون هذا في مبحثين أساسيين هما: المبحث النظري، الذي يتناول قضية الاكتساب اللغوي عند الطفل. والمبحث التركيبي الذي تناول فيه عبده قضية الرتبة، أو كما يسميها ترتيب العناصر اللغوية في البنية العميقة للجملة في اللغة العربية.

2.1 جهود داود عبده في المستوى النظري

1.2.1 داود عبده واكتساب اللغة (لغة الطفل)

شكَّل موضوع الاكتساب اللغوي في الألسنية الحديثة مجالاً رحباً للدراسة والبحث، فهو من أكثر الموضوعات لفتاً للنظر، فاللغة تلعب في حياتنا دوراً هاماً فهي أداة التواصل التي من خلالها نشبع حاجاتنا، وبها نعبر عن مكنوناتنا وما يختلج في صدورنا من أفكار ومشاعر، فهي الوسيلة الجوهرية للاتصال الاجتماعي والعقلي والثقافي، وهي بصورتها الكتابية السجل الحافل لثقافة النوع الإنساني، وما تنطوي عليه هذه الثقافة من آثار عقلية ومعرفية سواءً كانت معنوية أو مادية وما تنطوي عليه هي بصورتها اللفظية المألوفة مظهر من مظاهر النمو العقلي ووسيلة من وسائل التفكير والتخيل والتذكر[2]، فالاكتساب اللغوي عملية يكتسب بها البشر القدرة على استقبال، و استيعاب اللغة، و القدرة على انتاج الكلمات و الجمل.

لقد تصدَّر موضوع الاكتساب اللغوي الواجهة في الدراسات النفسية واللغوية في العقود الأخيرة وذلك لاعتبارات وأسباب متعددة من أبرزها أن الاكتساب اللغوي

---

[1] علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 464. ،

(2)السيد، فؤاد البهي، الأسس النفسية للنمو، دار الفكر العربي، مصر الجديدة، ط4، 1975، ص172.

من أهم الخصائص التي تميز الإنسان عن سائر الحيوانات والكائنات الحية الأخرى[1]، وهذا ما يعرف بالدراسات اللغوية التي تناولت هذا الأمر بالإبداعية وهو المصطلح الذي ظهر بشكل ملحوظ في الألسنية التوليدية التحويلية، بل شكل مصطلح الإبداعية فيها ركيزة أساسية من ركائز هذه النظرية، ومن الاعتبارات الأخرى التي جعلت من قضية الاكتساب اللغوي قضية ذات أهمية، تلك العلاقة الوطيدة بين اللغة والفكر، فاللغة تدخل في التفكير عند الطفل في مراحل اكتساب لغته[2]. فالطفل يمر بحالة من الفراغ العقلي في مراحل حياته الأولى قبل أن يتمكن من الوصول إلى التواصل مع الآخرين من خلال لغته التي يكتسبها شيئاً فشيئاً بفعل بيئته التي يترعرع فيها، فاللغة التي يكتسبها الطفل مع مرور الوقت ميزة إنسانية بها اختص الإنسان عن سائر مخلوقات الله فهي –أي اللغة– ما يميز إنسانية الإنسان وأقوى ما يعبر عن شخصيته من حيث هو فرد قائم بذاته أو من حيث هو عضو في جماعة[3]. لذلك تستطيع القول بأن اكتساب اللغة من أبرز المسائل التي أثارت جدلاً واسعاً بين علماء النفس من جهة، وبين علماء اللسانيات من جهة أخرى؛ لارتباطها الوثيق بالسلوكات التي يمارسها الطفل في مراحل عمره الأولى، والتطورات التي تصيب هذه السلوكات مع مرور الوقت حتى تمكنه من إتقان لغته، والتصرف بها على أكمل وجه وفي جانب آخر تبرز ظاهرة الاكتساب اللغوي عند اللسانيين بوصفها عملية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمقدرة العقلية عند الطفل، التي يتوصل من خلالها إلى اكتساب لغته وإتقانها بالشكل المطلوب بالاستعانة بما استودعه الله في رأسه من عقل قادر على استيعاب، وفهم جميع الأداءات اللغوية التي يتعامل معها يومياً وصولاً إلى نضوج الجهاز

---

(1)كرم الدين، ليلى، اللغة عند الطفل ما قبل المدرسة نموها السليم وتنميتها، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2004، ص10.

(2) المرجع نفسه، ص10.

(3)الخلايلة، عبد الكريم؛ واللبابيدي، عفاف، تطور اللغة عند الطفل، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1990، ص11.

اللغوي عنده وهذا ما افترضته النظرية الألسنية التوليدية التحويلية التي قالت بوجود حقيقة عقلية تكمن ضمن السلوك الفعلي فكل تصرف لغوي، أو كل أداء كلامي يخفي وراءه كفاية لغوية أو معرفة ضمنية بقواعد معينة، فالفعل الكلامي هو فعل عقلي في المرتبة الأولى وإن يكن مرتبطاً في صورة متبادلة بالفعل الفيزيائي[1]. فالطفل في إطار النظرية التوليدية التحويلية يبني معرفته اللغوية من خلال عدد لا بأس به من العمليات الذهنية التي ترتبط بالبيئة التي يترعرع بها، فهو يتفاعل مع المادة اللغوية التي يسمعها، ومن ثم يبني لغته بصورة إبداعية، معتمداً على قدراته العقلية التي أودعها الله لديه.

التوليديون بنظرتهم هذه للاكتساب اللغوي يؤكدون رفضهم القاطع بأن يكون الإنسان مكتسباً للغته من خلال التقليد والمحاكاة، وهذا ما قالت به النظرية السلوكية التي ترمي إلى أن الأطفال يتعلمون لغتهم من خلال التقليد والمحاكاة لما يسمعونه، فهم دائماً يتعلمون أشياء جديدة، بما في ذلك معاني الكلمات التي يحصلون عليها عن طريق الإفراط في الاستماع للكبار، وبطريقة عامة لا بد أن يكون هذا الأمر صحيحاً وإلا لما تعلم الأطفال لغة آبائهم، فالأطفال الذين يعيشون في بيوت يتكلم أفرادها اللغة العربية يتكلمون بدورهم اللغة العربية وهكذا[2]. إن المبدأ العام الذي تقوم عليه النظرية أن الطفل يقلد ما يسمعه من الآخرين، ويحاكي أساليبهم وأداءاتهم اللغوية ليتمكن في نهاية الأمر من اكتساب لغته، والحصول عليها مع مرور الأيام ولعل هذه النظرية أخذت بالانحسار شيئاً فشيئاً بفعل وجود نظريات أخرى فسّرت عملية الاكتساب اللغوي بطرق علمية أقرب إلى الصواب، فالطفل لا يتعلم جميع مهاراته اللغوية بواسطة التقليد والمحاكاة فقط، بل هناك عوامل أخرى تساهم في نضوج

---

(1)كلاس، جورج، الألسنية ولغة الطفل العربي، مؤسسة خليفة للطباعة، لبنان، ط2، 1984، ص15.

(2)صالح، عبد الرحيم، تطور اللغة عند الطفل وتطبيقاته التربوية، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط1، 1992، ص41.

واكتمال الجهاز اللغوي عند الطفل، لذلك نجد كثيراً من النظريات والمدارس التي تناولت جانب الاكتساب اللغوي، ومن أشهر هذه النظريات نظرية التعلم الشرطي والإجرائي، ونظرية تحليل المعلومات، والنظرية التفاعلية[1]. إلى جانب النظرية العقلانية التي تعرف بالنظرية التوليدية والتحويلية.

إن مصطلح الاكتساب اللغوي يشير عموماً إلى العملية التي تنمو بها القدرة اللغوية لدى الإنسان[2]. وذلك من خلال اكتسابه للغته الأم التي تستخدم في التواصل اليومي بين أبناء جلدته وبيئته اللغوية، فالطفل يكتسب لغته في حوالي السنة الخامسة من عمره وهي اللغة التي تتيح له أن يتواصل مع أهله في المنزل، ومع أقرانه في اللعب غير أن هذه اللغة هي اللغة العامية وهي لا تؤهل الناطق بها للنَّفاذ إلى مصادر المعلومات، وامتلاك المعرفة[3]. لذلك نجد من الضروري أن يخضع الطفل إلى التعليم ليتعلم لغته وبالتالي يكتسبها على الوجه الصحيح الذي يمكنه من استغلالها بالشكل الأمثل، لذلك اعتبرت اللغة عند اللسانيين ظاهرة إنسانية مكتسبة[4] بفعل البيئة والزمن.

الاكتساب اللغوي من المسائل التي شهدت اهتماماً ملحوظاً في مجال الدراسات اللسانية الحديثة وفي لغات عديدة ولاسيما الإنجليزية منها، وفي هذا المجال يؤكد داود عبده على حقيقة مهمة مفادها أن البحوث العربية في لغة الطفل وآلية اكتسابه للغته لا

---

(1)صالح، تطور اللغة عند الطفل وتطبيقاته التربوية، انظر الوحدة الثانية (نظريات اكتساب اللغة) ص41-80.

(2)القاسمي، علي، بين علم النفس وعلم اللغة: كيف يكتسب الطفل لغته الأم، مجلة العرب الأسبوعي، العدد 137، السنة الثالثة، السبت 2008/1/12، ص26.

(3) المرجع نفسه، ص26.

(4)فريحه، أنيس، نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان،ط2 ،1981، ص25.

تكاد تذكر[1]. بل إنها دراسات لا تفي بحاجة الدارسين في هذا المجال وبالحديث عن التجربة اللسانية العربية في مجال الاكتساب اللغوي نقول: إن هذه التجربة ومنذ انطلاقتها قد عرفت اهتمامات معينة بهذه الظاهرة وإن كانت هذه الاهتمامات لا تنبئ باحتمال تأسيس مدرسة شاملة وواضحة المعالم في هذا الشأن، فهي مجرد إرهاصات أولية تمتزج بين المحاولات الفردية الأولية عند بعض ممن اشتغلوا في الدراسات اللسانية الحديثة، وبين المحاولات التي انتهجت ترجمة الأعمال الغربية التي تناولت الاكتساب اللغوي: كترجمة أحمد عزت راجح، وأمين مرسي قنديل لكتاب "اللغة والفكر عند الطفل" لجان بياجيه[2]، على سبيل المثال.

ومن أبرز المحاولات والتصورات التي طالت نظرية الاكتساب اللغوي نشير لبعض النماذج اللسانية التي قدمت تصوراً عاماً حول هذه النظرية للقارئ العربي، فقد أفردت التجربة اللسانية العربية الحديثة كتابات تناولت الاكتساب اللغوي، ومن ذلك كتابات ميشال زكريا، التي سيطالها الحديث بشيء من التفصيل والتوضيح في الفصل اللاحق، لهذا الفصل، وإلى جانب كتابات زكريا نشير إلى كتابات جورج كلاس في هذا الميدان فكتابه "الألسنية ولغة الطفل" دراسة نظرية حول الاكتساب اللغوي تناول فيها لغة الطفل اللبناني معتمداً على التجريب والملاحظة، وفي المجال نفسه نجد كتابات علي عبد الواحد وافي الذي تناول بدوره الاكتساب اللغوي في كتابه "نشأة اللغة عند الإنسان والطفل"[3]. وهو في كتابه هذا يتلمس كثيراً من الأبعاد التي تتصل بالاكتساب اللغوي من مثل نشأة اللغة ومراحل اكتسابها وعواملها، وغير ذلك من

---

(1)عبده، داود، و حلو، سلوى، في لغة الطفل، ج1، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط2، 1991، ص5.

(2) بياجيه، جان، اللغة والفكر عند الطفل، ترجمة أحمد عزت راجح وأمين مرسي قنديل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 2001.

(3)وافي، علي عبد الواحد، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

الموضوعات التي تشكل في جملتها الأسس النظرية والفكرية لعملية الاكتساب اللغوي في الدراسات اللسانية الحديثة.

قد يطول الحديث في هذا الجانب فنحن لن نتعقب آثار جميع المساهمات اللسانية العربية في مجال الاكتساب اللغوي، فهي محاولات متعددة ومتشعبة لا سبيل لذكرها والوقوف عندها مطولاً، وإن كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بموضوع البحث والدراسة غير أن البحث تحكمه حدود ومضامين معينة لا سبيل لتجاوزها والخروج عليها.

وبالحديث عن جهود داود عبده في مجال الاكتساب اللغوي عند الطفل نقول: إنه واحد من اللسانيين العرب الذين التفتوا إلى هذه المسألة، وسعى إلى تكوين تصور عام في هذا الشأن ولعل كتابه "في لغة الطفل" و"دراسات في علم النفس" من أهم الإسهامات التي تصدت لمسألة الاكتساب اللغوي في الألسنية العربية الحديثة، التي ألقت الضوء على لغة الطفل العربي، وكشفت جوانب مهمة في آلية اكتساب اللغة عند الطفل تتعلق باكتسابه للمفردات والجمل، وربطها بالدلالة التي تعبر عنها.

عبده إذ يدرس لغة الطفل بصحبة سلوى حلو يُقدم مبرراته لهذه الدراسة والتي نجملها في نقطتين أساسيتين هما:

1- قلة ما صدر من بحوث ودراسات ومقالات لها علاقة مباشرة بلغة الطفل.

2- افتقار المكتبة العربية والأجنبية إلى معلومات عن لغة الطفل العربي[1].

لقد وصفت دراسة عبده للغة الطفل بالدراسة النادرة[2]، والمهمة، وذلك في سؤال وجّهه له مؤلفا كتاب "أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات" كشفا من خلاله أهم ما توصل إليه داود عبده في مجال اكتساب اللغة عند الطفل. ولعل أهم ما توصل إليه عبده في هذا المجال وعلى حد قوله: "إن أهم ما توصلت إليه أن المدرسة السلوكية في علم النفس لا تستطيع تفسير اكتساب اللغة عند الطفل، وأن المدرسة الإدراكية

(1) عبده وحلو، في لغة الطفل، ج1، ص5- 6.

(2)اسماعيلي والعناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص67.

قادرة على ذلك، فنمو الطفل اللغوي يعتمد اعتماداً وثيقاً على نموه الإدراكي سواء أكان ذلك في المفردات أو الجمل.... في المفردات يكتسب الطفل مفردات محسوسة مثل: كرة وباب وقلم في أواخر السنة الأولى وأوائل السنة الثانية من عمره بعد أن يسمعها عدداً قليلاً من المرات، ولكنه لا يكتسب المفردات المجردة (Abstract) إلا في مراحل متأخرة، فالألوان (أحمر، أصفر، أبيض... الخ) لا تكتسب في جميع اللغات قبل نهاية السنة الثانية أو منتصف الثالثة؛ لأن الطفل لا يستطيع تجريد لون الشيء من الشيء ذاته، فإذا قلت له "أصفر" مشيراً إلى قلم أو كتاب فقد لا يجد صعوبة في لفظ الكلمة مع تغيير في بعض أصواتها ولكنه سيظن أن "أصفر" تعني الشيء المشار إليه لا لونه.... ويكتسب كلمة من مثل:جُبْن" وهو الطعام قبل عدة سنوات من اكتسابه "جُبْنٌ" عكس الشجاعة؛ لأن المشكلة ليست صعوبة اللفظ، بل صعوبة المفهوم والمعنى، وهما مرتبطان بمستوى القدرة الإدراكية... وفي الجمل يسمع الطفل بعض الكلمات مثل: أداة التعريف، وحروف الجر مئات المرات دون أن يكتسبها فيسمع مثلاً "الماما في المطبخ"، ولكنه في مرحلة الجملة المسماة "جملة الكلمتين" يحذف أداة التعريف وحرف الجر ويقول: "ماما مطبخ"[1].

وفي الحقيقة إذا أمعنا التأمل فيما سبق من كلام داود عبده نجد الرجل قد رفض أن يكون الاكتساب اللغوي تقليداً ومحاكاة للبيئة اللغوية التي ينشأ فيها الطفل، ولعل عبده في تبنيه لهذا الموقف الرافض لمبادئ النظرية السلوكية في تفسير عملية الاكتساب اللغوي و تحليلها يؤكد بقوة وجهة نظره القائمة على رفض تأثير البيئة المحيطة للطفل لتفسير تطور الأنماط اللغوية التي يكتسبها، فعملية الاكتساب اللغوي عند الطفل يرجعها عبده إلى القدرات الإدراكية عند الطفل، فالطفل يوجد لديه ميل فطري، أو نزعة فطرية لتعلم اللغة التي يترعرع في محيطها وبمعنى آخر نستطيع القول بأن هناك شيئاً ما داخل الطفل يوجِّه أو يقود عملية اكتساب اللغة وتطورها فالطفل يستمع للغة من المحيط الذي يعيش فيه ويقوم بتحليل هذه اللغة مستعيناً بقدرته

(1)اسماعيلي والعناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص68- 69.

الإدراكية ليتوصل إلى معاني لغته وقواعدها، وهذا ما قالت بـــه النظريـــة الفطريـــة الداخلية "أداة الاكتساب اللغوي"[1]. وفي ذات السياق نجد أن عبـــده يرجـــع اكتســـاب المفردات والتمكن من معانيها إلى القدرات العقلية عند الطفل، فالطفل يكتسب المفردة ومعناها بمرور الوقت مع وجود بعض الصعوبات التي تشوب هذه العملية كصـــعوبة التمييز بين الألوان وبعض الموجودات وصعوبة التمييز بين الكلمات المتشابهة فـــي اللفظ كما في "جُبْن" الطعام، و "جُبْن" الشجاعة، لذلك نجد عبده يؤكد على أن الصعوبة في اكتساب مثل هذه المفردات لا يرجع إلى لفظها بل إلى معناها الذي تُعبـــر عنـــه، فالمعنى مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقدرات العقلية والإدراكية عنـــد الطفـــل، لا بالتقليـــد والمحاكاة للبيئة اللغوية، وهذا يؤكد أنَّ داود عبده تجاوز أفكار المدرسة السلوكية في تفسير عملية الاكتساب اللغوي، وتبنى المنهج الفطري العقلي في تفسيره لهذه العملية أي أنه تبنى نظرة العقلانيين في الاكتساب اللغوي دون أن يعلن ذلك صراحةً، فكتاباته وأعماله في هذا الجانب تنم عن وعي صحيح، وانتماء غير صريح للمـــنهج العقلـــي الذي قال: "بأن المهارات اللغوية لدى الطفل لا تنمو بالتقليد والاتبـــاع، بـــل بـــالتزام مبادئ عامة يقيسها الطفل على تنظيمه اللغوي وهذه العملية –الاكتســـاب اللغـــوي– مرتبطة عند الطفل ارتباطاً وثيقاً ومباشراً بأهلية النمو العقلي وتعرفه على لغة محيطة والقواعد المنظمة لها"[2].

3.1 مراحل ما قبل الكلام واكتساب المفردات عند الطفل

يعرض عبده في كتابه "في لغة الطفل" وتحديداً في جزئه الأول آراء بعـــض الباحثين المعاصرين في اكتساب المفردات، وآلية ذلك عنـــد الأطفـــال إلـــى جانـــب المراحل التي يمر فيها الطفل في الكلام، وفي اكتساب مفرداته اللغوية، فـــي ضـــوء

(1) صالح، تطور اللغة عند الطفل وتطبيقاته التربوية، ص67.

(2) كلاس، الألسنية ولغة الطفل العربي، ص148– 149.

النظريات الحديثة التي تفسر تطور عملية الاكتساب اللغوي عند الطفل، وكيفية ربطه بين المفردات ومعانيها التي تدل عليها، مع ربطها بالنمو الإدراكي عنده.

الطفل في بداياته الأولى في التواصل مع البيئة المحيطة به يعتمد على الاحتياجات الصوتية الأولى التي توصف بالفنية[1]. فهي بحد ذاتها تظهر صفاته ككائن إبداعي يبدع في اكتساب لغته شيئاً فشيئاً حتى يكتسب اللغة المنطوقة، فيخترع ما ينقصه من كلمات التعبير الصوتي الأولي عند الطفل هو تعبير غير مقصود كما يقول عبده[2]، فالطفل يعبر عن شعوره وأحاسيسه وما يدور في خلده من ضيق وسرور دون أن يقصد ذلك، فالأصوات التي يصدرها الطفل دون قصد لا تعد تعبيراً لغوياً إلا إذا انتقلت إلى المرحلة التي يلفظ فيها أصواتاً تُعبر عن شي ما مع ضرورة أن ترتبط المفردة بمفهوم ذهني في ذهن الطفل، لذلك نجد عبده يؤسس لفكرة تقوم على أن يتكون المفهوم العام للمفردة عند الطفل أولاً قبل أن يستطيع ربط كلمة معينة بهذا المفهوم ولا يمكن أن يكون مفهوم أي شيء قد تكوّن عند الطفل إلا إذا أخذ يلاحظ أن ذلك الشيء الذي يراه مرات متكررة هو هو لم يتغير أو أنه ينتمي إلى فئة معينة من الأشياء أي عندما يصبح للمفردة صورة ذهنية سواء كانت هذه الصورة موجودة أمام ناظريه أم لم تكن[3]. فالعمليات العقلية التي تصاحب اكتساب المفردات لدى الطفل عملية أساسية في تطوير معرفة الطفل اللغوية التي ينميها بالاستنباط والربط بين مفرداته ومفاهيمها الذهنية.

إنَّ حاجة الطفل هي التي تعبر عن رغبته في التعبير عن ذاته بالبكاء والصراخ، أو بالأصوات التي يصدرها بين الحين والآخر، فالطفل يستعمل قبل مرحلة الكلام الحركات والتعبيرات التي تكشف عن بعض الانفعالات والأحاسيس

---

(1)عبد اللطيف، فاتن، نمو الطفل والتعبير الفني، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2008، ص17.

(2)عبده وحلو، في لغة الطفل، ج1، ص11.

(3) المرجع نفسه، ص12.

العميقة داخل نفسه كالحزن والفرح والجوع وغيرها الكثير، فالحصيلة اللغوية عند الطفل تكون فقيرة، فهو لا يمتلك مفردات لغته ومعانيها، ولكن مع مرور الوقت تبدأ الحصيلة اللغوية تتبلور شيئاً فشيئاً.

يحدد داود عبده مراحل ما قبل الكلام في: [1]

1- الصراخ: فالطفل يصدر أصواتاً متنوعة تبدأ بالصراخ.
2- المناغاة: وهي المرحلة التي يصدر فيها الطفل أصواتاً غير واضحة ويصعب وصفها بدقة في كثير من الأحيان وهذه المرحلة كما يصفها عبده هي نشاط فطري غير مكتسب يقوم به جميع الأطفال حتى الذين ولدوا منهم صماً.
3- الفهم السياقي: وفي هذه المرحلة يفهم الطفل المفردات والجمل باعتبارها رموزاً لغوية لها سلسلة أصوات تتسم بتنغيم معين ينطقها شخص معين في وضع معين كعبارة الأم لطفلها عندما تريد إطعامه بقولها: "افتح تمك".
4- مرحلة فهم بعض المفردات المعينة داخل العبارات مثل: كلمة (تعال) عندما تتكرر في عبارات مثل: "تعال إلى سريرك" و" تعال إلى المطبخ" والطفل في هذه المرحلة يفهم المفردات كرموز لغوية بغض النظر عن السياق الذي تقع فيه فهو غير قادر إلى الآن على ربط هذه المفردات بمفهومها الذهني.
5- مرحلة الإشارة: وهي مرحلة تظهر عند الطفل في أواخر السنة الأولى إذ يستعمل الطفل بعض الإشارات لجلب الانتباه إليه كأن يستخدم إشارات تؤدي معنى "انظر" أو "ما هذا؟" أو "أعطني" أو "دعني".

---

(1)عبده وحلو، في لغة الطفل، ج1، ص12-13.

المراحل السابقة التي ذكرها عبده نجدها بوضوح عند الباحثين والدارسين[1] الذين تناولوا مراحل اكتساب اللغة عند الطفل، إذ يمر الطفل عندهم بهذه المراحل وهي على الترتيب:

مرحلة ما قبل الكلام ← مرحلة المناغاة ← مرحلة المحاكاة (الإشارة) ← مرحلة الكلام والفهم.

فالنمو اللغوي عند الطفل يتم تدريجياً أو يأخذ جهاز الطفل اللغوي بالتطور شيئاً فشيئاً ومع مرور الزمن، فيبدأ بالصيحات والصراخات وبعض الأصوات إلى أن يطور نفسه تلقائياً واكتساباً، فيصدر بعض الكلمات والمفردات الأولية بفعل ما يسمعه من بيئته المحيطة كلفظتي "بابا وماما"، ثم يصدر مفردات لغوية مجردة من مفهومها الدلالي ويستمر هذا الجهاز بالتطور إلى أن يصل إلى إنتاج مفردات ذات دلالة يفهمها الطفل مع التأكيد أنَّ جُلَّ علماء الأصوات يؤكدون أنَّ الطفل يبدأ نطق ما يسهل عليه من الأصوات[2]. ثم يكوّن جهازه اللغوي معتمداً على قدراته الإدراكية والذهنية.

ولكن كيف يكتسب الطفل مفرداته ومعانيها؟ وما هي المراحل التي يمر بها اكتساب الطفل لمعاني المفردات؟

إن نمو اللغة عند الطفل يخضع لعوامل كثيرة إذ يرتبط نمو الطفل اللغوي بعوامل تتعلق بذكائه وسلامة جهازه العصبي، إلى جانب ما توفره البيئة الاجتماعية

---

(1) انظر: خليل، حلمي، اللغة والطفل دراسة في ضوء علم اللغة النفسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1986، 63–80. وانظر أيضاً: السيد، محمود أحمد، في طرائق تدريس اللغة العربية، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1982، ص113– 122. وانظر أيضاً: كلاس، الألسنية ولغة الطفل، ص47–53. وانظر أيضاً، وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، ص163–195. وانظر أيضاً: كنعان، علي أحمد، الخبرات اللغوية في رياض الأطفال، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2005، ص19. وانظر أيضاً: السيد، عبد الحميد سليمان، سيكولوجيا اللغة والطفل، دار الفكر العربي، القاهرة، 2003، ص62. وانظر أيضاً: منظمة الأمم المتحدة للطفولة، نمو الطفل وتطوره من عمر سنة إلى ثلاث سنوات، سلسلة اليونيسيف للطفولة المبكرة2 دليل المتدربين، مكتب اليونيسيف عمان، 1995، ص37.

(2) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1996، ص157.

والتعاقبية للطفل من ثراء في المعطيات اللغوية التي يتعرض لها الطفل يومياً[1]. ويقدم داود عبده تصوره حول آلية اكتساب الطفل لمفرداته ومعانيها إذ يكتسب الطفل مفرداته الأولى ببطء شديد، ثم تزداد سرعة اكتسابه اللغوي تدريجياً وتشمل كلمات الطفل الأولى عدداً قليلاً من الكلمات الدالة على أفعال مثل "فوق" للتعبير عن رغبة الطفل في أن يُرفع إلى أعلى أو "باي Bye" للتعبير عن رغبته في الخروج من المنزل أو قد تشمل كلمات تحدد أو تصف مثل "حار وكبير " وبعض الكلمات الاجتماعية مثل "نعم ولا" مع خلو الكلمات الأولى للطفل من الكلمات الوظيفية كحروف الجر وأدوات الاستفهام وأداة التعريف[2] وغير ذلك.

ومما يلفت عبده إليه الانتباه في هذا الجانب ما يتعلق بالفروق الفردية والإدراكية بين طفل وآخر في اكتساب مفرداته الأولى، إذ يؤكد أننا نلمسُ اختلافاً بين طفل وآخر من حيث نسبة المفردات (الأسماء، الأفعال، الصفات، الكلمات الاجتماعية) فالأطفال يختلفون في نسبة التحصيل لمفرداتهم من حيث القلة والكثرة ويرجع عبده هذا الأمر إلى سببين هما:

1- اتجاه الطفل نفسه في تعلم اللغة.

2- الظروف المحيطة به[3].

وبالحديث عن كيفية اكتساب الطفل لمعاني مفرداته، نجد أن عبده يلجأ إلى تفسير هذا الأمر معتمداً على الخصائص العامة للمفردات، التي ترتبط بأشكالها وأحجامها وألوانها وأنماط تصرفاتها، أو وجوه استعمالها والوظائف التي تؤديها وليس من

---

(1)زهران، حامد، علم نفس النمو، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1975، ص135.

(2) عبده وحلو، في لغة الطفل، ج1، ص14.

(3) المرجع نفسه، ص3.

الشرح اللغوي لمعانيها أو من السياق الدلالي الذي ترد فيه[1]، وتمر عملية اكتساب الطفل لمعاني مفرداته ضمن مراحل محددة وهي عند عبده: [2].

1- في هذه المرحلة ترتبط الكلمات الأولى عند الطفل بمعانيها بشيء أو حدث معين، ولا يعمم هذا المعنى على أشياء وأحداث من نفس الفئة فكلمة (كلب) مثلاً ترتبط بكلب معين؛ كلب العائلة مثلاً أو كلب الجيران دون غيره من الكلاب، فالطفل في بداية اكتسابه اللغوي يعتبر الشيء الذي يراه فريداً ليس له نظير.

2- في هذه المرحلة يبدأ الطفل بملاحظة وجود وجوه شبه تجمع بين الأشياء، فيلاحظ مثلاً ما يجمع بين الكلاب وما يجمع بين السيارات أو الكرات، فيصبح لديه مفهوم عام للكلب والسيارة والكرة، غير أن الطفل يعكس الوضع السابق في المرحلة الأولى، فبعد أن كان يربط كلمة كلب بكلب معين دون غيره من الكلاب، فإنه يربط الكلمة في هذه المرحلة بالكلاب جميعاً وبكل ذوات الأربع أيضاً؛ أي أن الطفل ينتقل من مرحلة التعميم الناقص إلى مرحلة التعميم الزائد مع ملاحظة أن الطفل يبدأ بملاحظة السمات العامة للأشياء التي تميزها عن غيرها ولتوضيح ذلك نأخذ على سبيل المثال كلمتي (تفاحة وكرة)، فقد يطلق الطفل على التفاحة كرة؛ نظراً لوجود شبه بالشكل، فشكل التفاحة كروي كما الكرة لكنه يلاحظ بعد حين أن الكرة لا تؤكل في حين أن التفاحة تؤكل، والكرة تنط والتفاحة لا تنط، وكذلك بقية الأشياء المتشابهة في الشكل.

3- في هذه المرحلة يبدأ الطفل وبالتدريج في تقليص تعميمه الزائد إلى أن يقترب تعميمه من تعميم الكبار أو يتطابق معه، وتوضيح ذلك على النحو الآتي: قد يكتسب الطفل بعد كلمة كلب، كلمة حصان وبقرة ويظل يطلق كلمة كلب على الخروف والقطط ثم يكتسب كلمة قط، فيقتصر استعمال كلمة كلب على الكلب

---

(1)عبده وحلو، في لغة الطفل، ج1، ص17.

(2) المرجع نفسه، ص17-22.

والخروف ثم يكتسب كلمة الخروف، فيصبح مدلول كلمة كلب عند الطفل كما هي عند الكبار أي أن الطفل ينتقل من مرحلة التعميم الزائد إلى مرحلة التعميم الصحيح.

4- المرحلة الأخيرة وتكون بين الخامسة والسابعة من عمر الطفل إذ يدخل الطفل مرحلة تصنيف الأشياء في فئات أكثر تجريداً، فالكلب والقط والخروف والحصان والبقرة تنتمي إلى فئة "الحيوان" والتفاح والموز والكمثرى تنتمي إلى فئة "الفاكهة" وهكذا.

ولتوضيح هذه المراحل يبين الشكل الآتي مراحل ومستويات اكتساب الطفل لمعاني مفرداته عند داود عبده:

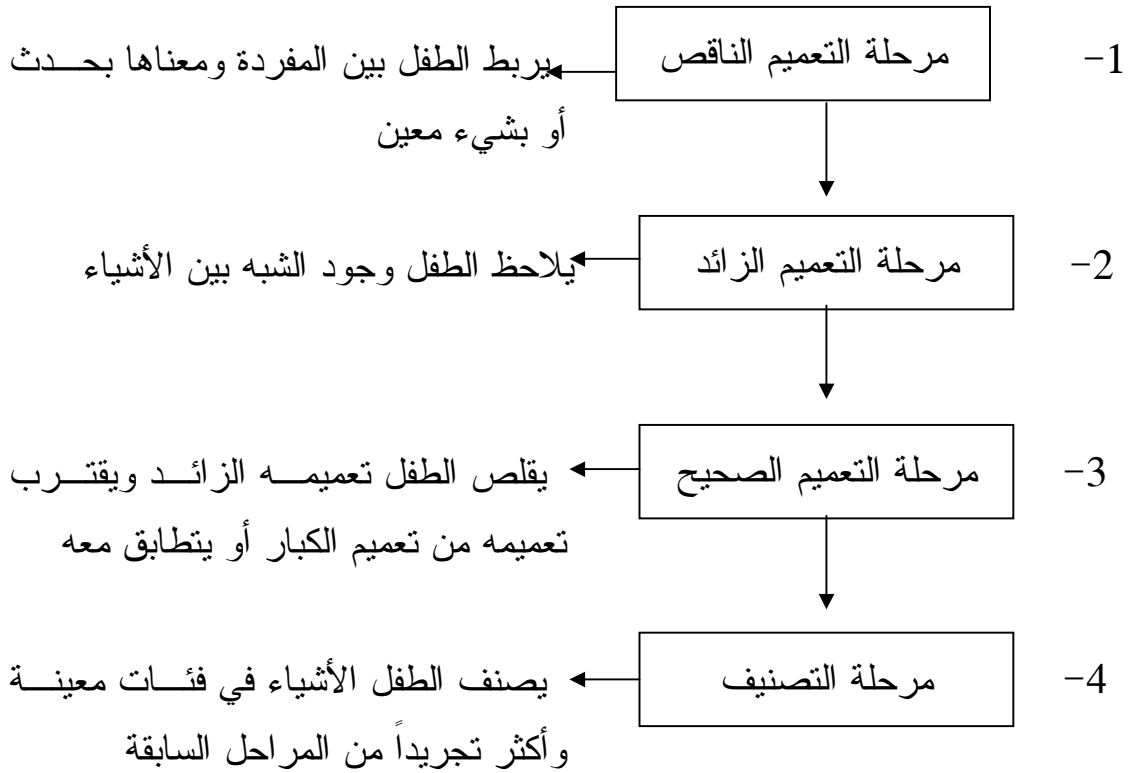

وأرى أن داود عبده في بحثه في آلية اكتساب اللغة عند الطفل قد عوَّل على نظريتين أساسيتين في علم الدلالة هما: نظرية الحقول الدلالية، ونظرية السمات الدلالية، فالنظرية الأولى نظرية الحقول الدلالية تعرف بأنها مجموعة من الكلمات

ترتبط دلالتها وتوضع تحت لفظ عام يجمعها[1]. وقد عرفه "S.Ulmann" بأنه قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبر عن مجال معين من الخبرة كما قال عنه "J.Lyons": بأنه مجموعة جزئية لمفردات اللغة[2]، وهو ما عبر عنه اللساني فندريس بقوله: إن الذهن يميل دائماً إلى جمع الكلمات وإلى اكتشاف عُرى جديدة تجمع بينها، فالكلمات تتثبت دائماً بعائلة لغوية[3]، فنظرية الحقول الدلالية تأسست على فكرة المفاهيم العامة التي تؤلف بين مفردات لغة ما بشكل منظم يساير المعرفة والخبرة البشرية المحددة للصلة الدلالية، أو الارتباط الدلالي بين الكلمات في لغة معينة[4]، فالكلمات ترتبط مع بعضها بعضاً دلالياً، وعلى هذا الأساس تستطيع القول بأن الكلمات لا تشكل كياناً مستقلاً بذاتها بل إن بعض اللغويين يرفض أن يتم الاكتساب اللغوي في شكل كلمات مفردة أو أن يكون المتكلم واعياً بالكلمات منعزلة أثناء عملية الكلام[5]. وعبده يرى أن الملاحظة التي توجد عند الطفل تعطيه القدرة على إدراك أن الكلمة التي تتكرر على مسمعه مرة بعد مرة لا بد لها من فئة تنتظم تحتها، فنجد الطفل أصبح قادراً على تصنيف المفردات ضمن أبوابها، أو حقولها الدلالية، فيصنف مثلاً القط والكلب والحصان ضمن حقل الحيوانات وهكذا، غير أن نظرية الحقول الدلالية لا تلعب وحدها الدور في اكتساب الطفل للغته، بل نجد عبده يشركها في نظرية أخرى وهي نظرية الملامح الدلالية (Semantic features) وهي الخصائص التي تميِّز تمييزاً دلالياً شيئاً عن غيره من الأشياء[6].

---

(1) عمر، علم الدلالة، ص14.

(2) المرجع نفسه، ص79.

(3) فندريس، ج، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمَّد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1950، ص333.

(4) طحّان، ريمون، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1981، ص93.

(5) حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، ص294.

(6) عبده وحلو، في لغة الطفل، ج1، ص22.

لو أخذنا كلمة رجل نجد أن السمات الدلالية لها على النحو الآتي:

رجل ←——— مذكر، عاقل، إنسان، حي، ناشط، محسوس، ذاتي الحركة...الخ، وفي إطار تفسير عبده لمسألة اختلاف معنى الكلمة عند الأطفال عنه عند الكبار نجده يعوّل على نظرية "إيف كلارك" في اكتساب الملامح الدلالية أو كما تعرف في حقل الدراسات الدلالية بـ"نموذج كلارك"[1]، وهي نظرية سعت إلى التوسع في البحث في السمات العامة والخاصة والمدركة للمفردة، فالطفل يكتسب لغته بناءً على هذه النظرية من خلال ملاحظته للسمات العامة للأشياء، والمفردات ثم تتناقص هذه السمات العامة إلى سمات أقل تسمى السمات الخاصة وصولاً إلى السمات المدركة التي يدركها الطفل معتمداً على قدراته الإدراكية والذهنية، ومن أبرز السمات الدلالية التي جاءت بها هذه النظرية (الحركة، الشكل، الحجم، الصوت، الطّعم، المادّة، الفعل،...الخ) ومن الأمثلة التطبيقية على اكتساب اللغة وفقاً لهذه النظرية يقدم داود عبده هذا المثال التطبيقي من كلام طفلته "ديمه" إذ يقول: "ومن أمثلة اكتساب بعض الملامح الدلالية للكلمة دون بعضها الآخر استعمال "ديمه" لكلمة "نُصّ" (نصف) فمن ملامح كلمة "نُصّ" أنها جزء من شيء وهو الملمح الأعم الذي يشترك فيه نصف مع ثلث وربع... الخ، وهذا هو الملمح الذي اكتسبته في البداية فقد كانت تقول: "نصٌّ لمروان ونصٌّ إلك، ونصٌّ إلي" ثم اكتسب ملمحاً أساسياً ثالثاً هو أن الجزأين متساويان فكانت تقول عندما نقسم قطعة الحلوى بينها وبين مروان: "نص مروان أكثر من نصي"[2].

---

(1)أحرشاو، الغالي، الطفل واللغة، ج1، الناشر المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان، ط1، 1993، ص129.

(2) عبده وحلو، في لغة الطفل، ج1، ص27.

4.1 اكتساب اللغة والمقدرة اللغوية

تعتبر اللغة الإنجاز الحضاري والثقافي للإنسان وهي وسيلة للحصول على المعرفة والتواصل مع أبناء جلدته، ولكل إنسان منَّا قدرة لغوية مسؤولة عن ضبط جميع العمليات اللغوية التي نمارسها إلى جانب أنها تلعب دوراً مهماً في معظم صور التفكير الإنساني. والقدرة اللغوية قدرة مكتسبة؛ لأنها تعتمد على استخدام اللغة ومفرداتها والتي هي بدورها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالفرد أولاً، وبالبيئة اللغوية التي يترعرع فيها ثانياً، فهو يتلقى مفرداته اللغوية وكيفية استخدامها بفعل بيئته التي يعيش فيها وهذا مذهب السلوكيّين كما أشرنا سابقاً، ولكن هذا لا يعني أن نقول إنَّ الطفل أو الفرد لا يوجد لديه استعداد فطري لغوي كامن لديه، فالطفل لديه قدرة عقلية تمكنه من تعلم لغته واكتسابها، بل إنه يبتكر فيها، وهذا ما جاء به تشومسكي في نظريته التوليدية التحويلية، فهو يرى أن الطفل مستقل بذاته من حيث اكتساب لغته، وابتكارها. فالطفل مبرمج داخلياً ليتعلم لغته ولا يحتاج إلا إلى القليل من الظروف الاجتماعية الملائمة والمرافقة لعملية الاكتساب اللغوي، لذلك نجد تشومسكي يؤكد أن الطفل السوي يكتسب معرفته اللغوية من خلال تعرض شفاف، ومن دون أن يتدرج عبر تمارين متخصصة[1] في بداية اكتسابه للغته، فالنظرية التوليدية التحويلية تنظر إلى اللغة باعتبارها مكوناً من مكونات العقل الإنساني، ونتاجاً عقلياً خاصاً بالإنسان، وأن القواعد اللغوية لأي فرد كان قائمة بشكل ضمني في الملكة اللسانية (الكفاية اللغوية) العائدة لمتكلم اللغة[2]. لذلك تقرر هذه النظرية حقيقة البحث فيه وتحديد طبيعته وخصائصه الإدراكية والمرتبطة بدورها بالمقدرة اللغوية.

وهذا الطرح تبناه كثير من رواد المدرسة العقلانية الذين تناولوا ظاهرة الاكتساب اللغوي.

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) ص48.

(2) زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ص57.

داود عبده في معالجته لهذه المسألة (القدرة اللغوية) يرى كما يرى أتباع المنهج العقلاني وإن لم يصرّح بذلك علانية، وأعني بذلك أنه لم يشهر انتسابه الصريح لهم، غير أن أفكاره وتعاطيه مع هذه المسألة يكشف لنا أن الرجل تستهويه أفكار المنهج العقلاني، ففي تعريفه للغة تأثر واضح بمنهجهم العقلاني إذ يعرفها بقوله: "اللغة هي المبادئ والقواعد التي تربط سلسلة الأصوات التي يلفظها الإنسان حين يتكلم بالأفكار التي تعبر عنها هذه الأصوات، وهي إلى جانب ذلك مجموعة مبادئ وقوانين، والكلام هو ما ينطق به الإنسان من ألفاظ تطبيقاً لهذه المبادئ والقوانين، وهذا يعني أنه لا يستطيع أن يتكلم دائماً جملاً صحيحة حسب تلك القواعد، ولهذا يجب التفريق بين معرفة اللغة أو الكفاية اللغوية وأدائها"[1]. ويكشف لنا كلام عبده تمثله الواضح لركيزتين من ركائز النظرية التوليدية التحويلية ألا وهما: ضرورة التفريق بين القدرة اللغوية (الكفاية اللغوية) وبين الأداء اللغوي من جهة، والركيزة الثانية المقبولية اللغوية أو كما تعرف بالجملة الصائبة الموافقة لقواعد اللغة التي يتكلمها ابن اللغة.

وعبده يرى أيضاً كما يرى العقلانيون بأن اللغة الإنسانية لغة إبداعية وتتميز بخاصية الخلق (Creativity)، وهي القدرة على تأليف جمل لم يسمع بها المتكلم من غيره وربما لم ينطقها أحد قبله.

إلى جانب فهم جمل لم يسمعها أيضاً من قبل في حياته[2]. وهذه السمة هي التي تجعل من الإنسان كائناً خلاقاً مبدعاً، وتميزه عن غيره من مخلوقات الله، يقول عبده في هذا الجانب: "إن الطفل الذي يفهم عبارة مثل أرني أنفك فيشير إلى أنفه أو يحرك يده إذا قلت له باي bye أو يمد يديه إذا قلت له تعال أحملك ولكنه لا يفهم أية عبارة أخرى مشابهة،لا يعرف اللغة بعد، ذلك أن أهم خاصة من خصائص اللغة البشرية هي جانبها الخلاق: القدرة على فهم جمل لم يسمعها من قبل ونطق جمل لم

(1) عبده وحلو، في لغة الطفل، ج2، ص9.

(2) المرجع نفسه، ج2، ص23.

يقلها أحد من قبل ولعل القارئ لم يسمع في حياته الجمل التالية: حلّق الفيل البنفسجي في الفضاء ثم هبط ببطء على ذيل قطة صفراء، ولكنه من غير شك قد فهم هذه الجملة وهو لم يفهمها لأنه؛ يعرف مفرداتها فحسب، بل لأنه؛ يعرف قواعد تراكيب اللغة العربية ولذا، فالحيوان (كالكلب أو الدب أو القرد....الخ) لا يعرف اللغة رغم أنه يفهم عبارات معينة فيستجيب لها لأن الجانب الخلّاق في اللغة مفقود لديه"[1].

5.1 مراحل نمو الجملة عند الطفل

بعد أن يمر الطفل بمراحل الاكتساب اللغوي الخاصة باكتسابه لمفرداته ومعانيها يبدأ جهازه اللغوي بالارتقاء شيئاً فشيئاً ليبدأ بتكوين جمله اللغوية البسيطة والتي لا تعد تركيباً لغوياً كاملاً[2]. فالطفل لا يصل إلى مرحلة تركيب الجمل على نحو سريع، بل يصل إليها في مراحل متأخرة من طفولته الأولى؛ لذلك نجد ظهور الجمل في لغة الطفل تبدو عارية عن الروابط والحروف، ويبدو تركيبها ساذجاً وبدون تنسيق، ولا ترتيب فيضع الطفل مفرداته بعضها بجانب بعض كيفما اتفق، مع ما لكل منها من أهمية في نظره فيبدأ بأكبرها أهمية، ويتدرج حتى ينتهي بأقلها شأناً فيقول مثلاً: (عصايا بابا ضرب محمد) قاصداً أن أباه قد ضرب محمداً بالعصا[3].

إن مراحل اكتساب الطفل للجملة لا تختلف من طفل إلى آخر مع مراعاة وجود فروق فردية بين الأطفال تجعل من الصعب وصف التطور اللغوي على أساس السن، لذلك نجد داود عبده يلجأ إلى ما لجأ إليه الدارسون والباحثون الذين تناولوا هذه المسألة، فنجده يصف اكتساب الطفل لجملته على أساس المراحل ويقسمها داود عبده إلى أربع مراحل هي:

1- مرحلة الكلمة الجملة (الجملة المؤلفة من كلمة واحدة).

---

(1)عبده وحلو، في لغة الطفل، ص21.

(2) وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، ص188.

(3) المرجع نفسه، ص188- 189.

2- مرحلة الجملة المختصرة (الجملة المؤلفة من كلمتين).

3- مرحلة الطلاقة.

4- مرحلة الإتقان[1].

ويؤكد عبده أن الطفل لا ينتقل انتقالاً فجائياً بين هذه المراحل بل هناك حدودٌ فاصلة بين كل مرحلة والتي تليها[2]. فهناك استمرار وتدرج في كل مرحلة من هذه المراحل التي تناولها عبده لا تختلف كثيراً عن تلك التي قال بها الباحثون والدارسون ممن تصدوا لهذه المسألة، فمنهم من يجعلها على ثلاث مراحل تشكل في مجملها الخطوط العامة لتكامل التركيب اللغوي الجُملي عن الطفل وهذه المراحل هي:

1- مرحلة الجملة (الكلمة) وتقع في منتصف السنة الثانية من عمر الطفل.

2- مرحلة الجملة شبه التامة (العبارة) تستمر إلى آخر السنة الثانية.

3- الجملة التامة وتكون في السنة الخامسة والسادسة من عمر الطفل[3].

هناك شبه إجماع على هذه المراحل عند الدارسين فالطفل في هذه المراحل يستطيع أن يستخدم في كلامه جملاً تتضمن فعلاً وفاعلاً ومفعولاً به في حالة أن يكون الكلام في صيغة جملة فعلية، قد تتضمن مبتدأً وخبراً في حالة أن تكون صيغة الكلام جملة اسمية، والطفل يبدأ في استخدام عناصر جديدة في كلامه لم يكن يستخدمها من قبل كعلامات التذكير والتأنيث والضمائر مثل: "أنا، لي، أنت، لك، نحن" وحروف الجر وأل التعريف[4]. غير أن الطفل في هذه المراحل من نموّه اللغوي لا يتمكن من إنجاز جمل مقبولة لغوياً، فكلامه ينحرف عن كلام الكبار بصورة منظمة[5]. غير أن الطفل يبني لغته بصورة إبداعية وبالتوافق مع قدراته

---

(1) عبده وحلو، في لغة الطفل، ج2، ص36.

(2) المرجع نفسه، ص36.

(3) الخلايلة واللبابيدي، تطور لغة الطفل، ص73-74.

(4) صالح، تطور اللغة عند الطفل، ص138.

(5) كلاس، الألسنية ولغة الطفل العربي، ص65.

الباطنية وبيئته اللغوية التي يترعرع فيها وصولاً بلغته إلى مصاف لغة الكبار وبالتالي تصبح لغته أكثر انسجاماً وأكثر قواعدية مع مرور الزمن.

وبالحديث عن مراحل نمو الجملة عند الطفل كما وصفها داود عبده، فهي:

1- مرحلة الكلمة- الجملة-:

سميت هذه المرحلة بهذه التسمية؛ لأن الطفل يستعمل مفردات تدل على جمل، فعندما يقول "ماما" مثلاً وهو يشير إلى حذاء أمه فإنه يعني "هذا حذاء ماما" أو "ماما تريد حذاءها"[1].والحدود الزمانية لهذه المرحلة تظهر عند الطفل في أواخر السنة الأولى أو أوائل السنة الثانية، وعبده يشير في هذا الجانب إلى أمر مهم يتعلق في مقدرة الطفل على فهم جمل مؤلفة من كلمتين أو أكثر، فهو يؤكد عدم مقدرة الطفل في هذا الشأن معللاً ذلك بعدم مقدرة الطفل على التركيز على جميع مفردات الجملة في آن واحد، ويعوّل عبده في هذا الرأي على دراسة "لهيلين بندكت" أظهرت أن هذا الأمر لا يحدث بشكل تام إلا في أواخر هذه المرحلة، أما في بداية هذه المرحلة فلا يستطيع فهم هذه الجمل كاملة[2]. وتقدم الباحثة مثالاً من اللغة لتوضيح الأمر ففي جملة "أعطِ الكرة لهيلين" هناك عنصر الإعطاء (أعطِ) وعنصر المعطى (الكرة) وعنصر المعطى إليه (هيلين) وقد وجدت الباحثة أن الطفل في بداية هذه المرحلة لا يفهم إلا أحد هذه العناصر؛ لعدم قدرته على التركيز عليها كلها في آن واحد، بالإضافة إلى عجز الطفل عن إدراك العلاقات التركيبية بين كلمات الجملة وهذا ما تبناه عبده في تعاطيه مع هذه المسألة.

---

(1) عبده وحلو، في لغة الطفل، ج2، ص37.

(2) المرجع نفسه، ص37.

2- مرحلة الجملة المختصرة

الحدود الزمانية الفاصلة لهذه المرحلة يحددها عبده بين منتصف السنة الثانية من العمر وآخرها[1]. وفي هذه المرحلة تقتصر جمل الطفل على جمل الإخبار والطلب (الأمر والاستفهام) وتخلو من التعجب[2] على حد قول عبده.

وهنا نشير إلى أن هناك عدة دراسات أشارت إلى أن الأطفال في حوالي نهاية السنة الثانية من عمرهم يضعون كلماتهم المنفردة في جمل ذات كلمتين ليعبروا عن مفاهيمهم الأساسية مثل (المكان، الفعل، الفاعل، المفعول، الاستفهام،....الخ) [3].

إن بلوغ الطفل اللغوي في هذه المرحلة يصبح أكثر انتظاماً من المرحلة التي سبقتها فكلامه -أي الطفل- يصبح أكثر وضوحاً بالنسبة لمن يتعايشون معه، فالطفل يبدأ بتكوين جمله على نحو جديد بحيث تصبح مؤلفة من كلمتين أو أكثر نحو "أريد حليباً" و"بابا راح عمو"[4]. ومما لاحظه عبده على جمل الطفل في هذه المرحلة أن فهمها يعتمد على الموقف الذي قيلت فيه ومن ذلك جملة "mommy sock" فقد تعني "هذا جورب ماما" أو "أعطِ الجورب لماما" أو "ماما تلبس جوربها"... الخ[5]. فكلام الطفل وجمله تفهم من خلال السياق الذي ترد فيه مع ضرورة التأكيد أن الطفل في هذه المرحلة يلجأ إلى قواعد تتعلق بالتركيب اللغوي دون أن يشعر الطفل، وعبده هنا يدلل على هذا الأمر من خلال بعض الأمثلة اللغوية التي ينطقها الأطفال، يقول: "إذا كانت الجملة/ الجمل تتألف من كلمتين إحداهما تعبر عن الفاعل والأخرى عن المفعول فإن الكلمة الدالة على الفاعل تقع أولاً كما في جملة "ماما تلبس جوربها"[6].

---

(1)عبده وحلو، في لغة الطفل، ص39.

(2) المرجع نفسه، ص39.

(3) الخلايلة واللبابيدي، تطور لغة الطفل، ص74.

(4) عبده حلو، في لغة الطفل، ص40.

(5) المرجع نفسه، ج2،ص41.

(6) المرجع نفسه، ص43.

هذا الترتيب الذي يتخذه الأطفال لا يطرد في جميع الأمثلة اللغوية التي ينطقونها ومن ذلك مثال يورده عبده على لسان ولده مروان عندما يطلب الحليب فهو يقــول: "أدُّب (اضرب) ماما" أي اضرب أمي"[1]. فهو هنا يستعمل فعل الأمر في بداية الجملة وهذا يعني أن قواعد التركيب في هذه المرحلة عند الطفل ليست مطردة وهذا ما خالف فيه عبده كثيراً من الباحثين الذين قالوا باطراد قواعد التركيب عنــد الطفــل فــي هــذه المرحلة.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن هناك عدة مؤشرات مهمــة يعتمــد عليها علماء اللسانيات وعلماء النفس في تقدير مستوى التطور عند الطفل فــي هــذه المرحلة ومن هذه المؤشرات:

1- مدى فهم الكبار لحديث الطفل.

2- نمو الحصيلة اللغوية.

3- طول الجمل التي يستخدمها الطفل.

4- مدى تعقيد الجملة أو بساطتها[2].

داود عبده من اللسانيين الذين يؤمنون بالقدرات الإدراكية (العقلية) لدى الطفل، لذلك نجده يجيب عن سؤال مهم يتعلق في الجمل التي ينتجها الطفل في هذه المرحلة، هذا السؤال قائم على شقين هما: الحفظ والتأليف، وفحوى هذا الســؤال: هــل جمــل الطفل المنتجة في هذه المرحلة حفظ أم تأليف؟ بمعنى أن عبده يتساءل عــن الجمــل التي يكتسبها الطفل و يؤلِّفها في هذه المرحلة هل هي جمل يحفظها الطفل من واقعــه اللغوي الذي يترعرع فيه أم أن لدى الطفل قدرات إدراكية يلجأ إليها في تأليفه لجمله التي ينطق بها؟

هذا الأمر عند عبده أمر هيّن على اعتبار أن عبــده مــن مؤيــدي المــذهب الإدراكي في اكتساب اللغة كما أشرنا سابقاً، فعبده هنا يدعو إلى اعتبار هذه الجمــل

---

(1)عبده وحلو، في لغة الطفل، ص44.

(2) كرم الدين، اللغة عند الطفل ما قبل المدرسة، ص79.

التي ينتجها الطفل في هذه المرحلة جملاً مؤلفة لا جملاً محفوظة فالطفل لديه قدرات إبداعية في تأليف الكلام واكتسابه ويستند عبده على جملة من الأسباب تدلل صحة ما يذهب إليه وهي:

1- الأجزاء التي يحذفها الطفل ليست عشوائية، فالطفل لا يحذف من جملته في هذه المرحلة الأجزاء الرئيسة، بل يحذف ما ليس له قيمة في الجملة فمثلاً الطفل يقول: "بابا سيارة" في مقابل جملة الكبار، "البابا في السيارة" ولكنه لا يقول "السيارة في" أو "سيارة البابا".

2- ترتيب الكلمات في جمل الطفل كثيراً ما يكون مختلفاً عن ترتيبها عند الكبار وهو الترتيب الذي يعتبر خطأ من وجهة نظر الكبار، وهذا يعني أنه من غير الممكن أن يكون كلام الطفل محفوظاً.

3- عدم تطبيق القواعد التي يطبقها الكبار، فالكبار مثلاً يطبقون قاعدة لفظ التاء المربوطة على الأسماء المضافة، يقولون: سيارة دون التاء ولكن سيارة فلان بلفظ التاء وهذه القاعدة لا يطبقها الطفل في هذه المرحلة مما يعني أن الطفل لا يحفظ الكلام بل يؤلفه.

4- يطبق الطفل ما يسمى بـ"القياس الخاطئ" فيقول: قلمات بدلاً من أقلام فهو يطبق قواعد استخلصها على أمثلة لا تنطبق عليها تلك القواعد[1].

غير أن عبده يشير إلى بعض العبارات التي يحفظها الطفل يكتسبها من بيئته اللغوية التي يعيش فيها وهي عبارات قليلة من مثل "صباح الخير، ومع السلامة" وهذه العبارات يُعبر عنها عبده بأنها سلسلة من الأصوات التي يلفظها الطفل دون إدراك للأجزاء التي تتألف منها[2]. ويوضح عبده رأيه هذا من خلال هذا المثال:

عبارة مع السلامة تتألف من ⟵ مع+ ال التعريف+ سلامة.

---

(1) عبده وحلو، في لغة الطفل، ج2، ص47.

(2) المرجع نفسه، ص48.

عبارة بابا في السيارة تتألف من ←——— بابا+ في+ أل+ سيارة[1].

العبارة الأولى مع السلامة يلفظها الطفل دون أي حذف وأعني حذف أل التعريف تحديداً، أما العبارة الثانية فإن الطفل يلفظها بابا في سيارة أي بحذف أل التعريف.

وأرى أن دراسة الجمل التي ينطقها الطفل في هذه المرحلة تكشف لنا أمراً مهماً يتعلق بمدى انسجامها وقواعد اللغة التي ينشأ بها الطفل فكلمة من مثل "هات" وهي كلمة شائعة بين الأطفال تعتبر فعل أمر وفاعلها ضمير مستتر تقديره أنت وهي كلمة تقابل الفعل "أعطِ"، وهذا يعني أن الطفل لديه معرفة ضمنية بقواعد لغته تمكنه من صياغة جمله على نحوٍ سليم نوعاً ما، ولا أقول إنَّ قواعدية الجمل التي ينطق بها الطفل في هذه المرحلة قد تصل إلى مستوى لغة الكبار، فهذا أمر يستحيل حدوثه؛ نظراً لقلة المخزون اللغوي عند الطفل إلى جانب لجوء الطفل إلى اللغة العامية في أدائه اللغوي، وهي لغة لا ترقى إلى مصاف اللغة الأدبية التي تنسجم وقواعد اللغة.

3- مرحلة الطلاقة

يحدِّد عبده بداية هذه المرحلة ببلوغ الطفل عمر السنتين والنصف أي بعد نهاية السنة الثانية والنصف[2]، وتتميز هذه المرحلة عن المرحلة السابقة في كونها تقتصر على جمل يتناول فيها الطفل الحاضر الملموس والماضي القريب جداً، أو عما يحيط به أو يراه الآن إلى جانب الأمور الآتية:

1- تزداد مفردات الطفل في هذه المرحلة ازدياداً كبيراً وملحوظاً على خلاف المرحلة السابقة التي تتسم بجمل مختصرة ومحدودة.

2- جمل الطفل في هذه المرحلة تقترب من جمل الكبار، وتحتوي على السوابق واللواحق والضمائر المتصلة والأدوات من مثل: "أنا رايح بالسيارة عند جدّو" أي "أنا ذاهب بالسيارة عند جدي".

---

(1) عبده وحلو، في لغة الطفل، ص48.

(2)المرجع نفسه ، ج2، ص49.

3- تصبح جملة الطفل في هذه المرحلة أكثر طولاً وتعقيداً، وتحتوي على محتوى دلالي كبير، وفي هذه المرحلة تظهر الجمل المركبة التي تتألف من جملتين بسيطتين بينهما علاقة، الجملة الأولى هي: الأساسية، أما الجملة الثانية فهي الفرعية مثل: "الذي كان على الطاولة"، فالطفل في هذه المرحلة يصبح قادراً على التعبير عن مقولتين في جملة واحدة، أما في المرحلة السابقة فقد كان الطفل يعبر عن المقولتين بجملتين متواليتين دون أداة ربط[1].

وبالحديث عن فهم الطفل لجمله في هذه المرحلة يُرجع عبده هذا الأمر إلى الجانب الدلالي أي على دلالات المفردات، إلى جانب السياق الذي تقال فيه[2]، وأرى هنا أنَّ عبده يتفق مع أصحاب النظرية السياقية فيما يتعلق في فهم الجمل و ادراكها ضمن سياقها الذي تُقال فيه فهو هنا يخالف العقلانيين فيما يخصُّ هذا الجانب، بعيداً عن قواعد تركيب الجملة أي العلامات اللغوية المختلفة، التي تتضمنها الجملة، على أن الطفل في مراحل لاحقة يبدأ بملاحظة العلامات اللغوية ويأخذها بعين الاعتبار في فهم جمله التي ينطقها، وهذا يقودنا إلى الحديث عن قواعد الكبار أي أن الطفل ما يزال في هذه المرحلة يبتعد عن القواعد الأساسية التي تنظم لغته بشيء بسيط، غير أنه يقترب منها شيئاً فشيئاً مع تقدمه في السن، ويجمل عبده مراحل تطور الطفل في مرحلة الطلاقة وفق التغيرات الآتية:

1- ازدياد عدد المفاهيم الدلالية عند الطفل.

2- ازدياد في إتقان قواعد التركيب اللغوية.

3- ازدياد قدرة الطفل على إنتاج جمل أطول وأكثر تعقيداً وأقرب إلى القمة والكمال من المرحلة السابقة.

4- ازدياد في عدد المفردات[3].

---

(1)عبده وحلو، في لغة الطفل، ج2، ص49- 51.

(2) المرجع نفسه، ص54.

(3) المرجع نفسه، ص56.

4- مرحلة الإتقان:

إن النمو اللغوي عند الطفل يأخذ بالتشكل شيئاً فشيئاً، ويتدرج عبر مراحل نموّه ونمو جهازه اللغوي، وأعضاء نطقه. فالطفل يبدأ بالأصوات، ثم الكلمة ثم الكلمتين، فالجملة التي يعبر من خلالها عن حاجاته ورغباته.

إن الوصول إلى مرحلة الإتقان اللغوي يعني أن الطفل أصبحت لديه القدرة على تركيب الجمل غير أن بعضهم ومنهم داود عبده يرى أن تسمية هذه المرحلة بهذا الاسم لا يعني أن لغة الطفل قد أصبحت متقنه[1]. وإنما قصد عبده بهذه التسمية أن لغة الطفل تتجه نحو الإتقان، ويحدِّد عبده الحدود الزمانية لهذه المرحلة ما بين الرابعة والخامسة من عمر الطفل، وتستمر لبضع سنوات تالية وهذا يعني أن لغته ما زالت قاصرة. ويحدد عبده مجالات القصور في هذه المرحلة في أربع نواح هي:

1- المفردات.

2- التراكيب اللغوية.

3- القدرة على إصدار الأحكام اللغوية الصحيحة.

4- مراعاة معلومات السامع عن موضوع الحديث[2].

إن الطفل في هذه المرحلة كما يقول عبده تظل مفرداته محدودة مقارنة بمفردات الكبار، ويبقى الطفل يتعلم ويكتسب مفردات جديدة مدة حياته، وتصبح معاني مفرداته أكثر دقة، غير أن عبده يلفت الانتباه لمسألة مهمة، وهي أن الكبار يظنون أن الطفل يستعمل مفردته استعمالاً صحيحاً في سياق معين، ظناً منهم أن الطفل يعرف معناها ثم يدركون أن المعنى الذي قصده الطفل في ذهنه يختلف عن معناها عندهم، ولتوضيح هذا الأمر نأخذ المثال الآتي:

---

(1) عبده وحلو، في لغة الطفل، ج2، ص57

(2) المرجع نفسه ، ص57.

مفردة (بقالة) التي تعني دكان، فالطفل يستخدمها في جملة من مثل: خلينا نروح على بقالة الكتب، فهو هنا يعني بالبقالة المكتبة، وهي الكلمة التي يستعملها الكبار[1].

وبالنسبة للتراكيب اللغوية في هذه المرحلة، فعبده يشير إلى أن الطفل يستمر في استعمال تراكيب لغوية كثيرة استعمالاً خاطئاً سواء على مستوى الجملة أو الكلمة[2]. ولعل كثيراً من أطفالنا في العربية لا يتقنون بعض الأداءات اللغوية إلا بعد مراحل متقدمة من حياتهم، ومن ذلك أحكام العدد والمعدود، فبعض الأطفال يقول "خمسين دقائق" بدلاً من "خمسين دقيقة"[3]. فهنالك صعوبة في إتقان بعض القواعد التركيبية التي قد يتأخر الطفل في إتقانها، ومن القواعد التي قد لا يتقنها الطفل في اكتساب اللغة العربية كما أشار إليها عبده الخلط بين حروف الجر، والخلط بين المذكر والمؤنث، والخلط بين أدوات الشرط وغير ذلك من قواعد العربية.

ويبقى أن نقول إنَّ القدرة على إصدار الأحكام اللغوية الصحيحة على الجمل التي ينطقها الطفل تأخذ بالتطور، غير أنها لا بد أن تصقل بالدراسة والتعليم من البيئة اللغوية التي ينشأ فيها الطفل، ولعل أهم ما يميز هذه المرحلة –مرحلة الإتقان– أن الطفل تتسع قدراته العقلية والذهنية والمعرفية، وبالتالي تبدأ الخبرة اللغوية بالتكون مع مرور الوقت وصولاً إلى الفهم والتفكير المستقل في مراحل الطفولة المتأخرة ما بين (9–12) سنة.

---

(1)عبده وحلو، في لغة الطفل، ج2، ص57.

(2) المرجع نفسه، ص58.

(3) المرجع نفسه، ص59.

6.1 جهود داود عبده التركيبية في النظرية التوليدية التحويلية و انعكاسها على اللغة العربية:

قبل الخوض في دراسة الجهود التي بذلها داود عبده على المستوى التركيبي للغة العربية، ومدى حضور معطيات النظرية التوليدية التحويلية في قضايا اللغة العربية وانسجامها معها، لا بد لنا أن نشير إلى ما قدمه الرجل من مجموعة لا بأس بها من بحوث لغوية تركيبية حاول من خلالها تقديم تصور شامل وجديد في لغة الضاد، فعبده قد تبنى منهجاً علمياً في دراسة اللغة العربية، وتعاطي كثيراً من قضاياها اللغوية والنحوية، فهو يؤكد الاختلاف الكبير الذي طُبعت به الدراسات التركيبية عند علماء اللغة والنحو، ومنذ القرن الثاني للهجرة حتى يومنا هذا وهو اختلاف أصاب كثيراً من قضايا العربية وظواهرها اللغوية المتشعبة، وعبده ينظر إلى هذا الاختلاف على أنه أسهم إلى حد ما في إشباع الدراسات اللغوية، وتقديم الآراء اللغوية المتعددة التي بدورها تساهم في تكوين القراءات والتفسيرات المحتملة للظواهر اللغوية، ومع هذا التعدد في الآراء والتفسيرات اللغوية نجد عبده يقر أنَّ الباب ما يزال مفتوحاً لأي رأي لغوي جديد[1] قد يُسْهِمُ في إعطاء التفسير الصحيح لأي ظاهرة لغوية، وهو بهذا لا يقف في تحليله ودراسته للظواهر التركيبية للغة العربية عند ما توصل إليه نحاة العرب، وفقهاء النحو العربي، بل يحاول جاهداً البحث عن كل تفسير محتمل للظاهرة اللغوية.

لقد تعددت محاولات عبده في وصف الجوانب التركيبية للغة العربية وتحليلها، وتناول كثيراً من القضايا التركيبية التي شكلت على مدار العصور التي مرّت بها لغة الضاد مجالاً رحباً للدراسة والبحث والتمحيص، ولقد جمع عبده هذه البحوث في كتابه الأول الذي صدر عام 1973 في بيروت والمعنون بـ "أبحاث في الكلمة والجملة"، و نال هذا الكتاب نصيباً طيباً عند الدارسين والمهتمين في قضايا اللغة العربية، وهذا ما دفع بعبده إلى أن يعيد نشر هذا الكتاب مرة أخرى مع إجراء بعض

(1) عبده، أبحاث في اللغة العربية، ص7.

التعديلات المهمة على البحوث اللغوية التي جاءت فيه، وكان ذلك عـــام 2008 فـــي عمَّان وحمل الكتاب العنوان نفسه.

واشتمل هذا الكتاب على أربعة فصول: وهي الفصول التي أعاد عبده تعديلها وأضاف إليها بعض التنقيحات التي تطلبتها التطورات الجديدة التي أصابت اللغة وأفاد منها عبده وهذه الفصول هي[1]:

1- الاسم الموصول "اسم هو أم أداة للتعريف"؟

2- ضمائر متصلة أم علامات مطابقة؟

3- الحركات الأخيرة في الكلمة: هل هي للوصل؟

4- حركات الإعراب وعلاقتها بالمعنى؟

وعلاوة على هذه الفصول ضمَّن عبده كتابه هذا أربعة بحوث تركيبية، كان قد نشرها في مجلات لغوية محكمة ومتخصصة في العلوم الإنسانية، وهو بهذا سعى إلى تمكين القارئ العربي من الرجوع إلى هذه الأبحاث بكل سهولة ويسر، وضمن كتاب واحد يريح القارئ من عناء البحث، وهذه البحوث هي: [2].

1- الأصل في الفعل سكون آخره، وهو البحث الذي ألقاه عبده في ندوة متخصصة في اللغة العربية وذلك في جامعة الكويت عام 1985.

2- الماضي والمضارع أيهما مشتق من الآخر؟ وهو بحث كان عبده قد نشره فـــي المجلة العربية للعلوم الإنسانية التابعة لجامعة الكويت في العدد التاسع 1983 و أعيد نشره مرة أخرى في مجلة تكامل المعرفة المغربية والتابعة لجمعية الفلسفة بالمغرب، وكان ذلك في العدد التاسع 1984 وهو عدد خاص باللسانيات.

3- التقدير وظاهر اللفظ في الجملة العربية، وهو بحث جمع فيه عبده بين ما أورده في كتابه الأول "أبحاث في اللغة العربية" حول هذه الظاهرة وبين بحث آخر كان

---

(1) للاطلاع على هذه الأبحاث انظر: عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، وانظر أيضاً عبده، أبحاث في اللغة العربية.

(2) للاطلاع على هذه الأبحاث والاستفادة منها انظر: عبده، أبحاث في الكلمة والجملة.

قد نشره في مجلة الفكر العربي في العددين الثامن والتاسع لسنة 1979 وقد حمل هذا البحث عنوان "الألسنية أحدث العلوم الإنسانية".

4- البنية العميقة في الجملة الفعلية في العربية: فعل- فاعل- مفعول أم فاعل- فعل- مفعول؟ وهو بحث نشر في عدد خاص في أبحاث الجامعة الأمريكية في بيروت عام 1983، وحمل هذا العدد عنوان "اللغة والحضارة العربيتان"، وهذا البحث هو مدار البحث والتحليل والدراسة في هذا الفصل؛ لاتصاله بالنظرية التوليدية التحويلية وهو بهذا البحث يستلهم بعضاً من مفاهيم هذه النظرية، ويحاول أن يطبق كثيراً من جوانبها على اللغة العربية، فقد شكلت قضية ترتيب عناصر البنية العميقة في الجملة العربية منطلقاً للدراسات، والبحوث التركيبية العديدة وخصوصاً في مرحلة السبعينيات، وهي المرحلة التي سادت فيها أفكار النظريتين النموذجية، والنموذجية الموسعة وهي النظرية التي استثمرها داود عبده في دراسته لقواعد التركيب في اللغة العربية، وتحديداً في بحثه الأخير من كتابه أبحاث في الكلمة والجملة.

وبالنظر لما قدمه داود عبده في هذا الجانب، فإننا نجد مدى إصرار عبده على الإفادة من أبرز الأفكار التوليدية التحويلية التي جاءت في البدايات الأولى للنظرية،وأعني هنا البنية العميقة والبنية السطحية، فعبده استثمر هذا المبدأ العام في تفسير التركيب للكلمة والجملة على حدٍّ سواء، وتناول أثر هاتين البنيتين في تفسير كثير من الظواهر اللغوية التي ترتبط بالتركيب اللغوي، فهو على سبيل المثال يربط بين قواعد تركيب الكلمة والبنيتين العميقة والسطحية في تفسير قواعد صياغة الفعل الماضي والمضارع والأمر، وقواعد التذكير والتأنيث والجمع في الأسماء[1].

ومن الواضح أن داود ينتهج في دراسته التركيبية أسساً علمية تقوم على أساس متين من الإلمام بالقواعد اللغوية للغة العربية، التي تشكل في جملتها البناء الكلي للغة، وتتضح هذه الأسس العلمية من خلال منهجه المتميز في تعليم اللغة العربية صرفها

(1)عبده، داود، من قضايا اللغة العربية، دار الكرمل للنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص40.

ونحوها، فهو يقدم الأسئلة والإشكاليات التي تدور في ذهن متعلم اللغة في تفسير بعض القواعد التي تنتظم بها اللغة العربية، التي ترتبط بدورها بالبنيتين العميقة والسطحية، فعبده يؤكد ضرورة أن يشير (المعلم) إلى هاتين البنيتين عندما يتصدى لقواعد العربية بالشرح والتفسير ولا يكتفي بالوصف الظاهري على حساب عمومية القاعدة اللغوية، فمعلم اللغة إن اكتفى بالوصف الظاهري فقط في تفسير القواعد اللغوية، فإنه بذلك يستعيض عن القواعد العلمية بقواعد متفرقة لا تقوم على أسس علمية وإن أدت نتائج صحيحة[1]. ومن ذلك تفسيره لترتيب عناصر البنية اللغوية وكيفية تعاطي النحاة مع هذا الترتيب في تركيب الجملة الاختيارية مثل: (وصل المعلم، المعلم وصل)، فاللغة العربية تجيز هذين التركيبين مع التأكيد أن المعلم في الحالتين مرفوع، وأنه في الحالتين فاعل على رأي الكوفيين، وعبده يرى أنْ لا فائدة من الإصرار على اعتبار المعلم في الجملة الثانية (المعلم وصل) ليس الفاعل وحين نُصر على أن نسمع العبارة المشهورة، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود إلى المعلم، فليس ما يمنع أن يقال إنَّ المعلم في الجملة الثانية مبتدأ فاعل[2]. وأرى أنَّ عبده متأثر بمنهج ابن مضاء القرطبي في نظرته لتقدير الضمائر المستترة في الأفعال، ففي جملة (زيد قام) يرى أن لفظ الفعل يدل على الفاعل فلا يحتاج أن يُضْمَرَ شيءٌ؛ لأنه زيادة لا فائدة فيها[3]. ولعل عبده في هذا يدعو إلى الاقتصاد والتيسير في الدراسة اللغوية، وهو من أهم المبادئ التي دعت إليها النظرية التوليدية التحويلية.

---

(1)عبده، من قضايا اللغة العربية، ص157.

(2) المرجع نفسه، ص40-41.

(3)القرطبي، ابن مضاء، الرد على النحاة، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ص90-91.

7.1 البنية العميقة للجمل الفعلية في اللغة العربية (قضية الرتبة)

احتلت قضية ترتيب العناصر اللغوية في البنية العميقة للجملة أو ما عرف عند بعض الدارسين بقضية الرتبة اللغوية مكانة متميزة نشأ عنها اختلاف واضح بين مؤيد ومعارض لنمط من أنماط الترتيب اللغوي، انطلاقاً من رؤى وأدلة يسوقها كل من تصدى لهذه المسألة، وحاول أن يؤسس لرأي فيها.

لذلك نجد أن التوليديين قد انشغلوا بالبحث والدراسة لهذه القضية وأسهبوا في الحديث فيها، وفي هذا الإطار العام نجد أن المؤسس الأول للفكر التوليدي التحويلي نعوم تشومسكي كان أول من فتح الباب على مصراعيه في الحديث الأولي عن هذه المسألة، فهو حاول البحث عن رتبة أصيلة للغته الأم (الإنجليزية) وخلُصَ إلى أن النمط الأساس لهذه العناصر في لغته يمكن أن يُؤطَّر في القاعدة الآتية (فا- ف- مف)، وبموجب هذه القاعدة التي وصفها تشومسكي ذهب إلى أن هذا النمط يتوافق مع كل اللغات الإنسانية التي ينطق بها الناس على اختلاف أجناسهم ومناطقهم الجغرافية، بل إنه غالى في الأمر حين أنكر وجود لغات قد تخرج عن هذا النمط، ولعل هذا الرأي غير المبني على أدلة وحجج قاطعة هو ما حدا ببعض اللسانيين العرب على رفض هذا الرأي، وعلى رأسهم اللساني المغربي عبد القادر الفاسي الفهري[1].

وبالنظر إلى تعاطي اللسانيين التوليديين العرب مع هذه المسألة نجدهم قد انقسموا إلى قسمين: قسم تبنى رأي تشومسكي كما هو، بمعنى أن ترتيب العناصر اللغوية في البنية العميقة للجملة في اللغة العربية هي من نمط (فا- ف- مف) ومن هؤلاء داود عبده[2] الذي يميل إلى هذا الترتيب وسعى جاهداً إلى البرهنة على صحة قوله. أما القسم الثاني فاعتبر أن البنية الأصلية لترتيب العناصر اللغوية للبنية العميقة

---

(1) الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص105.

(2) عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، ص105.

من الجملة العربية هو من نمط: (ف- فا- مف) ومن هؤلاء ميشال زكريا، الفاسي الفهري، خليل عمايرة، وأحمد المتوكل[1].

ومما لا شك فيه أن مسألة الرتبة لا يمكن لنا البت فيها ببساطة[2]؛ نظراً لكثرة الآراء والتوجهات الفكرية التي تناولت هذه المسألة.

إن اشتغال التوليديين العرب في هذه القضية التي تشكل أساساً متيناً من أسس النحو التوليدي، يكشف لنا مدى الحضور الكبير لها في الدراسات التي عُنيت بالتركيب اللغوي للجملة العربية، وتكمن أهميتها في أنها تُسْهِمُ في حل الإشكالات الكبيرة التي تمس بعضاً من قضايا اللغة العربية مثل: الإعراب، واتجاه الإسناد، والضمائر، والمتصلات، وظاهرة التطابق، والتقديم والتأخير[3]. وغير ذلك من القواعد والقوانين التي تمس المكوِّنات داخل الجملة في العربية.

وبالحديث عن الجهود التي بذلها داود عبده في بحث هذه المسألة وتحليلها وتبنيه لرأي فيها نقول: إنه قد سار على خطة قوامها عرض مجموع التصورات النظرية التي جاء بها اللسانيون العرب حول هذه المسألة، ومن ثم يقوم بوضع جملة من الفرضيات يسعى من خلالها إلى تبني أو رفض ما جاء بها انطلاقاً من رؤية خاصة طُبعت بها جهود عبده في هذا المجال، فهو يطرح لنا تصوراً جديداً يفسر ويكشف لنا الترتيب الصحيح للعناصر اللغوية في البنية العميقة للجملة العربية.

---

(1) انظر في الكتب الآتية: زكريا، ميشال، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية الجملة البسيطة، ص28. الفهري، عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية، ص106-107، عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، 88-95، وانظر: المتوكل، أحمد، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1985، ص88.

(2) هذا الرأي يُنسب لميشال زكريا عند حديثه عن هيمنة بنية من بنيات اللغة على غيرها. انظر: زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية الجملة البسيطة، ص 31.

(3)اسماعيلي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص293.

داود عبده ينطلق في تحليله لهذه المسألة من الكليات اللغوية التي تلامس البعد النظري لها، فهو يشير إلى أن اللغات تختلف فيما بينها في ترتيب مكوناتها اللغوية فمنها ما يقع فيها الفعل قبل الفاعل، ومنها ما يقع فيها بعده، ومنها ما يقع فيها المفعول به بعد الفعل ومنها ما يقع قبله، وهناك كثير من اللغات التي تجيز نوعين أو أكثر من الترتيب في مكونات الجملة الأساسية الثلاثة: (الفعل- الفاعل- المفعول به) [1]. فالاختلاف في ترتيب مكونات الجملة الأساسية عائد إلى الموقع الذي تحتله هذه المكونات الأساسية (الفعل والفاعل والمفعول به) في الجملة، ولعل الناظر في تراكيب اللغة العربية يجدها تُجيز لنا أنماطاً من الترتيب في الجملة الفعلية، وعبده يحصرها في الأنماط الآتية:

1. فعل- فاعل- مفعول (قرأ الرجلُ الصحيفةَ)
2. فاعل (مبتدأ)- فعل- مفعول (الرجلُ قرأ الصحيفةَ)
3. فعل- مفعول- فاعل (قرأ الصحيفةَ الرجلُ)
4. مفعول- فعل- فاعل (الصحيفةَ قرأ الرجلُ)
5. مفعول- فاعل- فعل (الصحيفةَ الرجلُ قرأ) [2].

ومع أن العربية تجيز مثل هذه الأنماط في الترتيب اللغوي لعناصر البنية العميقة غير أن عبده اقتصرها في بنيتين عميقتين هما: ما تناوله اللسانيون في هذا الجانب فقد اعتبروا الجملة الأولى (فعل- فاعل- مفعول) هي الأصل، ومنهم من اعتبر الجملة الثانية (فاعل- فعل- مفعول) هي الأصل، وقد أشرنا إلى موقفهم من ذلك في موضع سابق، أما بقية الأنماط فقد استبعدها عبده من الدراسة؛ لأسباب فرضتها طبيعة الدراسة.

داود عبده يستهل دراسته لهذه المسألة بطرح التساؤل الآتي: أيهما أفضل لإنتاج الجمل أن نعتبر البنية العميقة لها (فعل- فاعل- مفعول) أم (فاعل- فعل-

(1) عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، ص103.

(2) المرجع نفسه، ص103.

مفعول)؟ إنَّ الإجابة عن هذا السؤال نجدها عند عبده، فهو يبدأ بطـــرح التصـــورات النظرية والفكرية عند من يدعم التصور الذي ينادي بأن اللغة العربية نمـــط بنيتهـــا العميقة هي (فعل- فاعل- مفعول) أي النمط الأول، فيطرح لنـــا عبـــده المبـــررات والأسباب التي تؤيد وجهة نظرهم في اعتمادهم هذا النمط اللغوي، ويناقش كل مبرر على حده ليدحضها في النهاية ليذهب إلى أن القول بهذا الترتيب (ف- فا- مـــف) لا يقوم على أسس ثابتة، وأنه يرى أن الترتيب الصحيح لبنية الجملة في العربية هو من نمط (فا- ف- مف) [1].

وللوقوف على منهج عبده في الرد على من قال بأن البنية العميقة للجملة فـــي اللغة العربية هي من نمط (ف- فا- مف) لا بد لنا من الإشارة إلـــى أن المبـــررات والأسباب التي اعتمد عليها اللسانيون في إثبات صحة ما يذهبون إليه في اعتماد هذا النمط من الترتيب وهذه المبررات هي:

1- الشيوع اللغوي بين المفردات والجمل.
2- الخصائص التي تتصف بها اللغات.
3- موقع ضمير الفاعل وضمير المفعول به.
4- مطابقة الفعل والفاعل.
5- الجملة الحيادية وهي الجملة التي ليس فيها توكيد للفعل أو الفاعل وهذه الجملة هي التي تبدأ بالفعل.
6- ترتيب الفاعل والمفعول عند خلوهما من علامات الإعراب.
7- القواعد التحويلية الاختيارية والإلزامية[2].

والنظرة الفاحصة لهذه المبررات والأسباب تقودنا للقول بأنها مـــأخوذة مـــن صميم الجسد اللغوي للغة العربية، فأصحاب هذا الاتجاه استدلوا على أن أصل الرتبة

---

(1) عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، ص124.
(2) المرجع نفسه، ص106.

أو الترتيب اللغوي لعناصر البنية العميقة في الجملة العربية بحجج من داخل اللغة، ولا تنفصل عنها، ومن هؤلاء الفاسي الفهري وميشال زكريا[1].

وعلى عكس ما ذهب إليه أصحاب هذا الاتجاه الذي يدعم النمط (ف- فا- مف) نجد داود عبده يعتبر هذه المبررات قابلة للدحض والتفنيد، ولا يمكن أن نسلم بها بالضرورة على صحة ما ذهب إليه المؤيدون للنمط (ف- فا- مف) ولبيان منهجية عبده في هذا الشأن سأتوقف عند نموذجين من هذه المبررات لنستخلص منها موقف عبده وأسباب رفضها، وعدم التسليم بالقبول بها وبصحتها في هذا الأمر.

أولاً: ترتيب الفاعل والمفعول عند خلوهما من الإعراب.

يرى عبده في هذا المبرر أنه من غير الممكن أن نستنتج ما قد يشير إلى موقع الفعل في جملة من مثل: (رأى مصطفى عيسى) إلى جانب أنه يستنتج أن الفاعل في البنية العميقة لمثل هذه الجملة يقع قبل المفعول به وبالتالي ليس هناك ما يمنع أن يكون الأصل في جملة (رأى مصطفى عيسى) هو (مصطفى رأى عيسى)[2]. انسجاماً مع رؤيته في أن البنية العميقة للجملة العربية هي من نمط (فا- ف- مف)، بالإضافة إلى أن مثل هذا الترتيب يزيل الشك واللبس في معرفة الفاعل من المفعول به، دون الحاجة إلى اللجوء إلى القرائن التي تؤخذ من السياق.

تعرف هذه القضية في النحو العربي بقضية القرينة النحوية، وقد جاء في كتاب التعريفات للجرجاني أن القرينة بمعنى الفقرة، وفي اللغة فعيلة بمعنى الفاعلة مأخوذة من المقارنة، وفي الاصطلاح أمر يشير إلى المطلوب، وهي إما إحالية أو معنوية أو لفظية نحو: ضرب موسى عيسى، وضرب من في الغار من على السطح، فإن الإعراب منتفٍ فيه بخلاف: ضربت موسى حبلى وأكل موسى الكمثرى، فإن في

---

(1) انظر: الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص105، زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) ص33-35.

(2) عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، ص117.

الأول قرينة لفظية وفي الثانية قرينة حالية[1]. وهذا يعني أن القرائن النحوية إما لفظية كالترتيب في نحو (ضرب موسى عيسى) حيث دلت القرينة على أن موسى فاعل وعيسى مفعول به، أو معنوية نحو (أكل الكمثرى موسى) فالفاعل هنا موسى استناداً للمعنى والدلالة، أو حالية نحو (راشداً مهدياً) وهي عبارة تقال للحاج المزمع على السفر وتقدير الكلام هنا (أذهب راشداً مهدياً) ويرى بعض اللسانيين أن اتضاح التركيب النحوي لا يتم بقرينة واحدة بل لا بد من تضافر القرائن للدلالة على المعنى النحوي وتفسيره وهذا مذهب تمام حسان[2].

وبالعودة إلى كتب النحاة العرب نجد حديثهم عن القرائن جاء متناثراً في أبواب متعددة؛ لذلك نجد ذكرها في أبواب النحو المتناثرة إما باللفظ صراحة أو بما يدل عليها ومن هذه الأبواب نذكر الإسناد، المرفوعات (المبتدأ، والخبر، والفاعل)، والتعدية، والجار والمجرور، والإضافة، والتوابع، والتقديم والتأخير وغيرها، غير أننا نجد بعضهم قد درسها في باب مستقل تحت عنوان الدلالات النحوية كما يظهر عند السيوطي[3].

وبالحديث عن جملة (ضرب موسى عيسى) عند النحاة العرب نجدهم قد أوجبوا تأخير المفعول به على الفاعل؛ لانتفاء الدلالة على الفاعلية في عيسى، وانتفاء المفعولية في موسى اعتماداً على قرينة الترتيب وهي قرينة لفظية، أما إن وجدت

---

(1)الجرجاني، الشريف علي بن محمَّد، كتاب التعريفات. تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1992، ص174.

(2)حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1979، ص193-194.

(3)السيوطي، جلال الدين، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق وتعليق أحمد محمَّد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1، 1976، ص38.

قرينة معنوية نحو "أرضعت الصغرى الكبرى" و"أكل الكمثرى موسى" أو لفظية نحو قولك "ضربت موسى سلمى"[1].فالأمر لا خلاف فيه هنا.

يظهر لنا من تناول النحاة العرب لهذه المسألة إجماع على أن حل الإشكال في جملة (ضرب موسى عيسى) يكون باللجوء إلى الرتبة اللغوية لعناصر الجملة المُكوَّنة على الترتيب من (الفعل ضرب، والفاعل موسى، والمفعول به عيسى)، وهذا يقودنا إلى القول بأن النحاة العرب يتخذون من النمط (ف- فا- مف) أساساً لترتيب العناصر اللغوية في البنية العميقة وإن لم تظهر الحركات الإعرابية، فهم يجعلون للترتيب دوراً أساسياً في الفصل في إعراب مثل هذا النوع من الجمل.

إن هذه المسألة نجدها بوضوح عند أبرز التوليديين العرب وعلى رأسهم عبد القادر الفاسي الفهري ومازن الوعر، فهما يقدمان تصوراً مغايراً لما نجده عند داود عبده، فالفهري يؤيد النحاة العرب فيما ذهبوا إليه، ويؤكد أن الرتبة توجد في الجمل التي تتضمن فعلاً متعدياً حيث يتوسط الفاعل بين الفعل والمفعول به، وهذا يؤدي بنا إلى عدم الوقوع في اللبس في جمل يتوارد فيها الفاعل والمفعول به بدون حركات إعرابية بارزة نحو: [2]

1- ضرب عيسى موسى.

2- ضرب موسى عيسى.

فعيسى في الجملة الأولى فاعل بالضرورة، وموسى في الجملة الثانية فاعل بالضرورة باعتماد الترتيب الأساسي للجملة الفعلية التي هي من نمط (ف- فا- مف) وهو النمط الذي قال به الفهري.

أما مازن الوعر صاحب التوجه الدلالي في دراسة النحو التوليدي التحويلي، فقد تناول هذه المسألة في إطار ما عرف عنده بالحركة التحويلية في التركيب الفعلي

---

(1)الأنصاري، ابن هشام، شرح قطر الندى وبل الصدى، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط10، 1959، ص185-186.

(2) الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص106.

التي تجري ضمن إطار الإسناد، ومسوغ هذه الحركة عنده احتفاظ العناصر المتنقلة بأدوارها الدلالية، مع تأكيده أن الحركة التحويلية غير مسموح بها في الفاعل وذلك؛ لأنه يشكل وحدة واحدة مع الفعل وهو بذلك غير قابل للتجزئة[1]. والوعر يتناول جملة (ضرب عيسى موسى) ضمن هذا التوجه بتأكيده عدم إمكانية تحريك أي عنصر من عناصرها؛ وذلك لعدم وجود ما يسمى بالمميِّز النحوي أو الدلالي غير أننا نستطيع الفصل في مثل هذه الجمل بالاعتماد على النمط (ف- فا- مف) في تحديد عناصر الجملة ومكوناتها.

ونخلص إلى القول بأن جل النحويين العرب ومن سار على نهجهم من اللسانيين العرب المعاصرين يتوجهون إلى الاعتماد على القرينة النحوية في تحديد عناصر التركيب اللغوي في جمل من مثل (ضرب موسى عيسى) عند خلوها من علامات الإعراب، وهو الرأي الأقرب إلى الصواب وأن ما ذهب إليه عبده في إمكانية أن يكون أصل جملة (رأى مصطفى عيسى) هو (مصطفى رأى عيسى) ما هو إلا رأي ينقصه الدليل والبرهان وهو ما لم يقدمه للدارسين.

ثانياً: القواعد التحويلية

يرى داود عبده أن اعتبار ترتيب البنية العميقة للجملة في اللغة العربية من نمط (ف- فا- مف) يؤدي بالقواعد التحويلية إلى التعقيد إذ تصبح أكثر تعقيداً لأنها تتطلب قاعدة إلزامية وهي صفة غير مستحبة في هذه القواعد[2]. وبالمقابل نجد بعض اللسانيين العرب ينتهجون منهجاً مغايراً في هذه المسألة، فهم يُقرّون بأن القواعد التحويلية تصبح أكثر تعقيداً إذا اعتبرت البنية العميقة للجملة الفعلية في العربية من نمط (فا- ف- مف)، إذ إن اعتماد هذا النمط يتطلب اللجوء إلى قواعد إضافية وهذا يعقد القواعد التحويلية، ويتنافى مع مبدأ الاقتصاد اللغوي في الدراسة اللسانية فلا بد

(1) الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة، ص107-108.

(2) عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، ص119.

من اختيار القاعدة المقتصدة التي تحوي أقل عدد من التحويلات، ويكون بمقدورها تفسير الظاهرة اللغوية بصورة مبسطة وهذا منهج ميشال زكريا[1].

المبررات التي تؤيد اعتبار البنية العميقة (فا- ف- مف) من وجهة نظر داود عبده.

سعى عبده إلى إثبات صحة ما يذهب إليه من أن البنية العميقة للجملة في اللغة العربية هي من نمط (فا- ف- مف) حيث قدَّم مجموعة من المبررات التي تؤيد وجهة نظره في هذه المسألة وفيما يلي عرض لها مع محاولة مناقشتها وتحليلها.

1- الفعل والمفعول مكون جُملي واحد

يقول عبده: "إن اعتبار البنية العميقة للجملة الفعلية في العربية (فعل- فاعل- مفعول) يعني صراحة أن الفعل والمفعول به ليسا مكوناً جملياً واحداً، فإذا تبين هناك ما يدعو إلى اعتبارها مكوناً جملياً واحداً، فإن الافتراض أن البنية العميقة هي (فعل- فاعل- مفعول) ينهار من أساسه[2]. ويدعم عبده هذا التوجه بالأدلة الآتية:

أ- أن عدم اعتبار الفعل والمفعول به مكوناً جملياً واحداً يؤدي إلى الحاجة إلى قاعدة إلزامية لإلحاق ضمير المفعول به بالفعل. أما إذا اعتبرنا أن الفعل والمفعول به مكوناً جملياً واحداً، فإن هذه القاعدة الإلزامية يستغنى عنها[3]. وهذا من صفات القواعد التحويلية المستحبة التي تجنح للاقتصاد والتبسيط وتوضيح ذلك على النحو الآتي:

مثال: الصحيفةَ قرأها الرجلُ (قاعدة إلزامية) إذ لا بد من إلحاق ضمير بالفعل ليشير إلى الاسم الذي نُقِلَ إلى موقع الابتداء، وهو الصحيفة مع ملاحظة أن هذه الجملة من نمط (ف- فا- مف).

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) ص33.

(2) عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، ص120.

(3) المرجع نفسه، ص120.

مثال: الصحيفة الرجل قرأها (قاعدة اختيارية) إلحاق الضمير بالفعل هنا أمر اختياري من منطلق أن الفعل والمفعول به مكون جملي واحد، مع ملاحظة أن هذه الجملة من نمط (فا- ف- مف).

ب- أن المفعول به عندما يكون ضميراً يلازم الفعل دائماً ولا يجوز فصلهما[1] ومثال ذلك:

مثال: الرجل قرأها قبل ساعة

فالفعل (قرأ) والمفعول الضمير (ها) متلازمان، وهي جملة صحيحة نحوياً (مقبولة نحوياً وفق مبدأ السلامة النحوية الذي أقرَّته النظرية التوليدية التحويلية) أما في جملة مثل:

قرأ الرجل ها قبل ساعة

فهذه الجملة غير صحيحة نحوياً وغير مقبولة؛ لوجود فصل واضح بين الفعل والمفعول به وهذه الجملة تمثل النمط (ف- فا- مف) وهو النمط الذي يرفضه عبده.

ج- التعادل بين الفاعل والمفعول به مع المضاف والمضاف إليه. في حال استعمل اسم الفاعل بدلاً من الفعل، وعبده إذ يقول بهذا، فإنه يعتمد على كون المضاف والمضاف إليه مكوناً جملياً واحداً[2]. فهو يتخذ القياس دليلاً على صحة قوله، فالمضاف والمضاف إليه يقعان موقع المبتدأ والخبر أو الفاعل أو المفعول به... الخ، ولا يجوز بأي حال من الأحوال الفصل بينهما، فإذا كان الأمر كذلك في المضاف والمضاف إليه، فهذا يدل على أن الفعل والمفعول به مكون جملي واحد لا يجوز الفصل بينهما نحو:

هذا قارئ الصحيفة

(مضاف) (مضاف إليه) مكون جملي واحد.

هذا قارئها

---

(1) عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، ص120.

(2) المرجع نفسه، ص120-121.

(فعل– مفعول به) مكون جملي واحد.

د– إمكانية إحلال كلمة واحدة محل الفعل والمفعول به دون أن يحصل تغيير في المعنى[1]. ومثال ذلك:

الرجل أحرز نجاحاً = الرجل نجح.

فكلمة (نجح) حلَت محل الفعل والمفعول معاً (أحرز نجاحاً) وهذا دليل على أن الفعل والمفعول به مكون جملي واحد عند عبده.

وبالنظر إلى ما سبق نقول إنَّ اعتبار الفعل والمفعول به مكوناً جملياً واحداً فيه تهميش واضح لدور الفاعل ومكانته في البناء التركيبي للجملة في اللغة العربية، فعبده يستند هنا على فكرة التلازم بين الفعل و المفعول به بشكل واضح، وهذا مذهب لم يقل به نحاة العرب، فالأصل أن يكون التلازم بين الفعل وفاعله لا بين الفعل والمفعول به، فالنحاة العرب يؤكِّدون أنّ كل فعل لا بد له من فاعل صريح أو مقدر، ولعل ما ورد في كتب النحاة يدلل على كيفية اشتغالهم بالبحث عن الفاعل وتأويله تأويلاً متكلفاً عند الحاجة لئلا تُنْتَقص مقولتهم هذه وإن كان هناك ضرورة لحذف الفاعل فإنهم يحذفونه لأسباب وقرائن محددة اتفقوا عليها،وانقسموا بسببها إلى ثلاثة مذاهب هي:

1– المذهب الأول: يمثله نحاة البصرة[2] فهم يمنعون حذف الفاعل، فلا يجيزونه إلا في مواضع ذكرها السيوطي ناسباً إليهم ذلك بقوله: "أما البصريون فلا يجيزون حذفه إلا في مواضع وهي: حذفه مع رافعه تبعاً له كقولك: زيداً لمن قال: من أكرم ؟ و التقدير أكرم زيداً، فحذف الفاعل مع الفعل، أما الموضع الثاني: فاعل المصدر نحو قوله تعالى:﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾، وأما

---

(1) عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، ص121.

(2) ابن السراج، أبو بكر محمَّد، الأصول في النحو، ج1، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985، ص75.

الموضع الثالث فاعل فعل اثنين المؤنث، أو الجماعة المؤكد بالنون نحو: ﴿ لتُبْلُونَّ ﴾ و ﴿ فَإِمّا تَرينَّ ﴾"[1].

2- المذهب الثاني: ويجيء على رأسه الكسائي[2]. الذي أجاز حذف الفاعل قياساً على حذف كل من المبتدأ والخبر؛ لورود هذا الأمر في القرآن الكريم[3]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِذا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ﴾[4]. فحذف فاعل الفعل (نزل) وهو العذاب لمعرفة السامع به كما في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ ﴾[5].فحذف فاعل الفعل بلغت لمعرفة السامع به وظهوره للسامع ظهوراً لا لبس فيه، والفاعل هنا هو الروح أو النفس؛ لأن الآيات تتحدث عن الموت.

3- المذهب الثالث: وهو فريق يقف موقف الوسط فهم لم يمنعوه ولم يجيزوه إلا مع قرينة حالية أو مقامية يقول صاحب الطراز: "وحذفه إنما يكون إذا دلت عليه دلالة، وقد منع الشيخ عثمان ابن جني من النحاة حذف الفاعل، ونص على استحالة ذلك، والمختار هو المنع من حذفه من غير دلالة تدل عليه حالية أو مقامية، فأما مع القرينة، فلا يمتنع جوازه ويدل على حذفه قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ ﴾ فحذف فاعل (بلغت) والغرض النفس وليس مضمراً؛

---

(1)السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج2، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1980، ص255.

(2) المرجع نفسه، ج2، ص255، وانظر أيضاً: الفارسي، أبو علي، المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات ج1، تحقيق صلاح الدين السنكاوي، مطبعة العاني، بغداد، 1983، ص527.

(3) الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج3، قدم له وعلق عليه مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988، ص162.

(4) سورة الصافات، الآية 177.

(5) سورة القيامة، الآية 26.

لأنه لم يتقدم له ظاهر يفسره، وإنما دلت القرينة الحالية عليه؛ لأنه في ذكر الموت ولا يبلغ التراقي عند الموت إلا النفس"[1].

إن موقف النحاة العرب من الفاعل موقف واضح، فهو ركن أساس من أركان الجملة العربية وبه يكتمل الإسناد، وهو أساس التركيب اللغوي في اللغة العربية ولم نسمع بأن أحد النحاة قال: إنَّ المفعول به ركن من أركان الإسناد الذي يتضمن المسند وهو الفعل والمسند إليه وهو الفاعل أو ما ينوب عنه، كما أننا نلحظ جيداً مدى اهتمام النحاة العرب بالفاعل وإن حُذف، فإنه يقدر بقرينة حالية أو مقامية، ونحن نؤكد أن الفعل لا بد له من فاعل ولا نستطيع أن نقول أن يكون لكل فعل مفعول به على وجه اللزوم.

ومما تجدر الإشارة إليه أننا نستطيع أن نقبل برأي داود عبده فيما يتعلق بفكرة التلازم بين الفعل و المفعول به، وهذا في سياق النظرية التوليدية التحويلية التي تقبل هذا التركيب الإسنادي إذ تربط بين الفعل و المفعول به في مركّب إسنادي واحد، وهذا ما يسمى عندهم في نحو المركّبات المباشرة بـــ " المركب الفعلي المتقطع " الذي يُدرج فيه المفعول به ضمن ركن المسند، وهذه النظرية تضع المفعول به مرافقاً داخل ركن المسند، وذلك مهما كانت رتبة الكلمات الثلاث، وهذا التقسيم يساير مبدأ التكافؤ المبني على وحدة السياق. [2]

2- الأفعال التي تتعدى بحرف الجر:

عبده استند على هذا المبرر؛ لأنه لاحظ وجود أفعال تتعدى بحرف الجر نحو: اعترف بذنبه، رغب عن الجائزة، وافق على القرار[3] وغيرها من الجمل المحتملة،

---

(1) العلوي، يحيى بن حمزة، كتاب الطراز، راجعه محمَّد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995، ص251.

(2) حركات، مصطفى، اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1998، ص 76.

(3) عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، ص121.

عبده في تأويله لهذه المسألة أراد أن يؤسس لفكرة مفادها أن حرف الجر يشكل مع الفعل مكوناً جملياً واحداً[1]. كما في الأمثلة آنفة الذكر، وهذا يعني أن عبده يقول بفكرة التلازم بين الفعل وحرف الجر، وهي الفكرة ذاتها التي عوَّل عليها فيما يتعلق بالفعل والمفعول به عندما اعتبرهما مكوناً جملياً واحداً.

في هذا الجانب يشير عبده إلى التباين الشديد الحاصل في استخدام حروف الجر مع بعض الأفعال كقولك: جلس على الكرسي أو بقي في البيت، يقول عبده: "لاحظ أنك تستطيع أن تقول، قعد على الكرسي ووقف على الكرسي ونام على الكرسي...الخ، كما تستطيع أن تقول: جلس فوق الكرسي وجلس تحت الكرسي...الخ، ولكنك لا تستطيع أن تقول: قبل على القرار أو رفض على القرار ولا وافق فوق القرار فعلى مرتبطة بوافق ولكنها ليست مرتبطة بجلس أو قعد أو نام أو وقف"[2]. يخلص عبده من خلال هذا الطرح إلى القول: إنَّ اعتبار البنية العميقة للجملة العربية (فعل- فاعل- مفعول) إذا طبق على مثل هذا النوع من الجمل يؤدي بنا إلى الصعوبة والتعقيد في تطبيق القواعد التحويلية أي أننا نحتاج إلى قاعدة تنقل حرف الجر إلى ما قبل المفعول، وهي قاعدة تتصف بصفتين غير مرغوب فيهما:

1- أنها قاعدة إلزامية لا اختيارية.

2- أنه لا يحتاج إليها في غير هذا الموضع[3].

ولتوضيح هذا الأمر نأخذ الجملة الآتية:

وافق الرجل على القرار أصل الجملة وافق على الرجل القرار

(ف- فا) ←—— (مكون جملي واحد) الفعل+ حرف الجر

نلحظ وباعتبار الأصل أنه لا بد من نقل حرف الجر إلى ما بعد الفاعل، وهي قاعدة إلزامية لتصبح الجملة ←—— وافق الرجل على القرار.

---

(1)عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، ص121.

(2) المرجع نفسه، ص121.

(3) المرجع نفسه، ص122.

أما توجه عبده باعتبار البنية العميقة من نمط (فا- ف- مف) يسهل علينا الأمر،فالجملة تكون على النحو الآتي (الرجل وافق على القرار) وبالتالي يكون الفعل وحرف الجر مكوناً جملياً واحداً وهو نمط تقبله اللغة العربية دون الحاجة إلى قواعد تحويلية.

3- الأفعال المساعدة

داود عبده يحاول أن يثبت في المجال نفسه أن تصوره في اعتماد النمط (فا- ف- مف) في ترتيب البنية العميقة للجملة في العربية تصور صحيح وليثبت ذلك جاء بالمبرر الثالث الذي يؤسس من خلاله لفكرة التلازم التي احتلَّت مكانة متميزة في التبرير والاحتجاج على صحة ما يذهب إليه، عبده يطل علينا في هذا الجانب بفكرة تقوم على أن الأفعال المساعدة من مثل: أخذ، راح، وكان وأخواتها تشكل مع الفعل الذي يليها مكوناً جملياً واحداً[1].

ولتوضيح هذا الأمر نقول إنَّ اعتماد البنية العميقة من نمط (ف- فا- مف) في جمل من مثل: أخذ الرجل يقرأ الصحيفة، وكان الرجل يقرأ الصحيفة، يتطلب منا اللجوء إلى قاعدة إلزامية تنقل الفعل إلى يسار الفاعل أو الفاعل إلى يمين الفعل، وهي قاعدة لا حاجة إليها في غير هذا الموضع، ويتم هذا النقل على النحو الآتي:

كان يقرأ الرجل الصحيفة ←——— كان الرجل يقرأ الصحيفة

(ف.م) (ف) (فا) (مف) (ف.م) (فا) (ف) (مف)

(1)←(2)←(3) (2)——(1)——(3)[2].

في حين أن اعتماد البنية العميقة من نمط (فا- ف- مف)، وهو النمط الذي يدافع عنه عبده، فإننا نحتاج فقط إلى قاعدة تحويلية اختيارية تقوم بنقل الفعل المساعد إلى يمين الفاعل أو الفاعل إلى يسار الفعل المساعد، ويتم هذا النقل على النحو الآتي:

الرجل كان يقرأ الصحيفة ←——— كان الرجل يقرأ الصحيفة

---

(1) عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، ص122.

(2) الأرقام تعبر عن ترتيب مكونات الجملة قبل تطبيق القاعدة التحويلية وبعدها.

(فا) (ف.م) (ف) (مف)　　(ف.م) (فا) (ف) (مف)

(1) ←(2) ←(3) ←(4)　　(2) ←(1) ←(3) ←(4)

4- المساواة بين الجملة الاسمية والفعلية

عبده في هذا الجانب يؤكد الإجماع الحاصل عند نحاة العرب من تقدم المبتدأ على الخبر، فالأصل أن يتقدم المبتدأ على الخبر كما في الجمل الآتية (زيد مجتهد، زيد موظف، زيد في البيت) وبما أن الأمر كذلك، فعبده يتساءل عن السبب الذي يمنع أن يكون المبتدأ سابقاً للخبر في جمل مثل (وصل رجلٌ، قرأ رجل الصحيفة) [1]، ففي الجملة الأولى (وصل رجل) الهدف منها هو الإخبار عن وصول الرجل، وفي الجملة الثانية (قرأ رجل الصحيفة) الهدف منها هو الإخبار عن قراءة الرجل للصحيفة، وانطلاقاً من هذا الطرح فإن عبده يرى أن ذلك يدعم بشكل كبير توجهه في أن يكون ترتيب عناصر البنية العميقة للجملة العربية هو من نمط (فا- ف- مف) فجملة (وصل زيد) يكون ترتيبها (زيد وصل) بمعنى أن يتقدم الفاعل على الفعل.

عبده يعتمد على أدلة من اللغة تؤكد أن أصل جمل من مثل: هناك رجل، في البيت رجل. هو على الترتيب رجل هناك ورجل في البيت، فالقاعدة التحويلية تنقل المبتدأ إلى نهاية الجملة شريطة أن يكون هذا المبتدأ نكرة وهذا ما أجمع عليه النحاة عند حديثهم عن الجملة الاسمية[2]. فكذلك الأمر في الجملة الفعلية، فإننا نجد قواعد تحويلية تنقل عناصرها من موقع إلى آخر لأسباب مختلفة أشار إليها النحاة عند حديثهم عن الجملة الفعلية[3].

---

(1) عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، ص123.

(2) ابن هشام، الانصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج1، دار الفكر العربي، لبنان، 2000، ص202-212، وانظر أيضاً ابن هشام، الانصاري، شرح شذور، الذهب في معرفة كلام العرب، رتبه وعلق عليه عبد الغني الدقر، الدار المتحدة، دمشق، ط2، 1994، ص238.

(3) ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج2، حققه هادي حمودي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1994، ص209-215.

إن اعتبار الأصل في تركيب الجملة بأن يقع الفاعل مثل الفعل (بصرف النظر عن الاسم الذي نطلقه عليه) يجعل الجملة في العربية نوعاً واحداً لا غير هو الجملة الاسمية وهذا يؤدي إلى توحيد كثير من الظواهر المتشابهة بين النوعين[1]. وعليه فإن النمط الذي يجب أن يتخذ في ترتيب عناصر البنية العميقة في الجملة العربية هو (فا- ف- مف) وعلى النحو الآتي:

وفي حال كون المبتدأ معرفة، فإن الأصل أن يبقى في موقعه الطبيعي قبل الخبر نحو: الرجل هناك، الرجل في البيت، الرجل وصل.

وبالنظر لما سبق نجد داود عبده يلغي تقسيم النحاة للجملة العربية إذ قسمها النحاة إلى نوعين: الجملة الفعلية و الجملة الاسمية، وهذا ما حدثتنا به كتب النحو العربي[2]، فقد وضحت هذين النوعين توضيحاً دقيقاً وفصلت الأمر فيهما وضربت عليهما الأمثلة، فنحن لا نكاد نقرأ في كتب النحاة إلا ونجد هذا التقسيم المشهور إلى جانب التقسيمات الأخرى كتقسيم الجملة إلى كبرى وصغرى[3]، على اعتبار تركب

---

(1) عبده، أبحاث في الكلمة والجملة، ص123.

(2) انظر كتب النحو ومنها: سيبوية، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (2004). الكتاب. تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر،ج1، ص23. وانظر: ابن يعيش، ابو البقاء موفق الدين (د. ت). شرح المفصل، ج5، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المنتهى، القاهرة، ص88. وانظر أيضاً: ابن مالك، محمَّد بن عبدالله، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ص48.

(3) الانصاري، ابن هشام، مغني اللبيب، دار إحياء الكتب العربية، (د. ت)، (د، ط)، ج2، ص45.

خبر من عدمه. وقسموها باعتبار إعرابها إلى جمل لها محل من الإعراب وجمل لا محل لها من الإعراب وفصلوا القول فيها...الخ، من تقسيمات الجملة التي تُطالعنا بها كتب النحو[1].

ويبدو من خلال استطلاع كتب النحاة ومؤلفاتهم أنهم أجمعوا على انقسام الجملة إلى نوعين: الفعلية والاسمية، ولم يستغنوا عن هذا التقسيم مطلقاً، بل سار عليه جلّ نحاة العرب، واتخذوه منهجاً في التعليم والتبويب لمفردات النحو العربي.

وأما ما جاء به داود عبده في اقتصار الجملة في اللغة العربية على نوع واحد وهو الجملة الاسمية أمرٌ لا نسلم به مطلقاً؛ لأننا نحكم على اللغة من خلال الكثير الشائع لا القليل الشاذ.

وختام القول في جهود داود عبده في المستوى التركيبي للجملة في العربية يظهر لنا الآتي:

1- عبده قال بأن ترتيب عناصر الجملة في العربية هو من نمط (فا- ف- مف) وهو الترتيب الصحيح في نظره وقد استند في ذلك على مجموعة من المبررات التي أشرنا إليها آنفاً.

2- تظهر فكرة التلازم والترابط بشكل واضح في مبرراته التي اعتمد عليها في إثبات صحة توجهه ومن ذلك التلازم بين الفعل والمفعول وبين الفعل وحرف الجر وبين الفعل المساعد والفعل (المركب الفعلي)، فهو يؤكد على أن هذا التلازم بين هذه المكونات يزول لو كان ترتيب الجملة من نمط (ف- فا- مف)، في حين أن التلازم بين الفعل والفاعل أقوى منه وأكثر منطقية ونحوية مما جاء به عبده بدليل كتب النحاة وتناولهم لهذه المسألة كما ذكرنا سابقاً.

---

(1)الانصاري، مغني اللبيب، ج2، ص440 وما بعدها.

3- عبده قال باقتصار الجمل في العربية على الاسمية فقط، وهو أمرٌ لم نعهده في كتب النحو العربي، بل وجدنا نحاة العرب قد تفننوا في تقسيم الجملة في العربية ولم يقصروها على نوع أو نوعين بل توسعوا في ذلك.

4- يظهر لنا من أعمال عبده في هذا الجانب استثماره لكثير من مفاهيم النظرية التوليدية والتحويلية وخصوصاً ما جاء في مرحلة النظريتين النموذجية والنموذجية الموسعة، فعبده وظف كثيراً من مفاهيم هذه المرحلة مثل (البنية العميقة والبنية السطحية والقواعد التحويلية الاختيارية والإلزامية)، وهذا يدل على مدى فهم عبده لأبعاد هذه النظرية ومفاهيمها النظرية.

5- اقتصار داود عبده على جانب ترتيب عناصر البنية العميقة في الجملة العربية في دراساته التركيبية فقط دون غيره من الموضوعات، فهو لم يتطرق لموضوعات أخرى في هذا الجانب، وإن وجد بعض الإشارات عن البنية العميقة والسطحية على مستوى تركيب الجمل في جانب تعليم اللغة أو ما عرف بعلم اللغة الوظيفي الذي برع فيه عبده.

الفصل الثاني

جهود ميشال زكريا في النظرية التوليدية التحويلية (المستويان النظري والتركيبي)

1.2 ميشال زكريا واللسانيات التوليدية التحويلية:

يعد ميشال زكريا واحداً من أهم اللسانيين العرب الذين أسهموا إلى حد بعيد في دفع مسيرة الدراسات اللسانية العربية، والوصول بها إلى رؤية عربية معاصرة، لقد تأثر ميشال زكريا بنظرية تشومسكي اللسانية، وحاول تقديم قراءة لأهم ملامح هذه النظرية والرؤى الفكرية لها؛ ليقدمها للقارئ العربي في قالب يتيح له فهم منطلقاتها الفكرية، ويسهم في تكوين مدرسة عربية تستفيد من الرؤى الفكرية لهذه النظرية.

ميشال زكريا لساني لبناني ولد في طرابلس وتخرج في جامعة باريس، يحمل شهادة الدكتوراه في الألسنية، وهو باحث جامعي متخصص في قضايا الألسنية العربية، يدرس مادة الألسنية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة اللبنانية، وصدر له العديد من المؤلفات والأبحاث وهي:[1].

1- الألسنية في علم اللغة الحديث المبادئ و الأعلام.
2- الألسنية في علم اللغة الحديث قراءات تمهيدية
3- قضايا ألسنية تطبيقية دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية.
4- بحوث ألسنية عربية.
5- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية).
6- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة).
7- الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون.

أما أهم الأبحاث فهي:

1- نمو الطفل اللغوي (المجلة التربوية ببيروت).
2- تأثير اللغة الأم في عملية تعلم اللغة الثانية (المجلة التربوية ببيروت).

([1]) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، الجملة البسيطة، ص179.

3- الأبعاد النظرية والتطبيقية لتمرين القواعد (المجلة التربوية ببيروت).
4- الألسنية ومنهجية تعلم اللغة (المجلة التربوية ببيروت).
5- المكون الدلالي في القواعد التوليدية والتحويلية (الفكر العربي المعاصر ببيروت).
6- الألسنية العقلانية وانتقاد علم النفس السلوكي (الفكر العربي المعاصر ببيروت)[1].

إن النظرة الفاحصة لهذه المؤلفات والأبحاث تعطينا مؤشراً واضحاً لمدى اهتمام ميشال زكريا بالنظرية التوليدية التحويلية، ورغبته الشديدة في تقريب أفكار هذه النظرية ومبادئها للقارئ العربي؛ ليكوِّن رؤية واضحة لها، يستفيد منها في دراسة ظواهر اللغة العربية، ويحاول من خلالها تقديم تفسير وتحليل لكثير من الظواهر اللغوية بالاعتماد على منهج عقلاني لا يكتفي بالوصف بل يسعى إلى التحليل والتفسير.

لقد جاءت مؤلفات ميشال زكريا التي درست المنهج التوليدي التحويلي على مستويين (نظري وتطبيقي)، ففي المستوى النظري تناول ميشال زكريا أفكار النظرية التوليدية ومبادئها، وتوقف عند أبرز ما جاء به تشومسكي في تأسيسه لها، فتحدث عن منطلقات هذه النظرية ومصطلحاتها كالقدرة (الملكية اللسانية) والإبداعية والتوليد والبنية السطحية والبنية العميقة... الخ، وفي المستوى التطبيقي ركز ميشال زكريا على تطبيق أفكار النظرية التوليدية التحويلية على قضايا اللغة العربية وظواهرها، وجاء هذا في كتابه الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية أو ما يعرف بـــ(الجملة البسيطة). فقد قدَّم في هذا الكتاب رؤية جديدة للنحو العربي من منظور توليدي تحويلي أسهم إلى حدٍّ بعيد في تعميق فهمه، ودراسة نحو اللغة العربية وفق هذا المنهج.

([1]) زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية الجملة البسيطة، ص179.

لقد سعى ميشال زكريا إلى تقريب الألسنية للقارئ العربي في كتابه الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، الذي يعرف بـــ(النظرية الألسنية) يقول في مقدمة هذا الكتاب: "يسعى هذا الكتاب إلى تقريب الألسنية في بُعْديها النظري والتطبيقي من القارئ العربي، فكل ما كتب في هذا الموضوع هو ولا شك من الجهود البناءة في تعريف هذا العلم ونشره في العالم العربي ومساهمتنا هذه تنضم إلى الجهود السابقة في هذا المضمار، فبعد أن بدأنا في كتابنا "الألسنية (علم اللغة الحديث) مبادئها وأعلامها" محاولة في تعريف المبادئ العامة لهذا العلم وفي تقديم روّاده، ونحاول في هذا الكتاب أن نحقق نقلة جديدة من حيث الموضوع تتلخص في المساهمة في تعميق دراسة قواعد اللغة العربية على ضوء النظرية التوليدية والتحويلية"[1].

جاء كتاب الألسنية مؤسساً لظهور كتاب الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية أو ما يعرف بـــ(الجملة البسيطة)، فميشال زكريا يؤمن بضرورة أن تقترن الدراسة النظرية بالدراسة التطبيقية التي تُسهم في المحصلة في تكوين فهم عام للنظرية التوليدية التحويلية، وبيان مدى انسجامها وقواعد اللغة العربية وفي هذا يقول: "ففي الواقع لا تتخذ النظرية مبرراتها بالنسبة لنا ولا تكون فعّالة ما لم نقرنها بالتطبيق الواضح والمفيد في قضايا لغتنا"[2].

إن الغاية من الدراسة اللسانية عند ميشال زكريا كما يحددها بقوله: "المطلوب الآن إعادة النظر مجدّداً في طرائق التحليل اللغوي العربي على ضوء التطور العلمي الحاصل في مجال الألسنية الحديثة، والسعي إلى إيجاد ألسنية عربية تغدو قادرة على تفهم قضايانا اللغوية، ووضع الأسس السليمة والعلمية لدراسة لغتنا وتحليلها، فنحن في الواقع نشعر في كل لحظة بضرورة تفهم لغتنا ووصفها الوصف الواضح وتحليلها التحليل العلمي الدقيق، وذلك لوضعها متناول كل من يرغب في دراستها"[3].

([1]) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص7.

([2]) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص5.

([3]) زكريا، الجملة البسيطة، ص5.

وزكريا كان من أوائل اللسانيين العرب الذين التفتوا إلى معطيات التراث اللغوي العربي وإعاد قراءتها من جديد وفق النظرية الألسنية الحديثة، وهو في هذا سعى إلى أمرين هما:

1. ربط التراث اللغوي العربي بمبادئ النظرية التوليدية التحويلية، وإظهار مدى انعكاس معطيات هذه النظرية في تراثنا العربي، ولا سيما عند سيبويه وابن خلدون.
2. ضرورة إحداث تجديد في معطيات التراث النحوي العربي؛ لتصبح قادرة على وصف اللغة العربية، وهي معطياتٌ في نظره يشوبها النقص. يقول: "لا نفع بعد الآن في أن نردد بصورةٍ متواصلةٍ الدراسات التي قامت بها الأجيال السابقة، والمفاهيم التي تبنوها في المجالات اللغوية، وإن أضفينا عليها بعض التعديلات من حيث الشكل والعرض، فهذه الدراسات وإن دلت على المجهود الذي قام به اللغويون في مجال دراسة اللغة وإن كانت تساعدنا على فهم بعض القضايا اللغوية لم تعد تفي في الحقيقة في مجال تحليل اللغة، ففي هذا المجال تكون النظريات الألسنية العلمية الحديثة في نظرنا التقنية المتطورة التي نتسلح بها لسبر قضايا اللغة وتفسيرها وتوضيحها"[1].

وهذا يكشف لنا مدى الرغبة الكبيرة عند ميشال زكريا في الإفادة من الرؤى اللسانية الجديدة التي جاءت بها النظرية التوليدية التحويلية في دراسة اللغة العربية منطلقاً من رؤية حداثية في الدراسة اللسانية تقوم على دراسة لغتنا العربية وتحليلها وفق منهج علمي دقيق، ولعل الرغبة التي دفعت ميشال زكريا إلى الخوض في مجال اللسانيات التوليدية التحويلية جاءت من خلال انفتاح الثقافة العربية على اللسانيات الغربية منذ ما يزيد على نصف قرن، وهي لسانيات بحاجة إلى الدراسة والتحليل إلى جانب ضرورة نقلها إلى القارئ العربي؛ ليتسنى له استيعابها والاستفادة منها في الدراسة اللسانية، فجهود زكريا تعد من الجهود الأولى في هذا الميدان الرحب من

([1]) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص5.

خلال المؤلفات التي جاءت كمقدمات أو تمهيد للنظرية التوليدية التحويلية أو دراسات تطبيقية أو تراثية أسهمت بشكل كبير في إعطاء تصورٍ واضح لأبعاد هذه النظرية، ومدى توافقها مع قضايا اللغة العربية.

إن دراسة ميشال زكريا في المدرسة التوليدية التحويلية يتطلب منا أن ننظر جيداً في كتبه اللسانية وعلى مستوييها النظري والتطبيقي؛ لنوضح كثيراً من المسائل اللسانية في الألسنية التوليدية التحويلية ومدى التوافق بينها وبين اللغة العربية، إن النموذج التوليدي التحويلي الذي قدَّمه ميشال زكريا نموذج انطلق من البدايات الفكرية للنظرية التوليدية التحويلية وصولاً إلى مدى صلاحية تطبيق مفرداتها على اللغة العربية بوصفها نظرية قامت في أساسها على التحليل والتفسير للظواهر اللغوية المتعددة بغض النظر عن أصول اللغة المدروسة، وهذا ينسجم مع رؤية تشومسكي التي تدعو إلى إيجاد نظرية لسانية شاملة وعالمية صالحة لدراسة الظواهر اللغوية في اللغات العالمية.

لقد تمثل ميشال زكريا المنهج التوليدي التحويلي في مؤلفاته اللغوية، وقدَّم لنا تصوراً لهذا المنهج بين فيه مدى استيعابه له، وحاول من خلاله الوصول إلى ما يلائم النحو العربي بتقديم تحليل دقيق للتراكيب اللغوية العربية وتحولاتها الممكنة وفق رؤية ذاتية دعا لها في جهوده اللسانية في هذا المجال.

إن محاولة رصد جهود ميشال زكريا في المنهج التوليدي التحويلي يتطلب منّا أن نضع خيوطاً عريضة لأهم الجوانب التي تناولها بالدراسة والبحث، ويمكن لنا أن نقسم هذه الجهود إلى الموضوعات الآتية:

1. جهوده في التقديم للنظرية التوليدية التحويلية، وبيان أهم أسسها ومنطلقاتها الفكرية، ودور العقل في تكوين هذه النظرية (المستوى النظري و الفكري للنظرية).
2. جهوده على المستوى التركيبي، ودوره في المقارنة بين النظرية الجديدة وأبواب النحو العربي.

3. جهوده فيما يتعلق ببعض المقاربات بين الفكر اللغوي عند تشومسكي رائد المنهج التوليدي التحويلي وعلماء العربية من أمثال: ابن خلدون، وسيبويه في محاولة منه لتأصيل وتطبيق النظرية التوليدية التحويلية في التراث العربي القديم.

2.2 في المنطلقات الفكرية والقضايا العامة في المنهج التوليدي التحويلي (المستوى النظري).

بهدف تطوير المنظور الفكري اللغوي في العالم العربي، وتوسيع دائرة المعرفة استثمر ميشال زكريا في مبادئ النظرية التوليدية التحويلية، وحاول أن يؤسس أنموذجاً توليدياً يحمل بصمته الخاصة سواء أكان ذلك على المستوى النظري أم على المستوى التطبيقي. "فالنظرية التوليدية التحويلية ومنذ ظهورها استطاعت أن تنقل الحياة اللسانية من مرحلة بنيوية تركز على تحليل الأصوات العالمية إلى مراحل جديدة تميزت باستخدام المنهج العلمي الذهني لتحليل النحو الشكلي فأصبح الأسلوب الاستنباطي الاستنتاجي همَّ النظرية التوليدية التحويلية"[1]. وميشال زكريا واحد من اللسانيين الذين تمثلوا هذا المنهج في دراسته اللسانية، وقدَّم فيه قراءات تمهيدية ومعمّقة؛ رغبة منه في تقديم هذا المنهج للقارئ العربي بصورة تقرِّب الرؤية الفكرية للمنهج التوليدي من العقلية العربية.

إن الحديث عن المستوى النظري للمنهج التوليدي التحويلي في أعمال ميشال زكريا يؤكد لنا مدى الجهد الذي بذله في سبيل نقل هذا المنهج من الدراسات الغربية إلى الفكر اللساني العربي، وإن كان بعضهم يصف هذا الجهد بأنه "لا يختلف كثيراً عما تم طرحه عند الحديث عن نظرية تشومسكي كما تمثلها النحاة العرب"[2]، وهذا

([1]) الوعر، قضايا أساسية في علم اللسان الحديث، ص113-115.

(2)بكري، محمَّد بلحاج، التراث وجذور الألسنية، بحث ألقيَ في المؤتمر الثاني للنقد، جامعة اليرموك، 1988، ص9.

أمر ليس مستغرباً، فأي منهج لساني جديد في العالم الغربي يتطلب منا نقله، والخوض في أفكاره والوقوف عند أبرز منطلقاته وأسسه العامة التي ترسم الخطوط العريضة له، وهذا لا يجعلنا ننتقص من جهود ميشال زكريا أو غيره ممن أسهموا في تكوين رؤية واضحة للمنهج التوليدي في عالمنا العربي.

تناول ميشال زكريا كثيراً من أفكار المنهج التوليدي التحويلي التي أسس لها تشومسكي في مؤلفاته اللسانية المشهورة، وهذا ما يؤكده ميشال زكريا صراحة إذ يقول: "لا بد قبل الخوض في دراسة قواعد اللغة العربية انطلاقاً من المنهجية الألسنية التوليدية التحويلية من أن نعرض بصورة موجزة الخطوط الأساسية لنظرية القواعد التوليدية التحويلية"[1]. فهو يؤسس لدراسته التطبيقية للمنهج التوليدي التحويلي على اللغة العربية،ويتتبع أبرز الخطوط العريضة التي قام عليها هذا المنهج، وكنت قد أشرت في موضع سابق من هذا البحث إلى أبرز الأسس التي قام عليها هذا المنهج[2]. وقد تناولها ميشال زكريا بالشرح والتفصيل وسأحاول أن أبين رأيه فيها.

الكفاية اللغوية والأداء اللغوي: وهي مقدرة الإنسان على إنتاج الجمل وتفهيمها في عملية تكلم اللغة، فالكفاية اللغوية هي المعرفة الضمنية باللغة في حين أن الأداء الكلامي هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين[3]. فزكريا في حديثه عن هذا المبدأ العام في المنهج التوليدي التحويلي يشير إلى أن هذه الملكة هي ذاتية خاصة يتمتع بها كل من يتكلم لغة ما، ويعطي زكريا الكفاية اللغوية الأهمية المطلقة في العملية اللغوية ويهمل الأداء اللغوي إذ يقول: "لا بد لنا تجاه هذا الواقع من أن نعطي الأسبقية في دراستنا اللغوية لدراسة الكفاية اللغوية بالذات وأن تعتمد التجريد بالنسبة إلى معطيات الأداء الكلامي، فنهمل بالنتيجة المظاهر الطفيلية المرافقة لهذا الأداء"[4]،

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص7.

(2) انظر التمهيد.

(3) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص7.

(4) المرجع نفسه، ص8.

ويرى زكريا بناءً على هذا المبدأ العام في المنهج التوليدي بأن الكفاية تتصف بطابع اللاشعور، وهذا جعله يُكوِّن فهماً عاماً للغة على أنها آلية تنظم ديناميكية التكلم[1].

القواعد والحدس اللغوي: وهي عند ميشال زكريا التنظيم المحرك للغة والكامن ضمن الكفاية اللغوية[2]. فهي التي تتحكم بالتعابير والجمل التي يولدها ابن اللغة، ويتم من خلالها تشكيل البنى التركيبية لها، ويشير زكريا إلى قضية مهمة عند حديثه عن القواعد وهي ضرورة الفصل بين القواعد التي تتصف بها الكفاية اللغوية التي تعود إلى المتكلم وقواعد الأداء الكلامي، وهذا يقتضي حل المسألة بالاعتماد على الحدس اللغوي[3]الموجود ضمنياً عند ابن اللغة، ولقد ترتب على اعتماد الحدس في الحكم على صواب الجملة أو عدم صوابها تقسيم الجملة إلى قسمين هما: الجملة الأصولية، والجملة غير الأصولية، "فالجملة الأصولية هي الجملة الموافقة الأصول اللغوية والجملة غير الصحيحة هي غير الأصولية"[4]، ويوضح زكريا هاتين الجملتين من خلال المثال الآتي:

"أبحر الإسكندرية من سعد اليوم إلى باريس"

فهو يقول: أنه لا يمكن اعتبار هذه الجملة جملة مفيدة وإن خضعت للترتيب الأصولي للمؤلفات الكلامية في اللغة العربية (فعل، اسم، حرف جر+ اسم، ظرف زمان، ظرف مكان...) إلا أنها جملة غير مقبولة.... ويقتضي تصحيح هذه الجملة إدخال كلمة "سعد" بعد كلمة "أبحر" وفي موقع كلمة "الإسكندرية" وإدخال كلمة "الإسكندرية" في موقع كلمة "سعد" في الجملة السابقة لتصبح الجملة: "أبحر سعد من الإسكندرية اليوم إلى باريس"[5]، وهذه المسألة ليس لزكريا فضلٌ في الاشارة إليها،

---

(1)زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص45.

(2) المرجع نفسه، ص45.

(3) المرجع نفسه، ص8.

(4) المرجع نفسه، ص9.

(5) المرجع نفسه، ص10.

فقد ناقشها تشومسكي عند حديثه عن مفهوم السلامة النحوية، او كما تعرف بالمقبولية النحوية.

وللحدس أهمية مزدوجة عند ميشال زكريا، فهو يرى "أن اللجوء إلى الحدس المنظم يتيح للباحث الألسني ملاحظة بعض القضايا اللغوية المثيرة الاهتمام كما يتيح له بالإضافة إلى ذلك استنباط القوانين اللغوية من خلال هذا الحدس اللغوي"[1].

الإبداعية:

كنا قد أشرنا سابقاً إلى أن تشومسكي سعى من خلال نظريته اللسانية الجديدة إلى إقامة منهج عام لدراسة اللغة يعتمد على الجانب العقلي باعتبار أن اللغة عنده عمل عقلي يتميز به الإنسان عن الحيوان، وهذا ما أشار إليه ميشال زكريا في حديثه عن هذا المبدأ العام من مبادئ النظرية اللسانية الجديدة عندما تحدث عنه بوصفه خصيصة من خصائص اللغة الإنسانية، ويتمثل المظهر الإبداعي في اللغة من خلال قدرة المتكلم على إنتاج عدد غير محدود من الجمل الجديدة التي لم يسبق له أن سمعها من قبل، و ميشال زكريا يقدِّم لنا رأيه في هذا المبدأ إذ يقول: "اللغة في هذا المجال نتاج ثقافي خاضع لمبادئ تختص بها بصورة كلية من جهةٍ، ومن جهة أخرى تعكس اللغة الخصائص العامة لفكر المنتفعين بها، فهي نتاج وفعل وصنع في آن معاً، وهي أيضاً عمل عقلي يتجدد باستمرار"[2]. فزكريا يؤكد في كلامه هذا على جملة من القضايا الأساسية التي تتميز بها الإبداعية وهي:

1. الإبداعية صنع إنساني صادر من العقل و بها يتميز عن الحيوان.
2. الإبداعية متجددة أي أنها تتجدد بتجدد التعابير.
3. اللغة جزء من تراثنا وتعكس خصائص الجماعة الناطقة بها.

وفي ذات السياق لم يفُت زكريا الإشارة إلى قضية أساسية، وهي إهمال الجانب الإبداعي في العملية اللغوية عند أتباع المدارس اللسانية التي سبقت المدرسة

---

(1) زكريا، المبادئ والأعلام، ص157.

(2) المرجع نفسه، ص30.

التوليدية التحويلية في الظهور، وهو يقصد هنا المدرستين البنيوية والسلوكية، وهذا الإهمال كما يؤكد زكريا لم يكن في صالح الدراسة اللسانية، يقول: "إن التغاضي عن هذا المظهر الإبداعي في اللغة لم يكن على أية حال لصالح النظرية الألسنية بالذات وإن يكن التغاضي عن هذا المظهر الإبداعي مفهوماً في ظل المبادئ السلوكية إلا أنه غير مبرر ولا مقبول"[1].

اكتساب اللغة

تنوَّعت وتعددت النظريات التي تناولت قضية الاكتساب اللغوي، بل اختلف العلماء في تفسير الكيفية والآلية التي يكتسب بها الإنسان لغته في بداياته الأولى، وظهرت نظريات حاولت تقديم المحاكاة، ونظرية التعلم الشرطي، ونظرية تحليل المعلومات[2]،والأخيرة منها ما يهمنا ذلك؛ لأنها تتعلق بالنظرية التوليدية التحويلية التي جاء بها تشومسكي.

فقد دعت نظرية المحاكاة والتقليد إلى اتخاذ المحاكاة أساساً مهما في تعلم اللغة واكتسابها، فالطفل يحاكي النشاطات اللغوية والحركية مع من يتحدث اللغة، والطفل يقوم بدوره باكتساب لغته من بيئته اللغوية في حين تذهب نظرية التعلم الشرطي إلى أن الطفل يبدأ حياته اللغوية بإصدار مجموعة من الأصوات التي تتصف بالعشوائية، وهي تصدر عنه بصورة عفوية تلقائية وبمساعدة والديه ومن خلال عملية تعرف بـــ "التعزيز" من خلال الابتسامة والمداعبة والاحتضان أو التقليد للأصوات التي يصدرها فيحس الطفل بقدرته على جذب انتباه الآخرين، ويرتبط مؤشر تقدم الطفل في اكتسابه للغة بمقدار التعزيز الذي يحصل عليه الطفل ممن حوله.

ومع مجيء المدرسة التوليدية التحويلية احتلت قضية الاكتساب اللغوي مركزاً مهماً ومرموقاً في حقل الدراسة اللسانية، فالنظرية التوليدية نظرت إلى السلوك

---

(1) زكريا، المبادئ والأعلام، ص 31-32.

(2) زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، ص72-98، وانظر أيضاً: الخلايلة واللبابيدي، تطور لغة الطفل، ص29-34.

اللغوي على أنه سلوك عقلي معرفي ناتج عن عمليات ذهنية وعقلية لا عمليات تقليدية أو سلوكية أو حركية، فتشومسكي في كتابه "اللغة والعقل" عارض بشكل كبير النظريات التي سبقته في تفسير هذه الظاهرة كالنظرية الوصفية البنيوية، والنظرية السلوكية التي بنت رؤيتها للاكتساب اللغوي على أساس المحاكاة والتلقين والحافز والمؤثر والاستجابة[1].

وهذا ما أكده ميشال زكريا بوصفه واحداً من اللسانيين العرب الذين أفادوا من النظرية التوليدية التحويلية في دراسته اللسانية، فميشال زكريا درس نظرية الاكتساب اللغوي، وتتبع أبرز النظريات التي تناولتها، وبين أهم الملامح التي أسست في الدراسات اللسانية، ويبدو أن موقف ميشال زكريا متوافق إلى حدٍّ بعيد مع موقف تشومسكي في رفضه الصريح لما سبقه من جهود لسانية حاولت أن تقدم تفسيراً لهذه النظرية، يقول زكريا مؤيداً تشومسكي في نظريته للاكتساب اللغوي: "إن نظرة تشومسكي إلى عملية الاكتساب اللغوي عند الطفل تختلف بصورة جذرية عن النظرة السلوكية التي كانت رائجة قبل ظهور النظرية التوليدية والتحويلية، إذ إن تشومسكي يُصرُّ على أنّ بنية التنظيم المعرفي الذي يصل بالطفل إلى اكتساب اللغة بنية معطاة بصورة مسبقة إلى الطفل، وبالتالي لا يتم الاكتساب اللغوي تدريجياً كما يزعم السلوكيون من خلال لا شيء، أو من خلال "دماغ فارغ" وبواسطة الاستقراء والتصميم ومبادئ الأقران، ومن دون أية ضوابط بيولوجية"[2].

إن قضية الاكتساب اللغوي من أبرز القضايا التي تناولتها اللسانيات عامة واللسانيات التوليدية التحويلية خاصة؛ وذلك لارتباطها بالعمليات الذهنية عند الإنسان "الطفل"، فالنظرية التوليدية التحويلية ترى "أن الطفل يمتلك بالفطرة تنظيماً ثقافياً يمكن تسميته بالحالة الأساسية للعقل يُمَكِّنهُ من اكتساب لغته من خلال تفاعله مع البيئة وعبر

---

(1) تشومسكي، نعوم، اللغة والعقل، ترجمة بيداء العلكاوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد– العراق، ط1،1996، ص 21.

(2) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص54.

مسار النمو الذاتي وصولاً إلى البنى المعرفية، وتخضع هذه اللغة إلى تغيرات سريعة خلال المراحل المبكرة من الطفولة، وبعدها تكتمل حالة عقلية أصلية ثانية تتعرض فيما بعد إلى تغيرات طفيفة"[1].

ويتضح لنا من كلام زكريا أن رفض المدرسة التوليدية التحويلية ممثلة بتشومسكي لما سبقها من نظريات تناولت الاكتساب اللغوي، ينطلق من أن هذه النظريات تعاملت مع اللغة بوصفها نشاطاً سلوكياً أو حركياً، وهذه الرؤية –إن جاز التعبير– رؤية أوَّلية؛ لأنها نظرت إلى الإنسان بوصفه آلة لا يختلف عن الحيوان قابلة للتخزين والتسجيل من خلال المحاكاة والإشارات والحركات، وهذا ما يتناقض تماماً مع رؤية تشومسكي اللسانية للغة بوصفها نشاطاً عقلياً إنسانياً يتميز به عن غيره من مخلوقات الله.

فالنظرية التوليدية التحويلية هدمت كثيراً من المفاهيم التي سادت الدراسة اللسانية من قبلها فيما يتعلق بالاكتساب اللغوي، وهذا ما يشير إليه ميشال زكريا بقوله: "إن الانطباع الذي نخرج به عندما نتأمل عمل الطفل اللغوي يختلف بصورة أساسية عن التفسير الذي كان يُعطى غالباً قبل إنشاء الألسنية التوليدية التحويلية لتفسير عملية اكتساب اللغة عند الطفل في إطار مذهب السيكولوجيا الذي تأثرت به الألسنية البنيانية"[2].

ويمكن لنا أن نلخص الخطوط العريضة لنظرية الاكتساب اللغوي في المنهج التوليدي التحويلي كما بينها ميشال زكريا في كتابيه: النظرية الألسنية وقضايا ألسنية تطبيقية في النقاط الآتية: [3].

1- تتم عملية الاكتساب اللغوي عند الأطفال في البيئة الواحدة على نسق واحد.

2- يكتسب الطفل السليم لغته من خلال تعرض شفّاف لما يسمعه دون تدرج.

---

(1)زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص54.

(2) المرجع نفسه، ص 50.

(3) المرجع نفسه، ص47–53، وانظر أيضاً: زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ص93–94.

3- يستطيع الطفل أن يكتسب لغته القومية من خلال أربع سنوات بطريقة سهلة وميسرة ودون بذل جهد كبير.

4- يجب ألّا تتعدى خصائص لغة الطفل التي يكتسبها -بصورة أساسية- قدراته الطبيعية على الاستيعاب.

5- إن الطفل السليم لا يكتسب اللغة واستعمالاتها فحسب، بل يمتلك القدرة والتقنية على التواصل اللغوي، وبالتالي يدرك أهمية اللغة ودورها الوظيفي في البيئة التي يعيش فيها.

6- إن الطفل الذي نجح في اكتساب لغة قومه يكون قد نمَّى في ذاته تصوراً داخلياً للتنظيم من القواعد يسمى "الكفاية اللغوية".

إن النظرة الفاحصة لما سبق تؤكد أن عملية اكتساب اللغة عند الطفل هي عملية عقلانية تخضع لمجموعة من القواعد الذهنية، التي تنتظم بطريقة طبيعية تؤهل الطفل لتعلم لغته القومية من خلال تعرضه المباشر لمجموعة الظواهر اللغوية المحيطة به وهذا ما يتميز به الإنسان عن غيره من المخلوقات، فالإنسان مخلوق إبداعي وهذه السمة من أهم السمات التي انطبعت بها النظرية اللسانية الجديدة، أقصد النظرية التوليدية التحويلية.

ويشير ميشال زكريا إلى الاكتساب اللغوي بوصفه نظرية إنسانية تستحق الدراسة والوقوف عندها؛ لكونها تؤكد القدرة الإبداعية الفطرية للغة الموروثة فطرياً في عقل الإنسان، هذه القدرة الإبداعية التي تحتاج إلى معطيات لغوية كافية في تكوينه العقلي أو معطيات يكتسبها الطفل من محيطه اللغوي الذي يشكل على حد تعبيره القادح لشرارة الاكتساب، وفي هذا يقول: "في ظل المبادئ الفطرية تعمل المعطيات اللغوية المتوافرة للطفل في محيطه كقادح لشرارة الاكتساب، فالمحيط اللغوي يحرك أوّلية الاكتساب اللغوي من دون أن يكون بمقدور هذه المعطيات وهذه الخبرات اللغوية أن تؤثر على جهاز الاكتساب"[1]. ويركز ميشال على المحيط اللغوي الذي

(1) زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ص98.

ينشأ فيه الطفل فبإمكان المحيط اللغوي أن يطلق أوّليات الاكتساب أو أن يلجمها على حد تعبيره"[1].

اللغة والعقل

إن الحديث عن مدى الترابط بين اللغة والعقل في النظرية التوليدية التحويلية أمر لا بد منه؛ ذلك أنها –أي النظرية التوليدية التحويلية– انتهجت منهجاً عقلانياً في دراسة المسائل اللغوية، والبحث في أبرز القضايا التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقل كالاكتساب اللغوي والكفاية اللغوية التي تعد مكوناً من مكونات المعرفة الإنسانية، هذا الترابط الوثيق بين اللغة والعقل ساهم في إرساء الرأي القائل "بأن النظرية التوليدية التحويلية هي الأكثر تماسكاً في مجال تحليل اللغة الإنسانية"[2].

لقد بدأ تشومسكي مشروعه اللغوي متأثراً بأعمال الفلاسفة العقلانيين[3]، كديكارت وغيره من العقلانيين، وكان هذا المشروع الجديد البداية الثورية في الدراسات اللسانية، فقد احتلت اللسانيات التاريخية والوصفية ميدان الدراسة اللسانية ردحاً من الزمن ظهر على إثرها المنهج البنيوي الذي ركز على دراسة اللغة ووصفها دون اللجوء إلى التحليل أو التفسير، وهذا ما دعا تشومسكي إلى إحداث ثورة علميّة في طبيعة البحث العلمي الحديث، فبمجيء تشومسكي حدثت نقطة التحول من الدراسات اللسانية الحديثة بانتقاده المنهج البنيوي، إذ رأى من خلال كتابه "البنى التركيبية 1957" أن مهمة اللساني لا تكمن في الوصف اللغوي أو إيجاد الطرق المناسبة للوصف، بل لا بد من نظرية شاملة يستطيع الباحث من خلالها تقويم النماذج النحوية وانتقاء النموذج الأنسب لدراسة البنية النحوية، وهذا يعني أن تشومسكي يركز

---

(1) زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ص98.

(2) المرجع نفسه، ص57.

(3) سامبسون، المدارس اللغوية التطور والصراع، ص13.

بدءاً على المنهجية في الدراسة اللسانية قبل الشروع والانطلاق في الدراسة اللغوية[1].

لقد رسم تشومسكي لنفسه منهجاً عقلانياً في دراسة اللسانيات، ولعل هذا الأمر عائد إلى تأثره الشديد بعلوم الرياضيات والفلسفة والمنطق، فهو مهتم باللغة الاصطناعية والمنطق، ولعل مقاله المعنون بـــ(علم التركيب المنطقي وعلم الدلالات و ملاءمتها الألسنية) دليل واضح على التوجه العقلاني في الدراسة اللسانية، إذ يؤكد فيه طبيعة التعالق الكامن بين علم الألسنية وعلم المنطق على صعيد المنهج الرمزي وفقاً لبناء النظرية الألسنية[2]، ويشير ميشال زكريا إلى مدى التداخل بين الألسنية وعلم المنطق الرياضي عند تشومسكي في مقاله هذا، فتشومسكي لا ينكر بأي حال من الأحوال استثماره للمنطق الرياضي في الدراسة اللسانية، فدراسة خصائص اللغات الطبيعية (أو الدلالية) تقتدي بدراسة خصائص المنطق واللغات الاصطناعية الشكلية أو الدلالية على حد تعبيره[3].

لقد عالج ميشال زكريا العلاقة التي تربط اللغة بالعقل بوصفها مكوناً مهماً من مكونات النظرية التوليدية التحويلية في الفصل الثالث من كتابه "قضايا ألسنية تطبيقية دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية"، فتناول الأسس العقلانية التي انطلقت منها النظرية التوليدية التحويلية، وأشار إلى أبرز القضايا العقلانية التي تناولتها هذه النظرية كالكفاية اللغوية، والاكتساب اللغوي، والإبداعية، وغيرها من القضايا التي أسست لهذه النظرية اللسانية الحديثة، يقول زكريا في معالجته لهذه القضية في بداية حديثه عن المنطلقات الفكرية والعقلانية التي رسمت للمنهج التوليدي الطريق فيما بعد للسانيين: "تعالج النظرية التوليدية والتحويلية اللغة من منطلق أنها مكوِّن من مكونات العقل الإنساني، ونتاج عقلي خاص بالإنسان، وتعتبر أنّ قواعد

---

(1) زكريا، المبادئ والأعلام، ص139– 141.

(2) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص10.

(3) المرجع نفسه، ص11.

اللغة قائمة بشكل أو بآخر في عقل الإنسان كتنظيم يُخصّص الخصائص الصوتية والتركيبية والدلالية لمجموعة غير متناهية من الجمل المحتملة، وهذه القواعد قائمة بشكل ضمني في الملكة اللسانية أو الكفاية اللغوية، العائدة إلى متكلم اللغة، وهي ممثلة بالتالي في عقول متكلميها وتحدد اللغات بواسطة هذه القواعد الضمنية"[1]، فزكريا يؤكد أن المنهج التوليدي التحويلي انطلق في معالجته اللسانية من منطلق عقلاني باعتبار اللغة نشاطاً عقلياً ووسيلة من وسائل التواصل بين أبناء اللغة الواحدة، ولم يكتف بذلك وحسب، بل أشار إلى جزئية مهمة، وهي أن ابن اللغة يمتلك في عقله وضمن ما يسمى بكفايته اللغوية القواعد التي تتحكم بالفعل الكلامي، أو ما يسمى بالأداء الكلامي، وهذا الأخير من الأسس التي انطبعت بها النظرية التوليدية والتحويلية.

يُرجع تشومسكي دراسة اللغة إلى المسار العقلي، ويؤكد أن اللغة لا تنفصل في إطارها العام عن التصور العقلي ومهما كانت خصائصها، وللغة حسب رأي تشومسكي دور هام في فهم النظام العقلي واكتشاف نظامه وأسراره والوقوف على أبرز تفاصيله الدقيقة[2]. وهذا ما يدعمه زكريا إذ يفترض وجود علاقة وثيقة بين خصائص العقل الفطرية وبين التنظيم اللغوي[3].

إن عقلانية اللغة التي طبع بها تشومسكي نظريته اللسانية، لنا أن نتلمس مبادئها العامة من خلال مجموعة القواعد والقوانين التي اعتمدها، وركن إليها في تأسيسه لهذه النظرية، ويتضح لنا ذلك من خلال الرجوع إلى البدايات الأولى للنظرية، وبالأخص حين يعرّف اللغة بقوله: "اللغة مجموعة (منتهية أو غير منتهية) من الجمل لكل منها طولها المحدود أو مكونة من عناصر عددها منته"[4]. إن هذا التعريف الذي

---

(1) زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ص57.

(2) المرجع نفسه، ص58.

(3) المرجع نفسه، ص58.

(4) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص122.

قدمه تشومسكي هو تعريف جامع للغات الطبيعية والاصطناعية على حدٍّ سواء، ولعل ما يميز تعريف تشومسكي ما يسمى بـــ (اللانهاية) وهي مقدرة العقل على إنتاج الجمل والمفردات بشكل دائم ودون حدوث أي قصور في ذلك، وهذا يعني أن الإنسان بطبعه اللغوي مبدع وقادر على الإبداع والابتكار اللغوي من خلال قدرته العقلية الفطرية أو المكتسبة، وفي ذات السياق يحدد ميشال زكريا تعريفاً للغة من خلال فهمه لرؤية تشومسكي، يقول: "إن اللغة الشكلية هي المجموعة (ل) المنتهية أو غير المنتهية من الجمل المحدودة من حيث الطول، والمبنية على تتابع عناصر مأخوذة من مجموعة منتهية (م) من المفردات التي تقدم أنموذجاً للغات الطبيعية وللغات المنطقية الاصطناعية أو للغات البرمجة الآلية على حد سواء"[1]، وفي نظرة فاحصة لتعريف ميشال زكريا نجده قد أشار إلى ما يسمى بـــ (البرمجة الآلية) التي تعتمد في طبيعتها وبشكل كبير على المنطق الرياضي، وبرمجة اللغات الطبيعية التي استلهمت خصائصها وسماتها من العلوم الرياضية والمنطقية على حد تعبير أتباع المنهج العقلاني.

مظاهر العقلانية في اللغة

كنّا قد قلنا أن النظرية التوليدية التحويلية في أساس وجودها انطلقت من أفكار عقلانية، وبتأثير من الفلاسفة وعلم المنطق والعلوم الرياضية، فتناولت هذه النظرية مجموعة من القضايا العامة التي شكلت الترسانة المفهومية لها، فالمنحى العقلاني في هذه النظرية ساهم إلى حدٍّ كبير في توطيد العلاقة بين العقل واللغة وأصبح الرابط بينهما جلياً واضحاً، وهذا هو صلب النظرية التوليدية التحويلية التي أعطت العقل السلطة المطلقة في العملية اللغوية وفي شقّيها الكامن في العقل البشري، أو ما يسمى بـــ (الملكة اللسانية) والظاهر في الأداء الكلامي المنجز.

---

(1)زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص122.

فالمدرسة التوليدية تستند إلى أساس عقلي، وتعتبر "اللغة حالة معينة للعقل/ الدماغ... وقدرة من قدرات العقل يمكن تمييزها، هي قدرة اللغة بخصائصها وبنيتها ونظامها التي هي وحدة (module) من وحدات العقل.

لقد تجلت العلاقة بين اللغة والعقل بمجموعة من المظاهر، التي أصبحت من المنطلقات الفكرية التي قامت عليها النظرية التوليدية التحويلية، ورسمت الطريق لكل من حاول أن يتخذ هذه النظرية في التحليل اللغوي وهذه المظاهر هي:

1- الإبداعية: لقد ركزت النظرية التوليدية التحويلية على هذا المظهر بوصفه سمة إنسانية تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات "وتتجلى السمة الإبداعية عبر مقدرة المتكلم على إنتاج عدد غير متناه من الجمل لم يسبق له أن سمعها من قبل وتفهمها"[1]، وهذا يعني أن سمة الإبداعية تقتصر على الإنسان بوصفه قادراً على أمرين اثنين هما: الفهم (الإدراك) المرتبط بالعقل، والكلام المرتبط بالعملية العقلية الذي هو الصورة المنجزة لجميع العمليات العقلية التي يتوصل الإنسان من خلالها إلى التواصل مع أبناء جنسه.

ومما لا شك فيه أن هذه السمة تخضع لمجموعة من المبادئ والقواعد التي تخضع بدورها لقدرات الإنسان العقلية، وفي هذا الصدد يقول تشومسكي: "إن اللغة الإنسانية تتجلي عبر مظهر استعمالها الإبداعي في القدرة الخاصة على التعبير عن أفكار متجددة وعلى تفهم تعابير فكرية أيضاً متجددة، وذلك في إطار لغة مؤسسية هي نتاج ثقافي خاضع لقوانين ومبادئ تختص بها جزئياً، وتعكس جزئياً خصائص عامة للفكر"[2].

---

(1)تشومسكي، نعوم، المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخداماتها، ترجمة محمَّد فتيح، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1993، ص68.

(2) زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ص59.

وبناءً على هذا التصور يعتبر زكريا اللغة نتاجاً وفعلاً تم صناعتهما في آن واحد،ويشير زكريا إلى أن الإبداعية ظاهرة عادية يمتاز بها المتكلم بصورة طبيعية[1].

إن تمثل هذه السمة في الدراسة اللسانية عند أتباع المنهج التوليدي التحويلي جعل للاستعمال اللغوي سماته الخاصة التي يبينها ميشال زكريا في النقاط الآتية: [2].

1- إن استعمال اللغة في أبسط أشكاله استعمال تجددي يتصف بالابتكار والتجديد من حيث إنه يقوم ببناء الجمل الجديدة والمتنوعة، فكل ما يتلفظ به الإنسان غالباً عند استعماله اللغة هو فعلاً تعابير متجددة تحمل أفكاراً متجددة.

2- إن الاستعمال اللغوي لا يخضع لحافز ملحوظ، بل هو حر ومتحرر من كل المثيرات خارجية كانت أم داخلية، وهذه الميزة بالذات هي تتيح للإنسان استعمال اللغة كوسيلة تفكير وتعبير، على اعتبار أن الإنسان بحاجة إلى اللغة للتعبير عن الفكر.

3- اللغة قادرة على أن تحمل الأفكار المتجددة وتعبر عن كل ما يحيط بالإنسان وعن عالم الإنسان الذاتي.

ويُرجع ميشال زكريا الإبداعية في العملية اللغوية إلى أمرين اثنين هما: طبيعة اللغة ذاتها، فاللغة هي مجموعة لا متناهية من الجمل وخاصية اللاتناهي على حد تعبير زكريا تتأتى من خلال وجود أوليات تركيبية متعددة قائمة على ما يسمى بمفهوم العنصر العائد، وهو العنصر الذي يظهر في قاعدة الكتابة على يمين السهم ويساره، ويمثل زكريا على ذلك بالجملة الآتية: [3].

ركن اسمي ⟵ اسم + ركن اسمي

كتاب الرجل (كتاب) (الرجل)

---

(1)زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ص59.

(2) المرجع نفسه، ص60.

(3) المرجع نفسه، ص60.

فالاسم المضاف إليه هو ركن اسمي يعود ويظهر ضمن ركن اسمي مكوّن من المضاف والمضاف إليه.

أما الأمر الثاني، فهو: ازدواجية التنظيم اللغوي، ويقصد به زكريا أن اللغة الإنسانية تحتوي على مستويين من حيث البنية؛ المستوى التركيبي الذي يمكن تحليله من خلال تحليل عناصر ذات معنىً تتألف وتتوافق في ما بينها لتؤلف التركيب الجملي، والمستوى الثاني هو: المستوى الصوتي أو الفونولوجي، ويمكن تحليله من حيث إنه يحتوي على وحدات لا تقوم لها أية دلالة، وتستعمل لتحديد عناصر المستوى الأول الفونومات[1]، فالعملية اللغوية عند زكريا تمر في مستويين التركيبي الذي يؤلف من خلاله المتكلم الجمل ويستحضر في سبيل ذلك مقدرته الإبداعية الكامنة في مقدرته العقلية ليصل إلى المستوى الثاني من العملية اللغوية، وهو المستوى الصوتي الذي يقوم المتكلم من خلاله بإخراج التراكيب إلى أصوات لغوية منجزة.

2- التمييز بين الكفاية اللغوية والأداء الكلامي.

كنا قد أشرنا في موضع سابق في هذه الدراسة إلى مفهومي الكفاية والأداء الكلامي[2]، فالكفاية اللغوية هي معرفة المتكلم المستمع المثالي للسانه، أو هي معرفة الإنسان الضمنية للغته[3]، بمعنى أن الكفاية هي مقدرة المتكلم على استعمال لغته التي تمكنه من إنتاج الجمل، وهذه المقدرة تخضع لما يسمى بالحدس اللغوي الذي يقوم بدوره في إعطاء جمل لغوية مقبولة نحوياً، فالحدس يضطلع بدور مهم في توجيه الجمل نحو الصواب، أو ما نطلق عليه المقبولية لدى المتكلم أو السامع، وتوجد الكفاية اللغوية إلى جانب الحدس عند ابن اللغة بصورة فطرية فهي تتميز بطابع اللاشعور "فالكفاية اللغوية هي الحقيقة العقلية الكامنة وراء الأداء الكلامي"[4]، أما الأداء الكلامي

---

(1)زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ص60.

(2) انظر: التمهيد.

(3) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص32.

(4) زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ص61.

فهو "الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين"[1]، أي أن الأداء الكلامي هو الصورة المنجزة للعمليات العقلية التي تقود العملية اللغوية، يقول ميشال زكريا بهذا الصدد: "فالأداء الكلامي هو الاستعمال العقلي الآني للغة ضمن سياق معين، وفي الأداء الكلامي يعود متكلم اللغة بصورة طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية كلما استعمل اللغة في مختلف ظروف التكلم، فالكفاية اللغوية بالتالي هي التي تقود عملية الأداء الكلامي"[2].

ونخلص القول من كلام ميشال زكريا في التمييز بين الكفاية اللغوية (الملكة اللغوية) والأداء الكلامي، إن الأداء الكلامي بمثابة الانعكاس المباشر للكفاية اللغوية، إلا أن الأداء لا يخلو من بعض الانحراف عن قوانين اللغة، فالإنسان عندما يتكلم يستعمل كفايته اللغوية دون شك إلا أن هذا الاستعمال لا يتم بصورة تامة ومتكاملة في عملية التكلم وذلك لارتباط عملية التكلم بعدة مظاهر خاصة خارجة عن إطار اللغة وهي مظاهر متشابكة ومعقدة، وعليه يمكن لنا القول بأن التأدية (الأداء) هي تطبيق وتحقيق وصورة نهائية للملكة على الواقع، والجدير بالذكر أن النظرية التوليدية التحويلية أعطت الكفاية اللغوية الاهتمام الأكبر في الدراسة والتحليل إلى جانب تحكم هذه الكفاية بالعملية اللغوية، ولعل ذلك جاء لينسجم مع العقلانية التي طُبعت بها هذه النظرية.

ولكن لماذا دعت النظرية التوليدية التحويلية إلى التمييز بين الكفاية اللغوية والأداء اللغوي؟ وهل للنهج العقلاني الذي انتهجه أتباع هذه النظرية علاقة بذلك؟ إن الإجابة عن هذين السؤالين يقدمها ميشال زكريا الذي يرى أن الدراسة الألسنية الجديدة تولي اهتمامها بدراسة الكفاية اللغوية، وتحاول التوصل إلى وضع القواعد الكامنة فيها، وعليه فهي نظرية تتناول معارف المتكلم الخاصة في مجال اللغة، وهي ليست فرضية تفسر إجراءات واستكشافات وأوليات مستعملة في إنتاج الجمل، إنما

---

(1) زكريا، المبادئ والأعلام، ص45.

(2) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص33.

هي نظرية حول معرفة المتكلم الضمنية في مجال اللغة[1]، ومعنى هذا أن النظرية التوليدية التحويلية تولي القدرة العقلية الكامنة عند ابن اللغة الأهمية الكبرى في العملية اللغوية على حساب الأداء الكلامي، وهذا يُقدِّم لنا تفسيراً واضحاً عن رغبة أتباع هذه النظرية في التمييز والمحاباة بين الكفاية والأداء، فالبحث اللغوي عندهم ينبغي أن يُسخَّر للكشف عن الكفاية اللغوية وقواعدها، ولا يعتمد على الأداء الكلامي كما يرى أتباع المنهج البنيوي، فأتباع المنهج التوليدي التحويليي ومنهم زكريا ينظرون الى اللغة على أنها مجموعة من القواعد التجريدية و العقلية، وتعتمد على المنطق أكثر من اعتمادها على الواقع اللغوي الملموس، فالنظرية التوليدية التحويلية فيما أرى نظرية تعالج أشكال اللغة و قواعدها، و لاتغوص في الجوانب المعرفية الحقيقة.

3- الفرضية الفطرية:

أصبحت اللغة عند أتباع المنهج التوليدي التحويلي فطرة يختص بها الإنسان دون سائر المخلوقات، وإن اكتسابها قدرة مغروسة فيه منذ ولادته تنمو وتتطور خلال نمو جهازه اللغوي، فأي طفل يولد في بيئة بشرية معينة سيكتسب لغة هذه البيئة بغض النظر عن مستواه التعليمي أو الاجتماعي ما لم يكن مصاباً بإعاقة عقلية تحول بينه وبين سماع اللغة وبالتالي فهمها.

لقد أصبحت المعرفة الفطرية عند تشومسكي قضية أساسية مهمة، وذلك لكونها تقدم تفسيراً للاكتساب اللغوي ناهيك أن هذه الفرضية –أي الفطرية– تنظر إلى اللغة على أنها فطرة لغوية كامنة في ذهن ابن اللغة، وليست سلوكاً يُكتسب بالتعليم والمران والتقليد كما يرى السلوكيون.

وتنص الفرضية الفطرية على ما يأتي: "إن إحدى ملكات العقل في الجنين البشري هي ملكة لغوية تقوم بالوظيفتين الأساسيتين في النظرية العقلانية، فهي توفر تنظيماً حسيّاً للتحاليل اللغوية الأولية، ورسماً تخطيطيّاً يحدد بصورة دقيقة فئة معينة

---

(1) زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ص62.

من القواعد"[1] بمعنى أن الإنسان يمتلك ملكة لغوية في عقله تمكنه من تحليل وتنظيم جميع العمليات اللغوية، التي بدورها تلتقي مع مجموعة من القواعد التي تضطلع بدورٍ مهم في العملية اللغوية يتمثل في البناء السليم للجمل المنجزة على الواقع.

إن المادة اللغوية التي يتلقاها الطفل في بداياته الأولى تشكل المادة الخام لمعرفته، غير أن هذه المادة الخام لا تشكل جميع أشكال اللغة وتراكيبها الممكنة التي يمكن للطفل أن يقيس عليها، وهذا ما يؤكده العقلانيون وبمن فيهم تشومسكي الذي يؤكد أن الإنسان قادر على إنتاج جمل وتراكيب غير نهائية ولم يسمع بها من قبل، وهذا ما أطلق عليه تشومسكي القدرة اللغوية الكامنة في العقل، وهي تختلف عن الخبرة اللغوية التي يتفاعل معها، فيتأثر ويُؤثر فيها.

ويشير زكريا إلى قضية الخبرة اللغوية ويصفها بالمعطيات اللغوية الناقصة على اعتبار أن الإنسان يمتلك مقدرة لغوية كامنة لا بد لها من مساند تتمثل في الخبرة اللغوية وفي هذا يقول: "إن الطفل يكتسب أي لغة إنسانية من دون أي تمييز وانطلاقاً من المعطيات اللغوية الناقصة التي تمدّه بها البيئة التي يترعرع فيها"[2]، ومن الجدير بالذكر أن الفارق الكبير بين القدرة اللغوية، والخبرة اللغوية أحدث فجوة كبيرة بينهما عالجها تشومسكي في العديد من مؤلفاته تحت ما يسمى بـــ "المشكلة المنطقية في اكتساب اللغة" (The Logical problem of Language Acquisition)، ويلخص تشومسكي هذه المسألة في أن الإنسان يترعرع في بيئة معينة يكتسب لغة هذه البيئة بقواعدها الصوتية والصرفية والنحوية، ويعرف قوانينها الاجتماعية ويتقن أساليبها التداولية ويكتسب الإنسان هذه اللغة من قبل والديه أو معلميه، وهذا يعني أن "عملية الاكتساب اللغوي تنبع من الداخل أي من العقل البشري وتتطور ذاتياً ودور البيئة اللغوية يقتصر على إطلاق برامج مقررة سلفاً"[3].

---

(1) زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ص67.

(2) المرجع نفسه، ص68.

(3) المرجع نفسه، ص98.

4- القواعد الكلية:

تعرف القواعد الكلية (Universal grammar) بأنها مجموعة من القواعد والقوانين العامة التي تشترك فيها معظم اللغات العالمية ولا تختص بها لغة معينة[1]، فاللغات العالمية تمتاز كلها بنظام مشترك يعكس الطبيعة الإنسانية بوصفها طبيعة إبداعية تُميّز الإنسان عن سائر المخلوقات، ويحدد تشومسكي الكلية اللغوية في البنية العميقة للغة، يقول: "إن البنية العميقة التي تحدد المعنى- كما يؤكد "الديكارتيون" و"همبولد"- مشتركة بين كل اللغات، وذلك؛ لأنها ليست سوى انعكاس لأصول الفكر والقواعد التي تحوّل البنية العميقة إلى بنية سطحية تختلف من لغة إلى أخرى"[2]. أي أن هذه القواعد تحتوي على المبادئ والقوانين الثابتة في العقل الإنساني التي لا تتغير بتغير الجنس البشري أو ثقافته أو لغته التي يتكلّمها؛ لهذا فإن اكتساب القواعد الكليّة قدرة فطرية لدى كل إنسان مهما كانت لغته.

فالقواعد الكلية هي "التي تقوم بضبط الجمل المنتجة، وتنظيمها بقواعد وقوانين لغوية عامة تخضع لها الجمل التي ينتجها المتكلم، ويختار ما يتصل بلغته من قوالب وقواعد من بين الأطر الكليّة العامة في ذهنه، التي هي كليّة شمولية عالمية (Universals) متساوية بين بني البشر تكون في الإنسان منذ ولادته يسميها (صيغة اكتساب اللغة Linguistic Aquitsition Device) [3].

ويقدِّم لنا ميشال زكريا سؤالاً في غاية الأهمية حول هذه القواعد إذ يتساءل عما تتضمنه القواعد الكليّة؟ وبعبارة أخرى ما هو موضوعها ودورها في العملية اللغوية؟ فيجيب عن هذا السؤال بقوله: "تحتوي القواعد الكليّة على كل المعلومات والقضايا التوليدية والتحويلية يأتي بها الطفل إلى مسار عملية اكتسابه اللغة، وبما أن اكتساب اللغة يقتضي تعلم قواعدها بصورة ضمنية، فإنه ينبغي أن تقوم القواعد الكلية

---

(1) زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ص68.

(2) المرجع نفسه، ص69.

(3) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص77.

بتحديد الشكل التي تتخذه قواعد اللغة وأنواع القوانين التي تندرج فيها والنمط الذي تصاغ عليه هذه القواعد والعلاقات التي تتشابك فيها" [1]، ثم يقدِّم تصوره النهائي لهذه القواعد بقوله: "ومن زاوية أخرى ومعادلة يمكن القول بأن القواعد الكلية تحتوي على المبادئ الكليّة القائمة بصورة مشتركة ضمن كفاية متكلم أي لغة من اللغات الإنسانية، فهي صورة معبرة عن جوهر اللغة البشرية، وتحتوي على المبادئ الدائمة والثابتة والقائمة ضمن الفكر الإنساني والتي لا تتغير نسبة لتنوع البشر" [2].

ويشير ميشال زكريا إلى أن تشومسكي لم يكن أول من تحدث عن القواعد الكلية، بل حظيت هذه القواعد باهتمام "بوزيه" (Beauzee) الذي يشير إلى صنفين من المبادئ هما: مبادئ ذات حقيقة ثابتة واستعمال كلي تتوقف على طبيعة الفكر بالذات وتتبع طرقاً تحليلية وليست بالتالي سوى نتيجة لها، ومبادئ أخرى ذات حقيقة فرضية مرتبطة بإصلاحات طارئة وغير دائمة التي أوجدت مختلف اللغات، وتكون المبادئ الأولى القواعد العامة (الكليّة)، أما المبادئ الثانية، فهي موضوع القواعد الخاصة المتنوعة[3]، ومعنى هذا أن هناك كليات وعموميات تلتقي عليها اللغات العالمية، وهذا الالتقاء عائد إلى الجانب العقلاني الفكري الذي تتسم به اللغات على اختلافها، وكما تلتقي على عموميات كذلك لكل لغة خصوصياتها التي تميزها عن غيرها في الجوانب التركيبية والصوتية والدلالية.

وكما فعل "بوزيه" فعل الفيلسوف الألماني "همبولد" قال إن " التحليل اللغوي العميق يُبين شكلاً لغوياً مشتركاً وقائماً وراء التباينات الملحوظة بين أمّة وأخرى وبين فرد وآخر، والقواعد العامة عند همبولد ما هي إلا دراسة للشروط الكليّة التي تنص على شكل كل لغة إنسانية"[4].

---

(1)زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص77.

(2)المرجع نفسه، ص77.

(3) المرجع نفسه، ص70.

(4) زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ص70.

إن البحث في القواعد الكلية عند تشومسكي يدلل على رغبته في وضع أنموذج متكامل يمكن الباحث الألسني من تحليل مادته اللغوية وتفسيرها وحتى اختيارها في ضوء هذه القواعد، وفي هذا نجد تشومسكي يتساءل عن وجود أصول عامة شاملة بين اللغات، "فالعلاقة بين اللغة الطبيعية واللغة المنطقية تتخذ وضعاً متميزاً في النظرية التحويلية، وهذه العلاقة تتمثل في سؤال مهم وهو هل اللغة الطبيعية ذات أصول منطقية؛ أو بعبارة أخرى هل تحتوي اللغات الطبيعية على أصول عامة شاملة ثابتة بحيث تشترك بها مع اللغات المنطقية"[1]، فتشومسكي يصبو من خلال طرحه هذا إلى الربط بين اللغات الطبيعية والمنطق؛ أي الأفكار والآراء العقلانية إلى جانب سعيه إلى إظهار مدى استجابة اللغات الطبيعية لهذا الطرح، وبعبارة أخرى إخضاع اللغات العالمية لمبدأ التجريب للكشف عن مدى مصداقية هذه القواعد الكلية عند تشومسكي، وهذا ما يؤكده ميشال زكريا عندما يصف دراسة الكليات اللغوية "بأنها دراسة تجريبية في إطار النظرية الألسنية"[2].

والجدير بالذكر أن تشومسكي انتهج طريقة متفردة للوصول إلى القواعد الكلية تتلخص في التعرف على القواعد العالمية بالبحث بعمق في قواعد لغة واحدة، واستخلاص قواعدها ومبادئها الأساسية المجردة، وانقسمت القواعد عند تشومسكي بناءً على هذا التصور إلى قسمين: قواعد أساسية (core grammar) وهي القواعد التي تشترك فيها اللغة المدروسة مع معظم لغات العالم، وقواعد هامشية (peripheral grammar) وهي القواعد الخاصة بتلك اللغة ولا توجد في معظم اللغات، وقد أطلق على النوع الأول مصطلح القواعد غير المميزة (Un marked grammar)، وعلى النوع الثاني مصطلح القواعد المميزة (Marked grammar) وربط الأساسية بالقواعد العامة، وربط الهامشية بالقواعد الخاصة باللغة.

---

(1) ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص75.

(2) زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ص70.

3.2 المستوى التركيبي (جهود ميشال زكريا)

بعد أن عرضنا لجهود ميشال زكريا في الجانب النظري للنظرية التوليدية التحويلية، وما تناوله من أفكار ومعطيات ومنطلقات شكلت في مجملها المستوى النظري لهذه النظرية، وتوقفنا عند أبرز الإسهامات الواضحة له في تقديمه للنظرية التوليدية التحويلية للقارئ العربي؛ ليكوّن تصوراً واضحاً لأبعاد هذه النظرية في الدرس اللساني المعاصر.

واستكمالاً للبحث سأعرض الجانب التطبيقي للنظرية التوليدية التحويلية على قواعد اللغة العربية كما قدمها ميشال زكريا في كتابه "الجملة البسيطة"، وزكريا من أوائل اللسانيين العرب الذين استثمروا معطيات النظرية التوليدية التحويلية ومحاولة الاستفادة منها في دراسة الجملة العربية، وزكريا يؤكد ضرورة إعادة النظر في طرائق التحليل اللغوي العربي مستعيناً بمعطيات الألسنية التوليدية التحويلية ومدى مقدرة هذه الألسنية على إيجاد الطرق المناسبة للتحليل اللغوي ووصفها الوصف الواضح وتحليلها التحليل العلمي الدقيق؛ لوضعها في متناول كل من يرغب في دراستها على حد قوله[1].

زكريا بوصفه مهتماً بالألسنية التوليدية التحويلية سعى جاهداً إلى عرض القواعد التوليدية التحويلية، والتمثيل لها من قواعد اللغة العربية وظواهرها المتعددة، وتتركز الدراسة التطبيقية للمستوى التركيبي عند زكريا على الجملة بوصفها الوحدة الأساسية التي تقوم عليها القواعد من جهة[2]، والتحليل الألسني من جهة أخرى على اعتبار أن النظرية التوليدية التحويلية تنظر إلى الجملة على أنها وحدة التحليل اللساني في أي لغة.

زكريا حاول رصد أهم المحاور والأشكال والرؤى التوليدية التحويلية التي يمكن تطبيقها على اللغة العربية، التي تحوي قضايا وظواهر لغوية زاخرة نجدها في

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص5.

(2) المرجع نفسه، ص23.

كتب التراث اللغوي من مؤلفات لغوية متخصصة في هذا الجانب، أو مؤلفات شكلت المادة الخام لقواعد هذه اللغة من شعر ونثر.

ويشير زكريا في هذا الجانب إلى التطور الذي أصاب اللغة العربية مع مرور الزمن، باعتبار أن هذه اللغة لغة حيّة ولغة مشتركة بين أبنائها، فهي التي حملت الحضارة العربية والتراث العربي، وهو في دراسته لها ينطلق من مصدرين مختلفين وأساسيين هما:[1].

1- نتاج النحويين العرب الذي نستطيع من خلاله توضيح المعطيات اللغوية وتفسيرها، وهذا النتاج يشكل في مجمله جلَّ قضايا اللغة العربية التي تعترض الباحثين والدارسين في مجال الدراسة الألسنية.

2- الحدس اللغوي، وزكريا يعتمد على الحدس اللغوي عند ابن اللغة العربية بوصفه عنصراً مهماً من عناصر الجملة اللغوية، فهو يعتمد على حدس الأشخاص الذين يمتلكون كفاية لغوية عربية جيدة اكتسبوها من خلال ممارستهم للتأليف اللغوي، ومما تجدر ملاحظته في هذا الجانب أن زكريا يفضل الحدس اللغوي في الدراسة اللغوية على مؤلفات العرب المكتوبة، بل هو أفضل منها على حد قوله[2]، ولعل هذا الموقف تُفسره المكانة المتميزة التي يحتلها الحدس اللغوي في النظرية التوليدية التحويلية، "فهو الحاكم القاطع لقبول الجملة"[3]، وهو في نظر زكريا الوسيلة البديهية في الحكم على أصولية الجملة[4].

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص20.

(2) المرجع نفسه، ص20.

(3)تشومسكي، نعوم، البنى النحوية، ترجمة يؤيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 1987، ص17.

(4) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص97.

ويميز زكريا بين نوعين من القواعد هما: القواعد العلمية والقواعد التربوية، ويعطي القواعد العلمية الأولوية في الدراسة اللسانية التي تتناول دراسة اللغة العربية في ضوء الألسنية التوليدية التحويلية فالقواعد العلمية هي "قواعد تتناول كفاية المتكلم اللغوية"[1]، أما القواعد التربوية "فهي التي تهدف إلى تقديم التعريفات والرسوم التخطيطية والتمارين، والقواعد الكلامية هي التي تساعد المتعلم على اكتساب المعرفة باللغة وبطرق استعمالها"[2]

وزكريا إذ يميز بين القواعد العلمية، والقواعد التربوية، فهو ينطلق من أساس مهم قامت عليه النظرية التوليدية التحويلية في التمييز بين الكفاية اللغوية "المقدرة اللغوية" والأداء اللغوي، فالقواعد العلمية هي قواعد كامنة ضمن كفاية المتعلم اللغوية، وهي التي تقود العملية اللغوية، وهذا ما يميز هذه القواعد عن القواعد التربوية التي ترمي إلى تطوير معرفة المتكلم بقواعد اللغة من خلال الممارسة للعملية اللغوية والتعرض لكم هائل من الأداءات اللغوية التي تساعد في تقوية القواعد الكامنة وتطويرها عند ابن اللغة التي تقوم بدورها في تحضير المواد اللغوية لتعليم اللغة العربية، يقول زكريا: "إن قواعدنا التوليدية والتحويلية قواعد علمية تصف قضايا اللغة العربية وتفسرها وتفيدنا بما يجب أن ندركه عن اللغة من حيث هي تنظيم قواعد قائم بذاته فهي ليست بالتالي قواعد تربوية إنما بالإمكان أن نلجأ إليها ونستعين بها في عملية تحضير المواد التربوية لتعليم اللغة العربية"[3].

ومما لا بد أن نشير إليه حول تعاطي ميشال زكريا مع معطيات النظرية التوليدية التحويلية وتطبيقها على اللغة العربية، أن زكريا وعلى الرغم من إسهامه الواضح في هذا المجال متمثلاً في كتابه "الجملة البسيطة" ومقدار الجهد الذي بذله في تقديم النحو العربي في ضوء الألسنية الحديثة، نجده يتوقف عند هذه المسألة،

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص21.

(2) المرجع نفسه، ص21.

(3) المرجع نفسه، ص21.

فالنظرية التوليدية التحويلية هي غربية الأصول وضعت في أساسها للغة غربية وهي الإنجليزية،وهي لغة تختلف عن اللغة العربية في تكوينها وخصائصها وإن كانت اللغات جميعها تشترك في كثير من الخصائص والظواهر النحوية[1]، وهذا من المحاذير التي قد نجدها عند زكريا فيما يتعلق بتطبيق معطيات التوليدية التحويلية على النحو العربي، وهو أمر لا نلمسه في كتابه "الجملة البسيطة"، فقد توسع في الإفادة من هذه المعطيات واستثمارها في الدراسة اللسانية الحديثة.

كتاب "الجملة البسيطة" هو المحاولة الرئيسة لميشال زكريا في مجال تطبيق معطيات النظرية التوليدية التحويلية على النحو العربي، وفيه يقدم زكريا تصوره لهذا الطرح منطلقاً من الوحدة الأساس في التركيب اللغوي وهي "الجملة"؛ لذلك لا غرابة أن يحمل كتابه اسم الجملة البسيطة، وهو بذلك متأثر بالمنهج التوليدي التحويلي الذي يولي الجملة أهمية أساسية في التحليل الألسني، وبالنظر إلى الجهود التي بذلها زكريا في هذا الكتاب نستطيع أن نقسم هذه الجهود إلى محاور عامة انطلق زكريا من خلالها لدراسة الجملة العربية في ضوء المنهج التوليدي التحويلي، وهذه المحاور التي سنتناولها بالدراسة والتحليل هي:

1- الجملة أساس التحليل الألسني وقضية الرتبة.

2- مؤلفات الجملة عند ميشال زكريا.

3- الجملة والنعت.

1.3.2 الجملة أساس التحليل الألسني وقضية الرتبة.

يستهل ميشال حديثه في كتابه الجملة البسيطة بعرض مفصل للخطوط العامة والرئيسة للمنهج التوليدي التحويلي إلى جانب عرضه للقواعد التوليدية التحويلية، ويمثل عليها من معطيات اللغة العربية، ويتناول بنية القواعد التوليدية التحويلية التي تشتمل

(1) زكريا، الألسنية، المبادئ والأعلام، ص265.

على ثلاثة أقسام وهي: المكوِّن الفونولوجي، والمكوِّن التركيبي، والمكوِّن الدلالي[1]، ويقدم تعريفاً لكل مكوِّن من هذه المكونات ويبرز عمل هذه المكونات في اللغة، فالمكون التركيبي يولِّد مجموعة غير متناهية من البنى التركيبية التي تحتوي على تمثيل دلالي يُستمد من المكون الدلالي، وعلى تمثيل صوتي أو فونولوجي يستمد من المكوِّن الفونولوجي، فالمكوِّن التركيبي عند زكريا هو جسر يربط بين المعنى والصوت[2]، ويُمثل زكريا التداخل بين هذه المستويات بالمخطط الآتي:[3].

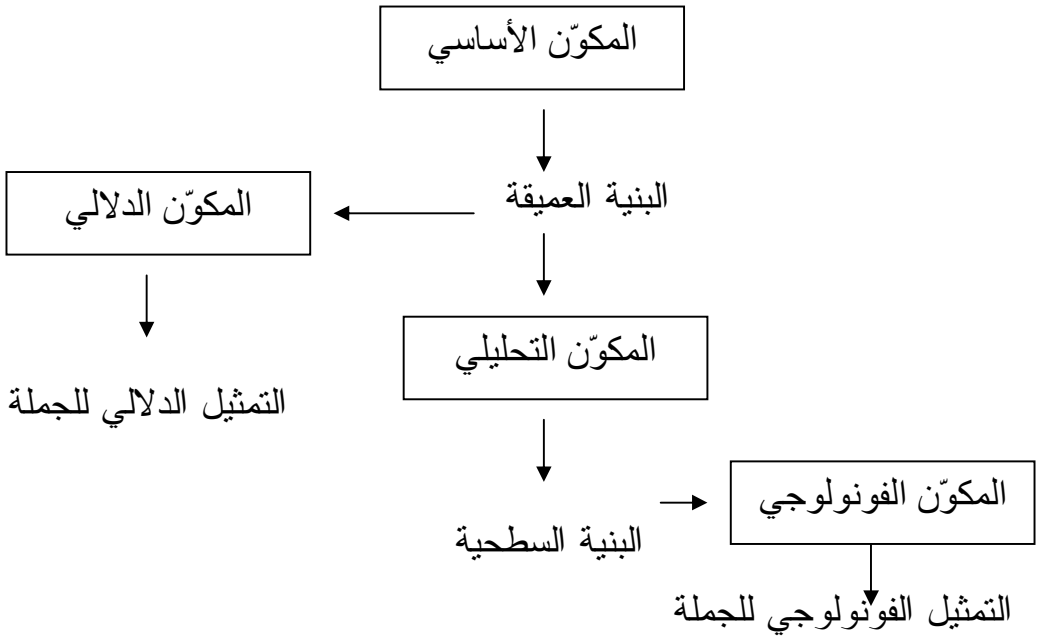

تشكل قاعدة إعادة الكتابة الأساس الذي انطلق منه ميشال زكريا في الدراسة التركيبية التطبيقية للغة العربية في ضوء القواعد التوليدية التحويلية، وقاعدة إعادة الكتابة هي: "القاعدة التي تُعيد كتابة رمز يُشير إلى عنصر معين من عناصر الكلام برمز آخر، أو بعدة رموز أخرى، ومن السهل فهم هذا النوع من القواعد"[4]، ويمثل زكريا على هذه القاعدة بجملة متكونة من فعل، وفاعل، ومفعول به:

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص15.

(2) المرجع نفسه، ص17.

(3) المرجع نفسه، ص17.

(4) المرجع نفسه، ص13.

ركن فعلي ⟵ فعل + ركن اسمي + ركن اسمي[1].
(فاعل) (مفعول به)

حيث يتم إعادة كتابة الجملة من خلال هذه القاعدة باستبدال كل رمز بالعناصر الواقعة إلى اليسار بالتدرج إلى أن يتم اشتقاق الجملة، وهذا ما نسميه عند النحاة بالتقديم والتأخير، فزكريا هنا يؤكد المكانة المتميزة التي تتخذها قاعدة كتابة الجملة في القواعد التوليدية والتحويلية من حيث إنها القاعدة الأساس التي تنطلق منها بقية القواعد في البنية العميقة، فالجملة هي الوحدة الأساس في التحليل الألسني، وبالتالي هي الوحدة الأساس التي تقوم عليها القواعد التوليدية والتحويلية في آن واحد، ولنأخذ المثال الآتي الذي يورده زكريا لتوضيح الكلام السابق:

1- أكلَ الرجلُ التفاحةَ.
2- الرجلُ أكلَ التفاحةَ.
3- التفاحةَ أكلها الرجلُ.[2]

فالجملة الأولى هي الجملة الموجودة في مستوى البنية العميقة لدى المتكلم، في حين أن الجملتين الثانية والثالثة جملتان متحولتان عن الجملة الأولى التي تشكل مستوى البنية العميقة كما أشرنا سابقاً، فقاعدة إعادة الكتابة تتيح لنا إجراء تحويلات متعددة تقدم لنا جملاً جديدة، وتسمح لنا بأن نعيد تركيب عناصر الجملة من جديد.

ويؤسس زكريا لقضية الرتبة في الجملة العربية أو كما يسميها هو بـــ "ترتيب العناصر اللغوية في البنية العميقة" بتعريف الجملة عند النحاة العرب، ويلخص زكريا نظرتهم إلى الجملة بالتعريف الآتي: "الجملة هي اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها"[3]، وهذا التعريف كما يشير زكريا هو التعريف الذي أورده النحاة العرب كابن

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص13.
(2) المرجع نفسه، ص14.
(3) المرجع نفسه، ص23.

هشام الأنصاري في كتابه "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك"[1]، وهو التعريف الذي نجده عند معظم الألسنيين المعاصرين وعلى رأسهم اللساني هاريس[2]، والجملة بناءً على التعريف السابق يمثلها زكريا بالرمز "#" على النحو الآتي:

جملة ←#--------#[3].

حيث يشير الرمز "#" إلى حدود الجملة.

وفي سياق غير منفصل عما سبق يتعرض زكريا إلى أقسام الجملة عند النحاة العرب، وهي عندهم فعلية واسمية، ومكونة من مسند ومسند إليه، فالعناصر المؤلِّفة للجملة هي التي تحدد نوعها، ويمثل زكريا لهاتين الجملتين بواسطة القواعد الآتية:

جملة اسمية ← # اسم --------#.

جملة فعلية ← #فعل---------#.

ويعرض زكريا للعلاقة الوثيقة بين الجملتين الفعلية والاسمية من خلال طرحه لمثالين لغويين هما:"

1. أكلَ الرجلُ التفاحةَ (جملة فعلية).
2. الرجلُ أكلَ التفاحةَ (جملة اسمية) [4].

وهو في هذا الجانب يريد أن يؤسس لفكرة الجملة الأصل في البنية العميقة وأيهما أحق بذلك، وهو بهذا أراد اعتماد الاحتمال الملائم في دراسة ترتيب العناصر اللغوية في البنية العميقة التي تعرف بالرتبة اللغوية، ويخلُص زكريا إلى أن الجملة قسم واحد وهو الجملة الفعلية من منطلق أن الجملتين الفعلية والاسمية مرتبطتان فيما بينهما بصورة وثيقة وتجمع بينهما علاقة تحويلية، فترتدان بالتالي إلى بنية واحدة في

---

(1)زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، 24.

(2) المرجع نفسه، ص 23-24، وانظر الهامش رقم (3) من الصفحة الرابعة والعشرين من كتاب زكريا (الجملة البسيطة).

(3) المرجع نفسه، ص24.

(4) المرجع نفسه، ص25.

المستوى العمقي[1]، وهي بحسب زكريا الجملة الفعلية، وزكريا بناءً على هذا الطرح يخالف رؤية داود عبده في هذا الجانب، فعبدة كما أشرنا سابقاً يميل الى أن تكون الجملة الأسمية هي الجملة الأصل لا الفعلية.

وتحت عنوان "ترتيب العناصر اللغوية في البنية العميقة" يعالج ميشال زكريا قضية الرتبة اللغوية، وهو في هذا المجال يرفض ما يذهب إليه بعض الباحثين والدارسين للغة العربية بقولهم إن عناصر الجملة العربية من فعل، وفاعل، ومفعول به وترتيبها ترتيب حرٌ بحجة أن الحركات الإعرابية التي تظهر في أواخر الكلمات هي التي تميز بين الكلمات من حيث موقعها الإعرابي[2]، بمعنى أن الحركات الإعرابية هي التي تحدد الوظائف النحوية لعناصر الجملة.

وزكريا ينطلق في رده على افتراض ما سمي بالترتيب الحر من منطلق الحكم على أصولية الجملة، وهو بهذا يقر ضرورة وجود ضوابط تسهم في الحد من استخدام جمل لا يقبلها المنطق اللغوي السليم، وبالتالي فهي جمل غير متوافرة في الواقع اللغوي، فزكريا يرفض ترتيباً لغوياً كالآتي:

(فا) (مف) (ف)

1- الرجلُ التفاحةَ أكلَ (فاعل+مفعول به+ فعل).

2- التفاحةَ الرجلُ أكلَ (مفعول به+ فاعل+ فعل) [3].

(مف) (فا) (ف)

فالجملتان السابقتان جملتان غير أصوليتين ومشكوك فيهما، وفي ورودهما في اللغة العربية نظراً؛ لتعارضهما مع المستوى الصوابيّ في اللغة.

ويرى زكريا أن النمط الأساسي في البنية العميقة للجملة في اللغة العربية هو النمط المكون من:

---

(1)زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص25.

(2) المرجع نفسه، ص26.

(3) المرجع نفسه، ص26.

* ف + فا + مف

(فعل)+ (فاعل) + (مفعول به)

وهو الترتيب الأساس في البنية العميقة[1]؛ لأنه ترتيب لا يخضع لبعض الضوابط التي قد يقتضيها النمط الآخر بصورة الزامية، وزكريا قبل أن يعتمد هذا الطرح سعى إلى تقديم الأدلة والحجج والبراهين على صحة ما ذهب إليه، منطلقاً من الفكرة الأساس في المنهج التوليدي القائلة بعدم ضرورة توافق القضايا الظاهرة في البنية السطحية بصورة إلزامية مع بنيتها العميقة؛ لذلك نجد زكريا يبرهن على صحة هذا النمط الذي يفترضه (ف+ فا+ مف) بأدلة وبراهين كان أبرزها على الإطلاق ومن خلال تتبعها أن الأنماط الأخرى تحتاج إلى ضوابط وتحويلات إضافية[2]، وهو ما لا يحتاجه النمط اللغوي الذي أشار إليه زكريا (ف+ فاعل+ مف) كجملة: (أكل الرجل التفاحة)، فهي جملة لا تحتاج إلى ضوابط لقبولها، وبالتالي فهي لا تحتاج إلى قواعد إضافية لتكوينها.

وزكريا إذ يعتمد هذا النمط ويرفض الأنماط الأخرى التي تحتاج إلى ضوابط لقبولها يكشف لنا عن مدى التزامه بقاعدة إعادة الكتابة التي تسعى إلى الاقتصاد في التحليل اللغوي التي تتصف بأنها تحتوي على أقل عدد من التحويلات، وبالتالي تكون قادرة على تعداد القضايا اللغوية وتفسيرها بصورة مبسطة[3]، فزكريا في اتخاذه للنمط (ف+ فا+ مف) كان يهدف إلى أمرين هما:

1- الاقتصاد في الدراسة اللغوية من خلال تطبيق قاعدة إعادة الكتابة التي تحوي أقل عدد من التحويلات، وبالتالي تفسير الظواهر اللغوية بصورة مبسطة.

2- الابتعاد بالدراسة اللسانية عن الصعوبات والتعقيدات التي تفرضها الأنماط اللغوية الأخرى، التي تتطلب اللجوء إلى قواعد، وضوابط إضافية التي

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص28.

(2) المرجع نفسه، ص28-40.

(3) المرجع نفسه، ص33.

بدورها تؤدي بالدراسة الألسنية إلى التعقيد، وهذا يتنافى بدوره مع المبدأ السابق –أعني مبدأ الاقتصاد–.

ولنأكد على صحة ما سبق، نورد رأي ميشال زكريا في النمط اللغوي الآتي:

جملة #اسم + فعل + اسم-----#[1].

فاعل مفعول به

وهذا النمط هو نمط الجملة الاسمية ينتج عنه الجمل الآتية:

1- الرجلُ أكلَ التفاحةَ.

2- الرجلان أكلَ التفاحةَ.

3- الرجال أكلَ التفاحةَ[2].

وبالنظر إلى الجمل السابقة نجد أن الجملتين الثانية والثالثة جمل غير أصولية، فلا يوجد لها أي بنية صحيحة تعادلها في المستوى السطحي، وهذا ما يفرض علينا اللجوء إلى ضوابط وقواعد تساهم في نقل وتحويل مثل هذا النوع من الجمل إلى المستوى الصوابيّ، وهنا نلجأ إلى الضمير الذي ندخله بصورة إلزامية لتصير الجملتان على النحو الآتي:

1. الرجلان أكلا التفاحةَ.

2. الرجالُ أكلوا التفاحةَ.

إن إضافة الضمير إلى الفعل بصورة إلزامية أمرٌ أقرَّ زكريا برفضه، فهو يتساءل عن إيجاد تبرير لإدخال هذه الضمائر بصورة إلزامية على مثل هذا النوع من الجمل، وهو إذ يؤكد رفضه لمثل هذا التحويل باعتبار أن هذه الإضافة مكلفة جداً وتتنافى مع مبدأ الاقتصاد اللغوي، وإيجاد القواعد الأكثر تبسيطاً[3]، لذلك زكريا يميل

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص30.

(2) المرجع نفسه، ص31.

(3) المرجع نفسه، ص31.

إلى النمط (ف+ فا+ مف)، وهو الرأي الأقرب للصواب؛ لانسجامه مع المبادئ العامة للألسنية التوليدية التحويلية.

وأرى أن زكريا إذ يعتمد نمط (ف+ فا+ مف) في ترتيب البنية العميقة للجملة في اللغة العربية، فهو يستند على حجج وبراهين من داخل اللغة العربية وتعتبر من أساسياتها وهي:

1- ظاهرة المطابقة بين الفعل والفاعل، فالفعل يلازم حالة الإفراد دائماً مع الفاعل في الجنس والعدد أما إذا تقدّم الفاعل على الفعل، فإن الفعل يطابق الفاعل جنساً وعدداً.

2- الإضمار أو الضمير الذي يعود إلى الاسم المنقول إلى بداية الجملة المحوَّلة، ومع أن زكريا رفض مثل هذا التحويل، إلا أننا نجد له جذوراً في اللغة العربية، فالنحاة يذكرون أن مفسِّر الضمير يجب أن يتقدمه إما لفظاً وإما رتبة[1]، وهذا الطرح نجده في معالجة الفاسي الفهري لقضية الرتبة في الجملة العربية، إذ يتفق مع ميشال زكريا في اعتماد ترتيب العناصر اللغوية في البنية العميقة والمكونة من نمط (ف+ فا+ مف) [2].

وفي حديثه عن اعتبار الضمائر المتصلة بالفعل علامات إتباع نجد زكريا يؤكد أن هذه العلامات تغير المعطيات المتعلقة بالجملة، وزكريا في هذا الجانب يعتبر الضمائر المتصلة بالفعل علامات إتباع، وهي إشارات تظهر في آخر الفعل[3]، وأياً تكن التسمية فهذا لا يؤثر في التحليل اللغوي للجملة العربية على حد قول زكريا،

---

(1) انظر: الاستراباذي، رضي الدين، شرح الرضي على الكافية، ج2، تحقيق وتعليق يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق، طهران، ص5. وانظر أيضاً: الأنصاري، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ص175.

(2) الفهري: اللسانيات واللغة العربية، ص106-107.

(3) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص33.

والتحويل عند زكريا انطلاقاً من اعتباره الضمائر علامات إتباع يقسم إلى قسمين هما:

1- تحويل إبدال موقع الاسم ويمثل له بالقاعدة الآتية

فعل - فاعل⟵ 2 - 1

(1) - (2) (فا) – (ف) [1].

وهذا النوع من التحويل يتطلب تحويلاً آخر بصورة إلزامية على القاعدة السابقة، ويقوم هذا التحويل بنقل علامة العدد العائدة للاسم لينتج ما يسمى بتحويل الإتباع وقاعدته هي:

فاعل - فعل

[+عدد]

1 2 ⟵ 1 - 2[2].

فنحن نلجأ إلى التحويل الثاني (تحويل الإتباع) لنقوم بنقل علامة الاسم (الفاعل) إلى الفعل في حالة كون الفاعل مثنى أو جمع، فيتم هذا التحويل من خلال إلحاق العلامة المناسبة للفعل التي تعادل العدد في المثنى والجمع، ولتوضيح هذا النوع نستوقف المثال الآتي: [3]

1- أكلَ الرجلُ التفاحةَ (البنية العميقة)

⟵ المكونة من نمط (ف+ فا+ مف) وهو النمط الأساس عند زكريا

2- الرجلُ أكلَ التفاحةَ (تحويل إبدال موقع الاسم)

⟵ المكونة من نمط (فا + ف +مف)

(اسم) حيث نقل الاسم (الفاعل في الأصل) إلى بداية الجملة.

3- الرجلان أكلا التفاحةَ (تحويل إتباع)

---

(1)زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص33.

(2) المرجع نفسه، ص34.

(3) المرجع نفسه، ص 34-35.

بإلحاق علامة المثنى للاسم والفعل.

4- الرجالُ أكلوا التفاحةَ (تحويل إتباع)

بإلحاق علامة الجمع للاسم والفعل.

وينتهج زكريا منهجاً تطبيقياً تجريبياً في برهنته على صحة ما ذهب إليه في القول بأن ترتيب العناصر اللغوية في البنية العميقة للجملة هو (ف+ فا+ مف)، وهو الترتيب الأصلي عنده من خلال رصد ملاحظاته حول النتائج التي قد نحصل عليها حين نجري تحويل الإتباع قبل تحويل إبدال موقع الاسم في نمط (فا+ ف+ مف)، حيث نتوصل من خلال إجراء هذه العملية على النمط السابق إلى جملة غير أصولية وهذا ما لا ترتضيه القواعد التوليدية التي تهدف إلى الحصول على جمل أصولية سليمة، ولتوضيح الأمر نتوقف عند المثال الآتي الذي يورده زكريا في هذا الجانب:

1- الرجل أكل التفاحة (البنية العميقة) [1].

المكونة من نمط (فا+ ف+ مف)

(اسم)

2- الرجلان أكلا التفاحة (تحويل إتباع)

بإلحاق علامة المثنى للاسم والفعل.

3- أكلا الرجلان التفاحة (تحويل إبدال موقع الاسم)

المكونة من نمط (ف+ فا+ مف).

فالجملة الأخيرة بحسب زكريا، جملة غير أصولية ولا تطابق قواعد اللغة العربية فيما يخص قاعدة المطابقة التي تنص على أن الفعل يلزم حالة الإفراد دائماً مع الفاعل الظاهر سواء أكان هذا الفاعل مفرداً أم مثنى أم جمعاً، وهذا ما أشار إليه معظم نحاة العربية في متون مؤلفاتهم النحوية، التي أبرزت العلاقة بين المسند والمسند إليه (الفعل والفاعل)، وهي علاقة تتمثل في المطابقة بين الجنس والعدد

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص36.

فقط[1]، لذلك نحكم على مثل هذه الجملة بعدم الأصولية، وتعليقاً على الجملة السابقة (أكلا الرجلان التفاحة) نجد أنَّ اللغة العربية تسمح بهذا النمط اللغوي بما يسمى بـــــ " لغة أكلوني البراغيث "، وقد سمَّاها ابن مالك لغة " يتعاقبون فيكم ملائكة "، و هو كلام طائفة مخصوصة منهم، وهم طيء، وقيل هم أزد شنوءة، وقيل بنو الحارث بن كعب [2].

2- تحويل نقل الاسم إلى موقع الابتداء

بعد أن عرض زكريا للنوع الأول من أنواع التحويل ينتقل إلى عرض النوع الثاني من أنواع نقل الاسم، فنقل الاسم لا يقتصر على نقله في موقع الفاعل بل يمكن إجراؤه على أنماط أخرى يعرض لها زكريا، وهي:

أ- الاسم في موقع المفعول به، حيث يُنقل المفعول به إلى موقع الابتداء مع إجراء التحويلات المناسبة، والتوضيح من خلال المثال الآتي:

أكل الرجل التفاحة التفاحة أكل الرجل التفاحة أكلها الرجل

(بنية عميقة) (تحويل نقل الاسم إلى موقع الابتداء +ضمير) (بنية سطحية) [3].

---

(1) انظر: المبرد، أبو العباس محمَّد بن يزيد، المقتضب، ج2، تحقيق محمَّد عبد الخالق عضيمه، الناشر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية لجنة إحياء التراث الاسلامي، القاهرة، مصر، 1994، ص337، وانظر أيضاً: السيوطي، عبد الرحمن، الفرائد الجديدة، ج2، تحقيق الشيخ عبد الكريم المدرس، مطبعة الرشاد، بغداد، 1977، ص811. وانظر أيضاً: ابن يعيش، شرح المفصل، ج5، ص94-95. وانظر أيضاً: ابن عقيل، عبدالله بن عبدالرحمن، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج1، تحقيق محمَّد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط14، 1964، ص476. وانظر أيضاً: الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية، ج4، ص479. وانظر أيضاً: الأشموني، علي بن محمَّد، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك،ج2، تحقيق حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص51.

(2) ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج1، ص473.

(3) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص37.

ونلاحظ أن هذا النوع من النقل يستوجب إلحاق الضمير بالفعل يعود على الاسم المنقول (مفعول به) التفاحة.

ب- الاسم في موقع الجر بحرف الجر، حيث يتم في هذا النمط نقل الاسم الواقع بعد حرف الجر إلى موقع الابتداء مع ضرورة إلحاق الضمير بحرف الجر للدلالة على الموقع الذي كان يحتله هذا الاسم في البنية العميقة للجملة، والتوضيح من خلال المثال الآتي:

كتب يوسف رسالة إلى الطبيب **الطبيب كتب يوسف رسالة إلى الطبيب**

(بنية عميقة) (تحويل نقل الاسم إلى موقع الابتداء +ضمير)

الطبيب كتب يوسف رسالة إليه

(بنية سطحية)[1].

ج- الاسم التابع لصلة الموصول، حيث يتم هذا النمط من التحويل بنقل الاسم التابع لصلة الموصول إلى موقع الابتداء ويترك هذا التحويل في الموقع الذي كان يحتله الاسم ضميراً عائداً إليه، والتوضيح في المثال الآتي:

مات الرجل الذي أسس مجلة الهلال

(بنية عميقة)

مجلة الهلال مات الرجل –أسس الرجل مجلة الهلال

(تحويل نقل الاسم إلى موقع الابتداء +ضمير)

مجلة الهلال مات الرجل الذي أسسها

(بنية سطحية)[2].

ويشترط زكريا وجود ضوابط تتحكم في الاسم المراد نقله إلى موقع الابتداء، وهذه المعايير أو الضوابط نجملها فيما يلي:

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص37-38.

(2) المرجع نفسه، ص38.

1- أن يكون الاسم المراد نقله إلى موقع الابتداء معرفة، فلا يمكن إجراء عملية النقل إذا كان الاسم نكرة، وهذا يتطلب تعريفه، وذلك بواسطة إضافة عنصر تحويلي يمثله زكريا على هذا النحو (+ مُعرّف)، ويتطرق زكريا في هذا الجانب إلى وجود أسماء تشتمل في ذاتها على التعريف، وإن بدت لنا نكرة، وهذا ما يسميه زكريا بالسمة الذاتية للأسماء في كونها تحتوي على هذه السمة التي تجعل منها معرفة، ومن هذه الأسماء (اسم الجنس واسم التصغير)، فهي تحمل هذه الصفة والتوضيح من خلال المثاليين التاليين:

1. لا يحق ظلم الإنسان ← - الإنسان لا يحق ظلمه. (+ ض)

هذّب كُتيِّبٌ أخلاقي ← - كُتيِّبٌ هذّب أخلاقي. (- ضمير)

(بنية عميقة) (بنية سطحية/ بعد إجراء نقل موقع الاسم (الإنسان، كُتيب) وإضافة الضمير[1].

2- المعيار الثاني يتعلق بنقل الاسم من موقع الجر بحرف الجر إلى موقع الابتداء فيشترط زكريا في هذا النوع من التحويل أن يكون الركن المكوّن من الجار والمجرور مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالجار والمجرور؛ ليتسنى لنا إجراء عملية التحويل، ولتوضيح هذا المعيار نأخذ المثال الآتي الذي يقدمه زكريا في معرض حديثه عن هذا المعيار وتوضيحه كالآتي:

سهر الرجل إلى الصباح

(بنية عميقة)

الصباح سهر الرجل إلى الصباح

(تحويل نقل الاسم إلى موقع الابتداء +ضمير)

الصباح سهر الرجل إليه

(بنية سطحية) [2].

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص40.

(2) المرجع نفسه، ص40.

فالجار والمجرور في الجملة السابقة يبتعدان عن الفعل على خلاف جملة (الطبيب كتب يوسف الرسالة إليه)، إذ يرتبط الجار والمجرور بالفعل بصورة وثيقة.

وخلاصة القول في هذا الجانب أن زكريا ومن خلال عرضه لأنماط التحويل الممكنة على نقل الاسم إلى موقع الابتداء، يسلك في هذا السبيل طريقتين تتسمان بالتتابع والترتيب ويمكن أن نمثلهما بالمخطط الآتي:

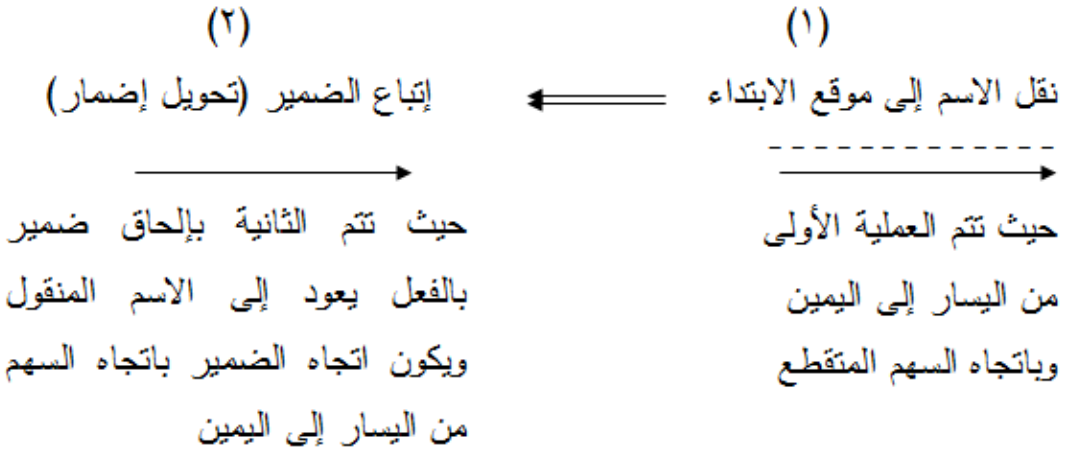

وقبل أن ننتقل إلى المبحث التالي، لا بد لنا من التوقف عند موقف زكريا من الحركات الإعرابية في تحديد ترتيب عناصر الجملة في البنية العميقة، فزكريا يرفض أن يكون لها دور في ترتيب هذه العناصر، وهو إذ يقول بهذا الرأي يستند إلى سببين هما:

1- أن هذه العلامات تنص عليها القواعد التي أجريت في مرحلة متأخرة أي مرحلة البنية السطحية للجملة.

2- أننا نحدد وظيفة المؤلِّف الكلامي في الجملة وفقاً لموقعه في البنية العميقة وليس وفقاً للعلامة التي تلحق به[1]، وهذا ما يفسر عناية زكريا بالبنية العميقة على حساب البنية السطحية.

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص19.

وموقف زكريا هذا من الحركات الإعرابية لم يجد رواجاً عند بعض اللسانيين العرب الذين تناولوا النظرية التوليدية التحويلية وطبقوا معطياتها على النحو العربي وعلى رأسهم مازن الوعر، الذي يرى خلاف ما يراه زكريا، فهو يرى "أن العلامات الإعرابية تسهم في وصف التركيب العميق لبنية الجملة العربية وهو برأيه هذا ينطلق من إيمانه بأن الظاهرة الإعرابية في العربية إحدى العوامل الدلالية" [1]، على اعتبار أن مازن الوعر قام بوصف التراكيب العربية دلالياً في ضوء المنهج التوليدي التحويلي.

2.3.2 مؤلفات الجملة

تتألف الجملة عند زكريا من ركنين أساسيين هما: ركن الإسناد وركن التكملة وعلى النحو الآتي:

جملة ← ركن إسناد + ركن تكملة[2].

أما ركن الإسناد فهو بدوره يتكون من الفعل، الفاعل، المفعول به، والجار والمجرور وهي أركان ذات صلة وثيقة بالفعل ومرتبطة به، ويُمثّل هذا الركن على النحو الآتي:

ركن إسناد ← ركن فعلي + ركن اسمي + ركن حرفي

(ف) (فا) (جار ومجرور) [3].

---

(1) الوعر، نحو نظرية لسانية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، ص94.

(2) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص45.

(3) المرجع نفسه، ص45.

ويمثل زكريا لهذا الركن بالمشجر الآتي:

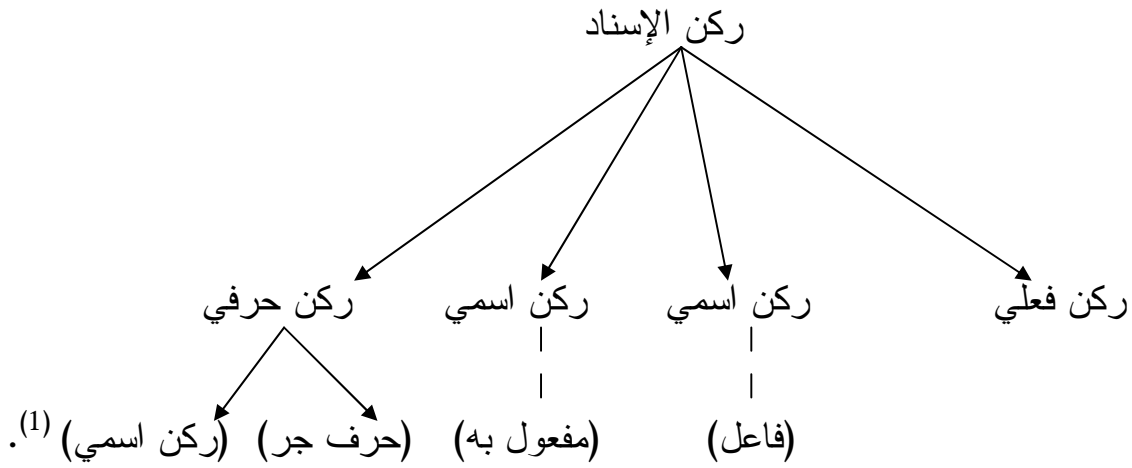

[1].

ويستدل زكريا على اعتماد قاعدة ركن الإسناد على هذا النحو على مجموعة من القضايا وهي: [2]

1- ترتيب عناصر الجملة في البنية العميقة فقد أشرنا سابقاً أن زكريا اعتمد نمط (ف+فا+مف) في ترتيب العناصر اللغوية في البنية العميقة للغة العربية، وهو الترتيب المقبول، ويسهل اعتماده في الدراسة اللغوية على خلاف نمط (فا+ف+مف) الذي يصعب اعتماده بالنسبة إلى اللغة العربية نظراً للتحويلات الناتجة عن هذا النمط، التي تخالف الأصول اللغوية في الجملة العربية كما ذكرنا آنفاً.

2- العلاقات القائمة بين الفعل والفاعل، وزكريا هنا يسعى إلى الجمع بين الفعل والفاعل ضمن ركن واحد من منطلق أن هنالك علاقات وثيقة قائمة بينهما من مثل أن الفعل يتبع فاعله علامة التأنيث نحو: (جاءت المعلمة) وهو ما يسميه زكريا بالإتباع، وهي ظاهرة غير منتظمة عنده في حال تمت المباعدة بين العناصر الكلامية، وخصوصاً بين الفعل والفاعل نحو:

---

(1)زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص45.

(2)زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، انظر الصفحات 45-53.

ما جاء إلا ليلى ←

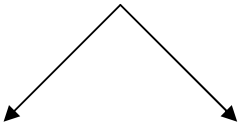

(فعل) ركن اسمي

(مذكر) (مؤنث) [1].

جاء ليلى

3- التقليد اللغوي العربي، وزكريا يعتمد على بعض الظواهر اللغوية في النحو العربي والتي يرى أنها تقليدية وموجودة في التراث النحوي، وخصوصاً فيما يتعلق بالفعل والفاعل، فالتقليد اللغوي يشير إلى أن الفعل والفاعل يحتلان موقعاً نحوياً معيناً في الجملة المكتملة والقائمة ضمن جملة أخرى، وزكريا إذ يعتمد هذا الطرح ينطلق من وجود مثل هذا النمط اللغوي عند الكوفيين فالفعل والفاعل عندهم يعملان معاً بالمفعول به، وهذا ما بينه الأنباري في كتابه "الإنصاف في مسائل الخلاف"[2]، فقد احتج الكوفيون على صحة ما يقولون بسبعة أوجه من شواهد اللغة واستعمالاتها، وهي مسألة خلافية اشتهرت بـــ "العامل الناصب للمفعول به"، وهو عند البصريين الفعل، يقول ابن عصفور: "وكذلك اختلفوا في الناصب للمفعول به فمنهم من ذهب إلى أنه انتصب بالفاعل وذلك فاسد... فإنه لو كان منصوباً به لم يجز تقديمه عليه... ومنهم من ذهب إلى أنه انتصب بالفعل والفاعل وذلك فاسد بدليل أنه لو كان كذلك لوجب أن يكون حكمه حكماً واحداً في جميع المواضع... ومنهم من ذهب إلى أن العامل فيه الفعل أو ما جرى مجراه وهو الصحيح"[3]، فينسب القول الثاني

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص48.

(2) الأنباري، أبو بركات، الإنصاف في مسائل الخلاف،تحقيق جودة مبروك محمَّد، راجعه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، ص 72.

(3) ابن عصفور، الأشبيلي، شرح جمل الزجاجي، ج1، تحقيق صاحب أبو جناح، جامعة الموصل 1980، ص166.

للكوفيين والقول الثالث للبصريين وهو الرأي السديد وبه أخذ أغلب جمهور النحاة، وهنا يطفو على السطح السؤال الآتي: لماذا لجأ ميشال زكريا إلى آراء المدرسة الكوفية في هذا الجانب؟ مع العلم أن آراءهم اللغوية ليست رائجة كما هي آراء المدرسة البصرية التي بُني عليها النحو العربي، لعلّ هذا السؤال يجيب عليه زكريا في كتابه "الألسنية المبادئ والأعلام"، فزكريا يتمثل الفكر الذي جاءت به الألسنية التوليدية التحويلية في أنها تعتمد في الدراسة اللسانية على عديد من الأدلة والبراهين، وتأخذ بها في البرهنة على قضايا اللغة"[1]، وهو موقف تبناه ميشال زكريا، ولذلك نجده يتوسع في الإفادة من منجزات وآراء النحو الكوفي في البرهنة على القضايا اللغوية التي تنادي بها مؤلفاته، ولاسيما فيما يتعلق بوضع الركن الاسمي الفاعل ضمن ركن واحد يحتويه إضافة إلى الفعل.

4- الركن الحرفي المرتبط بصورة وثيقة بالفعل وهذا الركن تمت مناقشته فيما سبق من حيث إمكانية نقله إلى موقع الابتداء، مُخلفاً وراءه ضميراً على اعتبار أن هذا الركن جزء أساسي من ركن الإسناد كما يرى زكريا، ويصف بنية الجملة المحتوية على الركن الحرفي على النحو الآتي:

جملة ←— (فعل ------ ركن حرفي) [2].

حيث تشير الخطوط المتقطعة إلى بقية أركان جملة الإسناد، الركن الاسمي (الفاعل والمفعول به).

ومما نلاحظه على قاعدة الإسناد عند ميشال زكريا أنها تقتصر في التمثيل اللغوي في الجملة العربية على الفعل المتعدي فقط دون الإشارة إلى الفعل اللازم وللتوضيح نضرب المثال الآتي:

الجملة ←——— قرأ الرجل الجريدة بالأمس

---

(1) زكريا، المبادئ والأعلام، ص170-175.

(2) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص51.

ركن الإسناد ← ركن فعلي+ ركن اسمي+ ركن اسمي+ ركن حرفي

(قرأ) (الرجل) (الجريدة) (بالأمس)

ونوضحها بالمشجر الآتي:

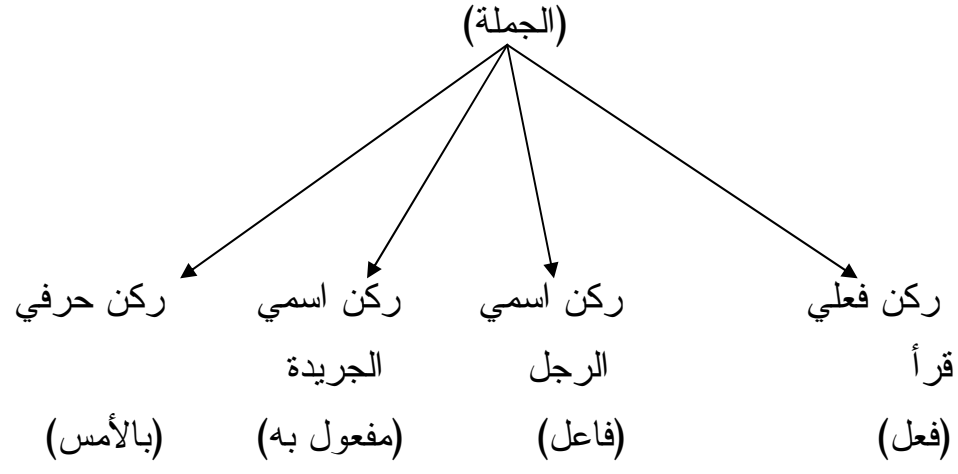

تام– متعدي

أما الفعل اللازم فإننا نقدم له الترتيب القواعدي الآتي:

ركن الإسناد ← ركن فعلي+ ركن اسمي+ ركن حرفي

جلس الرجل على الكرسي

ونوضحه بالمشجر الآتي:

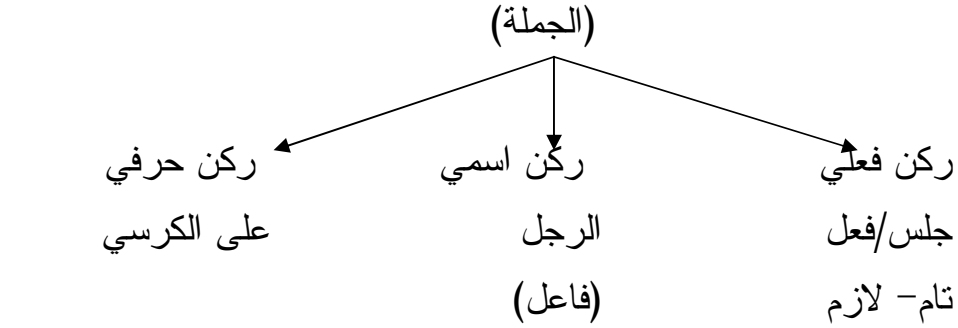

ومن هنا كان على زكريا أن يلتفت إلى البنى التركيبية للجملة الفعلية في اللغة العربية، التي لا يقتصر فعلها على المتعدي فقط بل هناك الفعل اللازم، وهذا يدلل على إهمال زكريا لهذا الجانب في تحليل الجملة العربية بناءً على معطيات النظرية

التوليدية التحويلية، فالقواعد التوليدية التحويلية كما أشرنا سابقاً تضطلع بدور مهم في العملية اللغوية في كونها:

1- تساهم في إنتاج عدد لا متناهٍ من الجمل والتراكيب اللغوية.

2- قدرتها على الحكم بأصولية الجملة من خلال البحث في البنى التركيبية لها.

3- تساهم في إنشاء نظرية نحوية شاملة تصلح لجميع اللغات نظراً لوجود خصائص مشتركة بين هذه اللغات[1].

أما ركن التكملة فيتألف من عناصر لا ترتبط بالفعل وإنما تعود إلى الجملة كلها، ويتضمن ركن التكملة كلاً من:

1- الجار والمجرور أو ما يسمى بالركن الحرفي، ونمثله بالمشجر الآتي:

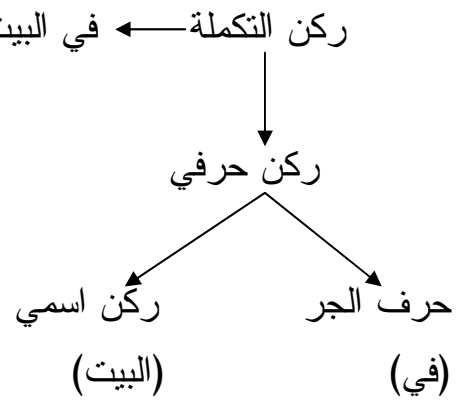

أو قد يتضمن ركنين حرفيين نحو:

سار الرجل من الصباح إلى المساء

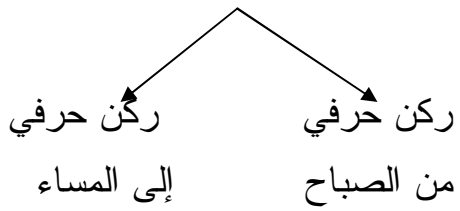

2- الركن الاسمي، فقد يتضمن ركن التكملة ركناً اسمياً ومثاله:

يسافر الرجل اليوم

فالركن الاسمي اليوم يمثل في هذه الجملة ركن التكملة

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص93، 99.

وعليه فإننا نُمثّل لموقع ركن التكملة في الجملة من خلال المشجر الآتي:

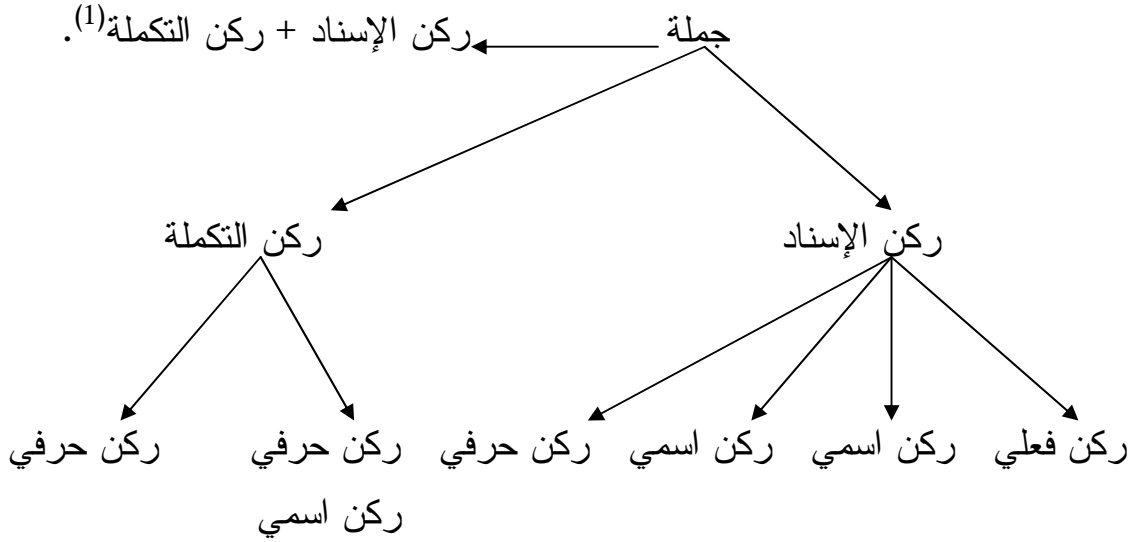

وهذا الركن –ركن التكملة– يجوز نقله إلى موقع الابتداء بشرط أن يُنْقل كاملاً، إذ لا يمكن نقل جزء منه إلى موقع الابتداء، وإن وجد ضمير يعود إليه وعليه لا بد أن ينقل كاملاً ومثاله:

يقرأ الرجل إلى ساعة متأخرة من الليل

لتصبح بعد إجراء التحويل ← إلى ساعة متأخرة من الليل يقرأ الرجل[2].

مع مراعاة عدم جواز نقل الاسم المجرور في ركن التكملة فلا يمكن نقله إلى موقع الابتداء وإن ترك وراءه ضميراً، فلا يجوز أن تقول في المثال السابق:

ساعة متأخرة من الليل يقرأ الرجل إليها

لأن هذه الجملة في نظر زكريا غير أصولية لمخالفتها ضوابط ركن التكملة.

ويمكن أن نمثل لما ذكره زكريا بالمثال الآتي:

الجملة ← جاء الرجل إلى قومه مسرعاً

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص62.

(2) المرجع نفسه، ص63.

فكلمة "مسرعاً" هي ركن تكملة، وهي ركن اسمي لا حرفي، وهي في موضع حال، والأغلب في الحال أن يكون فضلة، لذا يجوز في الكلام أن تقول بعد إجراء التحويل: مسرعاً جاء الرجل إلى قومه، وتمثل هذا التحويل بالقاعدة الآتية:

ركن التكملة + ركن الإسناد

ركن اسمي+ ركن فعلي+ ركن اسمي+ ركن حرفي

ركن التكملة+ ف + فا + جار ومجرور

أما الجار والمجرور (إلى قومه) فهو من أركان ركن الإسناد وهما يتعلقان بالفعل (جاء)، لذا يجوز في الكلام وبعد إجراء التحويل أن تقول: القوم جاء الرجل إليهم، فقد تم نقل الاسم المجرور بحرف الجر إلى موقع الابتداء وتركنا في موقعه ضميراً عائداً إليه.

وبعد أن تناول زكريا مؤلّفات الجملة (ركني الإسناد والتكملة)، يشرع في وصف البنية العميقة للجملة العربية، وذلك من خلال البحث في السمات المعجمية والتركيبية للركن الفعلي ومن هذه السمات (الزمن، التعدي، اللزوم، الحدث، الثبات الحركة، الحالة، والنشاط...الخ) [1]. ويضيف زكريا هذه السمات إلى سمات ذاتية يتضمنها الفعل من مثل (التعدية، العمل، الحركة)، وسمات انتقائية مرتبطة بالسياق الكلامي الذي يرد فيه الفعل من مثل سمة: [فعل+ فاعل إنسان] [2]، فالجملة (زعم الحيوان أن الحياة جميلة) غير مقبولة؛ لأن الفعل يأخذ سمة [فاعل إنسان].

وتقوم السمات التركيبية للركن الفعلي بدور مهم في عمل القواعد التوليدية، حيث تساهم في عمل ما يسمى بقواعد تفريغ الفئات، وهي جزء من قواعد التكوين، حيث تقوم هذه القواعد بإعادة كتابة كل فئة من مكونات الركن الفعلي داخل الجملة وبواسطة السمات الذاتية والسياقية للركن الفعلي[3]. وكما تناول زكريا سمات الركن

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص65-77.

(2) المرجع نفسه، ص67.

(3) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)،ص 157-157.

الفعلي، عرض لسمات الركن الاسمي ومنها (تعريفه وتنكيره وإفراده وتثنيته وجمعه وتذكيره وتأنيثه....)الخ[1].

ويحصر زكريا الأنماط التي يأتي عليها الركن الاسمي في اللغة العربية في القواعد الآتية:

1- ركن اسمي ←——— تعريف + اسم (الولد) [2].

2- ركن اسمي ←——— اسم + ركن اسمي [3].

نحو: غرفة النوم (المضاف والمضاف إليه)

3- ركن اسمي ———→ ركن اسمي + نعت[4].

نحو: جاء معلم بارع (النعت والمنعوت)

4- ركن اسمي ←——— ركن اسمي + اسم موصول + جملة [5].

نحو: جاء المعلم الذي يحبه الطلاب (الاسم الموصول وصلته)

5- ركن اسمي———→ ركن اسمي + جملة[6].

نحو: جاء معلم يحبه الطلاب (النكرة الموصوفة بجملة)

6- ركن اسمي ———→ ركن اسمي + ركن اسمي [7].

نحو: خرج زيد أبو حنا (البدل والمبدل منه)

مررت بزيدٍ نفسه (التوكيد)

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص 79-96.

(2)المرجع نفسه، ص80.

(3) المرجع نفسه، ص 81.

(4) المرجع نفسه، ص81.

(5) المرجع نفسه، ص82.

(6) المرجع نفسه، ص82.

(7) المرجع نفسه، ص85.

ويتم التحويل في هذه القواعد بنقل الركن الاسمي كاملاً إلى موقع الابتداء نحو:

1- جاء معلم بارع ⟵ معلم بارع جاء

2- مررت بزيدٍ نفسه ⟵ زيدٌ نفسه مررت به

إلى جانب الركنين الفعلي والاسمي، يعرض زكريا للركن الحرفي، وهو ركن يتألف من حرف الجر والركن الاسمي، ويُمثّل زكريا له ضمن قاعدة الكتابة على النحو الآتي:

ركن حرفي ⟵ حرف جر + ركن اسمي[1].

وفي معالجته لهذا الركن نجد زكريا لا يقدّم لنا سوى سمات تتعلق بهذا الركن، وهي السمات ذاتها التي نجدها في معاني حروف الجر في اللغة العربية من مثل (المكان، الزمان، الاختصاص، الاتجاه، السبب، والأصل (بيان الجنس) والغاية والملكية... الخ) [2]. ولتوضيح هذا الركن أنظر المثال الآتي:

جملة ⟵ ذهب إلى المدينة

الركن الحرفي ⟵ إلى + المدينة

[سمة مكان] [مكان]

نلحظ أن حرف الجر (إلى) يحتوي على سمة مكان ويتوافق مع الاسم المجرور (المدينة) والذي يحتوي بدوره على سمة مكان.

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص165.

(2) المرجع نفسه، ص 165- 175.

والجدير بالذكر أن ميشال زكريا لا يقدم في هذا الركن شيئاً جديداً سوى أنه ربط هذا الركن بمكونات الجملة: ركني الإسناد والتكملة، فالسمات التي استخلصها للركن الحرفي هي ذاتها التي تناولها نحاة العرب[1] فيما عُرف بمعاني حروف الجر.

وأرى أن تناول زكريا للسمات التركيبية والمعجمية لمكونات الجملة في اللغة العربية جاء بفعل تأثره بأعمال اللساني "كاتز وفودور" صاحب النظرية الدلالية التحليلية التي تسعى إلى تحليل المؤلفات الأساسية لمكونات الجملة، والتي تحمل بدورها ملامح ومكونات تميزها عن غيرها[2]، فاللغوي استناداً لهذه النظرية يبدأ بتحديد المكون النحوي للكلمة من حيث كونها (اسم، فعل، صفة...)، ثم عليه تحديد المكوّن الدلالي للكلمة من حيث كونها تشير إلى (جماد، إنسان، حيوان، نبات، ذكر، أنثى، فكرة...)، ثم ينتقل إلى تحديد المميزات الخاصة بالكلمة، ثم يفصل اللغوي المميزات حتى يحقق القدر الضروري من الوصف والشرح بما يميزها عن غيرها من الكلمات الأخرى[3]، وهذا ما أفاد منه زكريا في تحليل أركان الجملة في العربية.

وفي سبيل توضيح الطريقة التي تعمل بها القواعد التوليدية التحويلية على اللغة العربية، لا بد أن نوضح أبرز مكونات هذه القواعد، وأهم القواعد الداخلية التي تتحكم بالعملية اللغوية، فقد كنّا أشرنا سابقاً أن مكونات التركيب اللغوي ضمن القواعد التوليدية التحويلية ترد إلى ثلاثة مكونات هي:

1- المكوّن التركيبي.

---

(1) للتوضيح انظر: الأنصاري، ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج3، راجع الكتاب وصححه يوسف البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 2000، ص3-69، وانظر أيضاً: الأنصاري، مغني اللبيب، ج2، ص138.

(2) محمَّد، سعد محمَّد، في علم الدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2002، ص 51. وانظر أيضاً: عبدالجليل، منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2001، ص91.

(3) المرجع نفسه، ص52.

2- المكوّن الدلالي.

3- المكوّن الفونولوجي.[1]

وكل مكوّن من هذه المكونات له قواعده الداخلية التي تطبعه مع التأكيد على أن المكوّن التركيبي هو الذي يحتل المكانة البارزة في هذه القواعد، في حين أن المكونين الدلالي والفونولوجي يقتصر عملهما في هذه القواعد على التفسير، ولا يلعبان دوراً مهماً في توليد بُنى الجمل.

فالمكوّن التركيبي هو المكون الأساس في القواعد التوليدية التحويلية، ويولِّد مجموعة البنى التركيبية غير متناهية، ويتم التحويل في هذا المكوّن ضمن القواعد الآتية:

1- قاعدة إعادة الكتابة ويمكن تمثيلها من خلال المشير الركني:

ركن فعلي- ركن اسمي- ركن حرفي.

2- قاعد التفريع حيث تقوم هذه القاعدة بإعادة كتابة كل فئة من الفئات التي ولدتها قواعد إعادة الكتابة بواسطة سمات ذاتية، وسياقية، وهي: السمات التي بينها زكريا لكل ركن من الأركان السابقة، وقد تم توضيحها.

3- قواعد استبدال المفردات المعجمية وهي قواعد تقوم بإدراج مفردات مكوّنة من سمات فونولوجية وتركيبية ودلالية في موقع الرموز التي ولّدتها قواعد إعادة الكتابة وقواعد التفريع، وتسمى البنية التي تحصل عليها بعد إجراء قواعد إدراج المفردات بالنية العميقة.

4- قواعد التحويل وهي المسؤولة عن نقل البنية العميقة للجملة إلى البنية السطحية، والشكل الآتي يوضح تسلسل هذه القواعد في العملية اللغوية:

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص157.

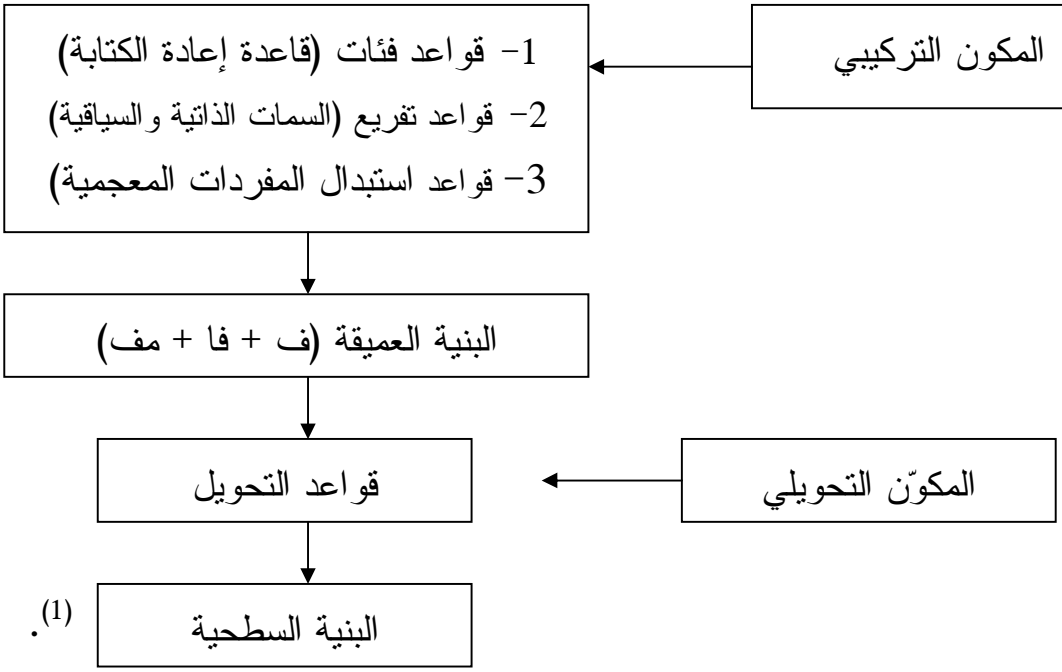

[1].

أما المكوّن الدلالي فهو يضطلع بدور مهم في تحليل دلالة الجملة الأصولية وبيان السبب في عدم أصوليتها، فهو مكوّن مهم في إظهار الانحرافات التي تصيب مكونات الجملة، أو العلاقات القائمة بين الجمل، ويشير زكريا هنا إلى ما يسمى بقواعد، الإسقاط وهي قواعد مهمة في هذا المكوّن، وتعرف هذه القواعد "بالقواعد التي تربط بين الكلمات وبين البنى التركيبية، فهذه القواعد تشكل قدرة المتكلّم على استدلال معنى الجمل من خلال معنى المفردات والربط بينهما"[2]، ونستطيع القول إن قواعد الإسقاط في المكوّن الدلالي ذات أهمية كبرى، ولعل ذلك راجع إلى أن الأنموذج التوليدي والتحويلي يستند على فرضية تنص على: "أن المتكلم يفسر الجملة على نحو تركيبي بحيث يرتبط معنى المؤلف المركب بمعاني عناصره، فمعنى الجملة

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص158.
(2) المرجع نفسه، ص140.

تم عبر معاني المؤلفات النهائية في المشير الركني، وذلك من خلال الجمع بين هذه المعاني بواسطة قواعد الإسقاط، ووفقاً للعلاقات القائمة في المشير الركني"[1].

وبعد أن تمر الجملة بالمكونين التركيبي والدلالي تصل إلى المكون الفونولوجي، ليصار إلى إخراج الجملة إلى البنية السطحية النهائية لها، وذلك من خلال تطبيق القواعد الفونولوجية التي "تقوم بتحليل التغيرات الصوتية الحاصلة من خلال تتابع السمات الفونولوجية الخاصة بكل مؤلّف من المؤلفات الركنية"[2].

وفي ضوء ما سبق من مكونات وقواعد يعرض لنا زكريا المراحل التي تمر بها الجملة انطلاقاً من البنية العميقة وصولاً بها إلى البنية السطحية، ممثلاً لذلك بقواعد التكوين والتي تنطلق من مؤلفات الجملة: ركن الإسناد، وركن التكملة، وقواعد التكوين هذه هي:

1. قاعدة الجملة ⟵ ركن الإسناد + ركن التكملة
2. قاعدة ركن الإسناد ⟵ ركن فعلي + ركن اسمي + ركن اسمي + ركن حرفي
3. قاعدة ركن التكملة ⟵ ركن حرفي
4. قاعدة ركن فعلي ⟵ زمن + فعل
5. قاعدة ركن اسمي ⟵ تعريف + اسم.
6. قاعدة ركن حرفي ⟵ حرف جر + ركن اسمي
7. قاعدة فعل ⟵ س ع
8. قاعدة اسم ⟵ س ع
9. قاعدة حرف جر ⟵ س ع

---

(1) بن عيسى، عبد الحليم، البنية التركيبية للحدث اللساني، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، 2006، ص53.

(2) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص160.

10. قاعدة تعريف ←——— س ع[1].

فالقواعد من (1 – 6) هي قواعد إعادة كتابة في حين القواعد من (7–11) هي قواعد تفريع تتعلق بالسمات الذاتية والسياقية (المعجمية) للمكونات التركيبية للجملة.

وختام القول في هذا المبحث أضع المشجر الآتي لأركان الجملة وسماتها عند ميشال زكريا في جملة (كتب الطالب الرسالة إلى الأستاذ بالقلم)، حيث تمثل هذه الجملة بالرسم الآتي:

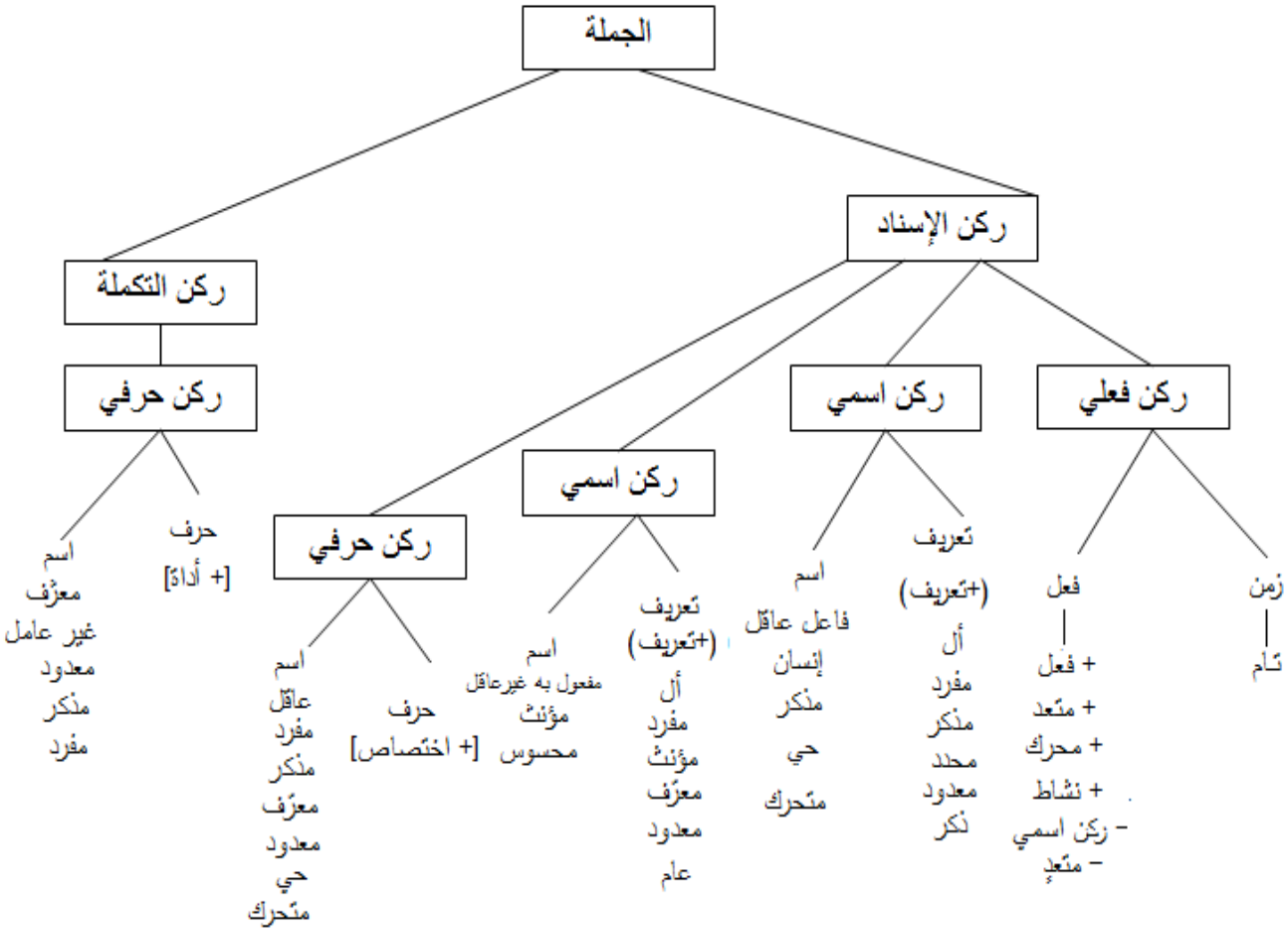

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص162.

3-الجملة والنعت

في ختام حديث زكريا عن الجملة تناول أحد أنماط المركب الاسمي، ورأى أنه يعمل عمل الفعل[1]، فقد سعى في الفصل السابع من كتابه الجملة البسيطة إلى أن يبرهن أن سلوك النعت في الجملة شبيه بسلوك الفعل، وعليه فإن النعت وبناءً على تصوره يعمل عمل الفعل في الجملة، ويمكن تمثيله من خلال قاعدة إعادة كتابة الركن الإسنادي على النحو الآتي:

ركن الإسناد ← ركن فعلي + ركن اسمي + ركن اسمي + ركن حرفي

الركن الفعلي ← [زمن + فعل]

نعت [2].

ويستند ميشال في تصوره هذا إلى معطيات تعود إلى:

1- قضايا لغوية في النحو العربي.

2- فرضيات نظرية للمنهج التوليدي التحويلي.

أما القضايا اللغوية التي لجأ إليها زكريا في البرهنته على صحة ما ذهب إليه في كون النعت يعمل عمل الفعل قضية المشتقات، فزكريا جعل النعت يشمل المشتقات (اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وصيغة المبالغة) ومثّل لذلك بالجمل الآتية:

1- الرجل كريم.

2- الرجل جالس.

3- الرجل مضروب.

4- الرجل قتّال[3].

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص97.

(2) المرجع نفسه، ص97.

(3) المرجع نفسه، ص97.

فمن خلال الأمثلة السابقة نجد أن الأسماء (كريم، جالس، مضروب، قتّال) هي مشتقات، وهي على الترتيب (صفة مشبهة، اسم فاعل، اسم مفعول، صيغة مبالغة) وهي تشابه في عملها عمل الفعل، وهذا أمرٌ أقرّه نحاة العرب في كتبهم ودرسوه في باب الأسماء التي تعمل عمل الفعل، وهي عشرة أسماء من بينها المشتقات[1]، وزكريا يستند على أن المشتقات تُظهر التوزيع نفسه الذي يُظهره الركن الفعلي في الجملة من خلال استبدال النعت بفعل، وبالتالي الحصول على جملة أصولية على النحو الآتي:

1- الرجل كرُم.

2- الرجل جلس.

3- الرجل ضُرب.

4- الرجل قَتَلَ[2].

وفي السياق ذاته يحتج زكريا على ما يذهب إليه في أن النعت يأخذ مفعولاً به في جملة من مثل:

المعلم شارح الدرس.

أو قد يأخذ جاراً ومجروراً (ركن حرفي) في جملة من مثل:

الرجل جالس في الدار.

ويمثل زكريا لهذه الجمل بالقواعد الآتية:

1- نعت [ركن اسمي – ركن اسمي]

2- نعت[ركن اسمي –]، [ركن حرفي]

ركن الإسناد ركن التكملة[3].

فالنعت عند زكريا يظهر في ركن الإسناد في مواجهة ركن التكملة.

---

(1)الأنصاري، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ص291.

(2) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص98.

(3) المرجع نفسه، ص100.

وبناءً على هذا التصور الذي قدمه زكريا يصل إلى نتيجة مفادها أن النعت يحتمل توزيع الفعل نفسه ويجري مجرى الفعل.

ويدعم زكريا رأيه هذا بالحديث عن النعت المتصل بـــ(ال)، فهو يأخذ أل التعريف كما الاسم، ويرد في موقع الفاعل والمفعول به وفي موقع الجر بحرف الجر والمرتبط بصورة وثيقة بالفعل وزكريا إذ يقدم هذا التصور؛ يريد من ذلك أن يبدد الصورة الراسخة في أذهان الباحثين في اعتبار النعت اسماً لمجرّد اتصاله بـــ (أل التعريف)، وهي علامة من علامات الأسماء، وهو بهذا يدعو إلى عدم الركون إلى ظاهر القضايا التي تبنى عليها القواعد اللغوية[1]، وفي توضيح وجهة نظره يقدم المثالين الآتيين:

1- جاء الرجل أبوه.

2- جاء الكريم أبوه[2].

فالاسم في الجملة الأولى "الرجل" لا يعمل فاعلاً ولا مفعول به ولا ركناً حرفياً يرتبط به بصورة وثيقة، على خلاف الاسم في الجملة الثانية "الكريم"، الذي يظهر من خلاله تصرف النعت في الجملة على نحو مخالف للاسم، فالجملة الأولى في نظر زكريا جملة غير أصولية، والثانية جملة أصولية، فالنعت المقترن بـــ (أل) بحسب زكريا يظهر في الظاهر مجرى الاسم إلا أنه في الأساس يجري مجرى الفعل، وهو يعوّل في ذلك على رأي ابن فارس الذي ينص على أن الألف واللام بمعني الذي، فإذا قيل: "جاء في الضارب عمراً، فإن ذلك يعني الذي ضرب عمراً[3]، وزكريا بهذا الرأي الذي يبني عليه فكرته في اعتبار النعت يجري مجرى الفعل يؤسس لفكرة

---

(1)زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص101.

(2) المرجع نفسه، ص101-102.

(3) ابن فارس، أحمد، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة و النشر، بيروت – لبنان،1963، ص100.

ارتباط بنية النعت ببنية الجملة وهذا في الجملة الموصولة التي تحتوي على الاسم الموصول وصلته ومثاله:

1- جاء الرجل القاتل زيداً.

2- جاء الرجل الذي هو قاتلٌ زيداً[1].

فبنية النعت ترتد إلى بنية أخرى هي الركن الاسمي الآخر في الجملة (ركن اسمي+ ركن اسمي)، وتمثيله على النحو الآتي:

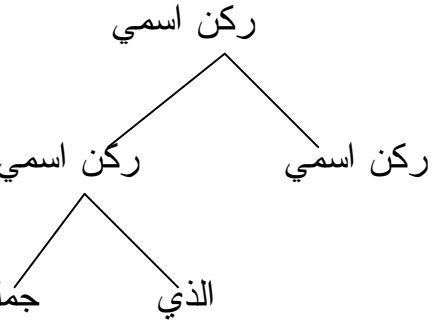

أما الفرضيات التي لجأ إليها ميشال زكريا من المنهج التوليدي التحويلي لإثبات صحة ما ذهب إليه في كون النعت يجري مجرى الفعل، فهما فرضيتان: الأولى الفرضية التحويلية، وهي فرضية تعتمد على تحويل يتم إجراؤه على الفعل فتحوله إلى نعت، ومن هنا يكون النعت مشتقاً من الفعل، ويسمى هذا التحويل: "تحويل الفعل إلى نعت"[2]، وتوضيح هذه الفرضية على النحو الآتي:

1- جلس أبو الولد (البنية العميقة) ← تحويل الفعل إلى نعت (جلس- جالس)

2- جالس أبو الولد ← تحويل إلزامي بنقل الركن الاسمي (الولد) إلى موقع الابتداء مع إلحاق الضمير الذي يعود إليه بالركن الاسمي (أبو)

لتصبح الجملة في صورتها النهائية وبعد التحويل:

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص104.

(2) المرجع نفسه، ص111.

الولد جالس أبوه (البنية السطحية)

وزكريا لا يميل إلى هذه الفرضية لكونها معقدة[1]، ويكثُر فيها التعقيدات لدرجة كبيرة بفعل الخطوات التحويلية المتعددة للوصول إلى البنية السطحية المنشودة منها، فهو هنا لا تستهويه فكرة اشتقاقية النعت على مذهب التحويليين.

أما الفرضية الثانية التي عوّل عليها زكريا واعتمدها في فكرة اشتقاقية النعت وتوسع بها "الفرضية المعجمية"، وتقوم هذه الفرضية على أن النعت قائم في البنية العميقة ويفترض تعديل قاعدة الكتابة الخاصة بالجملة بحيث توافق إدخال النعت في البنية العميقة[2]، استناداً للسمات الدلالية القائمة بين النعت والفعل مع ضرورة التأكيد على أن توزيع النعت قد يرد حسب التوزيع نفسه الذي يرد به الفعل؛ لذلك نجد زكريا يجعل موقع النعت في البنية العميقة، ويمثلها بالقاعدة الآتية:

نعت + اسم + اسم[3].

فالقاعدة السابقة والخاصة بتمثيل موقع النعت في البنية العميقة يماثل موقع الفعل في البنية العميقة للجملة وقاعدته:

فعل + اسم + اسم

ومع أن زكريا اعتمد قاعدة ترتيب النعت في البنية العميقة، إلا أنه يؤكد على عدم إمكانية ورود هذا الترتيب في البنية السطحية غير أنه يعود عن رأيه هذا باللجوء إلى معطيات لغوية من النحو العربي تجيز مثل هذا الترتيب اللغوي، وهذا ما نجده عند اللغويين الكوفيين و الأخفش إذ يقولون بجواز هذا الترتيب في جملة من مثل "خبيرٌ بنو لهب"[4]. وهو أمرٌ رفضه البصريون الذين يؤكدون على عدم جواز ورود

---

(1)زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص112.

(2) المرجع نفسه، ص111.

(3) المرجع نفسه، ص127.

(4) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج1، ص195.

النعت في ابتداء الكلام، وزكريا يفسر هذه الجملة بناءً على قاعدة نقل الركن الاسمي، أي موقع الابتداء وعلى النحو الآتي:

1- بنو لهب خبيرون (الجملة الأصولية)

2-خبيرٌ بنو لهب (نقل الركن الاسمي (النعت) إلى موقع الابتداء وهو تحويل إلزامي[1].

فزكريا يؤكد صواب رأي الكوفيين ورأيه من خلال هذا التفسير التحويلي الذي وقع على الجملة، وفي هذا إشارة واضحة من زكريا إلى أن اللغة العربية تحتوي في قواعدها على قاعدة تحويل ونقل الركن الاسمي إلى موقع الابتداء اعتماداً على رأي أهل الكوفة في ذلك.

وخلاصة القول في هذا الأمر لا بد لنا من أن نؤكد على جملة من الأمور والتي من خلالها نقف على أبرز المفاصل العامة التي جاء بها زكريا في اعتباره النعت ركناً أساسياً من أركان الجملة، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك عندما ذهب إلى فكرة أن النعت يشتق منه كما الفعل ونحن إذ نبحث في كلام النحاة العرب ومؤلفاتهم نجدهم حصروا قضية الاشتقاق في المصدر والفعل، فالبصريون قالوا أن المصدر هو الأصل، والفعل والوصف مشتقان منه، في حين أن الكوفيين قالوا أن الفعل هو الأصل للمشتقات[2]، ومنهم من قال أن المصدر أصل للفعل والفعل أصل في الوصف[3]، ومنهم من قال أن كلاً من المصدر والفعل أصل برأسه، وليس أحدهما مشتقاً من الآخر[4]، وتبقى هذه المسألة خلافية، فنحن لم نجد أحداً من النحاة أشار إلى أن النعت أصل في الاشتقاق، كما أننا نجد في كتب النحاة من يؤكد على عدم وجود

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص128.

(2)الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج1،ص192-201.

(3) ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج1، ص559.

(4) المرجع نفسه، ج1، ص558، وانظر أيضاً الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج2، ص318.

علاقة تربط النعت بالفعل كما ادعى زكريا، فالنعت من خصائص الأسماء ويبعد عن الفعل[1].

ومما يؤخذ على زكريا في هذا المبحث ما أشار إليه بعض الباحثين في أن زكريا خلط بين مفهوم النعت والوصف، فقد أقام تصوره على فرضية خاطئة فالنعت غير الوصف (أي المشتقات كاسم الفاعل والمفعول.... الخ) [2]، ومما نلاحظه على زكريا أنه كوفيّ الهوى، فهو إذا أراد أن يستشهد على صحة ما يذهب إليه ركن إلى مسائل النحو الكوفي وآراء الكوفيين التي كما يعلم الجميع لا يعتد بها كثيراً في الاستشهاد على قضايا اللغة على خلاف النحو البصري الذي يُشكّل الأصل في الاحتجاج اللغوي، وليس هذا وحسب بل نجد أن دعوى زكريا إلى اعتماد النعت أصلاً في الاشتقاق صبغ على الدراسة اللغوية الصعوبة والتعقيد، وهذا أمر خالف به زكريا أصلاً مهماً من أصول الدراسة الألسنية التي دعت إلى الاقتصاد والتيسير كما أشرنا سابقاً.

وختام القول عن جهود زكريا في دراسة بنية الجملة العربية وفقاً لمعطيات المنهج التوليدي التحويلي أن زكريا استفاد استفادةً واضحة من معطيات المنهج التوليدي التحويلي واستثمر أبرز منطلقاته الفكرية في دراسة الجملة العربية، ولعلّ ما يبرز بشكل جلي في هذه الدراسة تركيز زكريا على عنصر واحد من عناصر التحويل وهو عنصر النقل، نقل الركن الاسمي إلى موقع الابتداء ولم يلتفت إلى عناصر تحويلية أخرى كالحذف والزيادة والتنغيم، فزكريا قصر التحويل في الجملة على قواعد الاستبدال السياقية التي جاء بها هاريس وهي التي تمكننا من استبدال العناصر اللغوية في السياقات ذاتها لأسباب دلالية مختلفة، إذ يبحث المتكلم عن

---

(1) الصبان، أبو العرفان محمَّد بن علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج2، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ص286.

(2)موسى، عطا محمَّد، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، دار الإسراء، الأردن، ط1، 2002، ص256.

العناصر التي يمكن أن يجعلها بدلاً عن عناصر أخرى، وليس هذا الاستبدال إلا إمكانية اختيارية تتعلق بالنظام، ويمكننا استناداً إلى التركيب الذي سبق أن نضع أو نستحضر جملة من العناصر اللغوية التي نستطيع استبدالها بما هو موجود[1]، وهذا ما فعله زكريا باقتصاره على تقديم الركن الاسمي إلى موقع الابتداء، وإهماله عناصر تحويلية أخرى.

(1) كارل، ديتربونتبخ، المدخل إلى علم اللغة، تحقيق سعيد حسن بحيرى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2، 2010، ص42.

الفصل الثالث

جهود ميشال زكريا في التراث اللغوي والعربي (سيبويه وابن خلدون)

1.3 مقدمة:

إن الحديث عن قضايا التراث اللغوي العربي في الدراسات اللسانية العربية القديمة يطول نظراً للجهود الحثيثة التي بذلها علماء العربية القدامى، من أمثال: الخليل، سيبويه، ابن جني، وغيرهم ممن ساهموا في إرساء القواعد العامة للغتنا العربية، فلقد حظيت اللغة العربية بالعناية والاهتمام حيث قام أصحابها بجمعها وتدوينها، فدونوا مفرداتها وتراكيبها، ومثلوا عليها مما سمعوا وشاهدوا ثم وصفوا ظواهرها وصفاً دقيقاً، واستنبطوا قوانينها العامة، لذلك نرى أن القدامى من علماء العربية أولوا العربية اهتمامهم، وقدَّموا ملاحظاتهم ذات القيمة المتميزة في الدراسات اللغوية، فكانت آراؤهم متطورة قياساً مع زمانهم، ومع ما توافر لهم من مناهج وطرائق اتخذوها في مجال الدراسة اللغوية.

ومما لا شك فيه أن الجهد الذي بذله الأوائل من علماء العربية في جمع اللغة العربية واستنباط قواعدها، هيأ للكثير من الدارسين الأرضية الخصبة في الدراسات اللغوية وعلى مختلف العصور قديمها وحديثها، وشكَّل قاعدة انطلق منها علماء اللسانيات في عصرنا الحديث العرب منهم أو الأجانب على حد سواء، وهذا ما يقرّه ويعترف به غير أبناء العربية "فاللغة العربية أثر رائع من آثار العقل العربي بما فيه من دقة في الملاحظة، ونشاط في جمع ما تفرق، وهو لهذا يحمل المتأمل فيه على تقديره ويحق للعرب أن يفخروا به"[1]، فقد حظيت الدراسات اللغوية التراثية بإعجاب

(1)حسن،عباس، (د. ت)، النحو الوافي، ج1، دار المعارف، القاهرة، ط9، ص3.

واهتمام كثير من علماء اللسانيات الغربية[1] لما فيها من دقةٍ وجهدٍ واضحين في الجمع والتدوين والتحليل.

لقد أدرك النحاة الأوائل الأسس والأصول التي قام عليها النحو العربي، كالعامل والحد والاستقامة النحوية، ومفاهيم القياس، السماع، العلة، الأصل، الفرع، وغيرها من المفاهيم النحوية التي شكلت في مجموعها النحو العربي "وهي مفاهيم تبين في وضوح لا يقبل الشك أن للنحو العربي عند سيبويه وشيوخه وتلاميذه منطقاً ولكنه منطق رياضي خالص"[2].

وهذا يقودنا إلى الحديث عن مدى ظهور الجانب العقلاني في البدايات الأولى للنحو العربي، فقد احتل الجانب العقلي مكانة متميزة في الدراسات اللغوية التراثية استناداً إلى وجود مفاهيم سبق ذكرها تعتمد في التحليل على تحكيم العقل للوصول إلى القاعدة اللغوية، إلى جانب الاهتمام بالواقع اللغوي المحسوس أي الجانب النقلي المسموع "وقد صار هذا الجانب ضرورياً –الجانب العقلي– في البحث اللغوي الحديث لاسيما عند التحويليين؛ لأنه أداة أصلية من أدوات بناء العلم بدونه يتحول النحو إلى مجرد جمع وتصنيف"[3].

وبمجيء المنهج التوليدي التحويلي في الدراسات اللسانية المعاصرة، الذي حَفِلَ بالجانب العقلي وأعطاه السلطة المطلقة في السيطرة على العملية اللغوية برمتها ظهرت الحاجة إلى التجديد في الدراسات اللسانية العربية من خلال إعادة قراءة التراث اللغوي العربي، وإخضاعه للمبادئ الجديدة للنظرية التوليدية التحويلية، وهنا ظهرت إشكالية التجديد بين من يتهم الجهود الأولى من النحو العربي بأنها تخلو من

---

(1)الحاج صالح، عبد الرحمن، اللغة العربية بين المشافهة والتحرير، مجلة فيلادلفيا الثقافية، العدد السادس، 2011، ص72.

(2)الحاج صالح، عبد الرحمن، النحو العربي ومنطق أرسطو، مجلة كلية الآداب، جامعة الجزائر، العدد1، 1964، ص 69.

(3) الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص148.

الملاحظات المنهجية والدقة في الدراسة والبحث، وبين من يرى أن العرب القدامى اهتموا باللغة العربية اهتماماً واسعاً، يقول الفاسي الفهري: "قد نجد اليوم من يحاول أن يتهم الجهد اللغوي العربي بخلوه من الملاحظات والمنهجية، وقد رأى بعضهم أن التراث في مجال اللسانيات إما معطيات موصوفة أو مفاهيم وصفية أو أصول وتأملات، ورأوا أن الخطأ الأول في تصور التراث هو اعتقاد أن لا بدّ من توظيفه في بناء نحو يصف اللغة العربية، وأن اعتقاد أن الآلة الواصفة للغة العربية المعاصرة أو القديمة تحتاج –ضرورة– إلى مفاهيم القدامى العرب وأصولهم اعتقاد خاطئ من وجهة نظرهم"[1]، فالفهري يدعو إلى خلع ثوب القدماء عن الدراسات اللغوية المعاصرة وضرورة اللجوء إلى معطيات العصر للاهتداء إلى كثير من الحلول في تفسير قضايا العربية بعيداً عن المعطيات اللغوية لدى القدامى التي يشوبها النقص.

ومن جانب آخر نجد من ينتصر للتراث اللغوي العربي، ويرى أن علماء العربية الأوائل قدَّموا لنا ملاحظات وأراء لغوية ذات قيمة كبيرة مقارنة مع ما توفر لهم في زمنهم من طرائق ووسائل بحثية، فقد اجتهدوا في جمع اللغة واستنباط أحكامها، بل رأى أنه بالإمكان أن نتبع المفاهيم التي جاءوا بها ومقاربتها مع المفاهيم الألسنية المعاصرة وتحديداً مع المفاهيم الجديدة للمنهج التوليدي التحويلي وصاحب هذه الرؤية ميشال زكريا، الذي تشكل مؤلفاته في المقاربات اللسانية التراثية دليلاً واضحاً على ذلك[2].

وهذا الموقف تبناه أيضاً محمد الخولي، الذي دعا إلى الإفادة من معطيات اللسانيات المعاصرة وربطها بالقواعد العربية ولاسيما القواعد التحويلية، فهو يدعو صراحة إلى أن تواكب القواعد التقليدية القواعد التحويلية، وأن تستفيد كل منها من الأخرى دون أن تحلّ واحدة مكان الأخرى، فالقواعد التحويلية في رأيه مكمله ومتمّمة

---

(1) الفهري، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، ص51–61.

(2) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص7.

للقواعد التقليدية[1]، إن النظريات اللسانية العربية التراثية تكتسب أهمية بالغة في كونها ذات قيمة علمية بالغة، ويكمن استغلالها في كثير من ميادين الدراسات التطبيقية في ضوء اللسانيات المعاصرة، كالإفادة منها في حقل الاكتساب اللغوي واللسانيات التعليمية، أو كما تعرف باللسانيات التربوية التي تستعمل معطيات اللسانيات العامة ضمن حقل تعاوني قائم بينهما، فاللسانيات التربوية من أهم سياقات اللسانيات التطبيقية العامة وهذا ما نجده عند عبد السلام المسدي الذي يولي النظريات اللسانية التراثية أهمية كبيرة في مجال اللسانيات التربوية كما أشرنا سابقاً[2].

إن إعادة قراءة التراث اللغوي العربي والبحث في خباياه يقدم لنا تصوراً واضحاً عن مدى الجهود المنهجية العلمية التي بذلها علماء العربية الأوائل في الدراسات اللغوية، التي جعلت كثيراً من علماء اللغة الغربيين المعاصرين يعترفون بها ويشيرون إليها، ويدللون على أبرز إسهاماتهم في المجالات اللغوية العديدة الصوتية والتركيبية والمعجمية أمثال برجستراشر، ويوهان فك، وبروكلمان وغيرهم[3].

إن النظرة الفاحصة للمعايير والأسس التي انطلق منها المنهج التوليدي التحويلي الذي جاء به تشومسكي في خمسينيات القرن الماضي، يعطينا مؤشراً واضحاً عن مدى التقارب الفكري بين ما نادى به تشومسكي من أفكار ومنطلقات

---

(1)الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، ص189.

(2)المسدي، عبد السلام، قضايا في العلم اللغوي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1994، ص12-17.

(3) انظر: برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، نشره رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الفاعي، الرياض 1982، وانظر أيضاً: فك، يوهان، العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة 1980، وانظر أيضاً، بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، منشورات جامعة الرياض، 1977.

وقضايا لغوية، وبين الأفكار والقضايا اللغوية في التراث اللغوي العربي، فهناك قضايا أساسية في النظرية التوليدية التحويلية نجدها في تراثنا اللغوي العربي نجدها في مؤلفات النحاة الأوائل أمثال: الخليل، سيبويه، ابن جني، والجرجاني، وهذا الحديث يؤدي بنا إلى الإشكالية التي وقعت بين أبرز اللسانيين العرب المعاصرين فيما يخص تأثر تشومسكي بالنحو العربي في منهجه اللساني الجديد، فقد انقسم اللسانيون العرب إلى قسمين: قسم عارض فكرة أن يكون تشومسكي قد تأثر بالتراث اللغوي العربي[1]، وقسم آخر يؤيد هذه الفكرة مطلقاً[2]، من منطلق التقارب الكبير بين أفكار تشومسكي وقضايا اللغة العربية التي نجدها في بطون كتب اللغة، ناهيك عن اهتمام تشومسكي بفقه اللغات السامية و العربية منها.

وبالعودة إلى صلب الموضوع فيما يتعلق بجهود ميشال زكريا في ربط التراث اللغوي العربي بمبادئ النظرية التوليدية التحويلية، نجده قد وضع خطة عمل واضحة المعالم تستند على الإحاطة بقضايا اللغة العربية التراثية، وربطها باللسانيات المعاصرة لاسيما التوليدية منها من خلال دراسة أكبر عدد ممكن من القضايا اللغوية التراثية وتتبعها في كتب اللغة وتقديمها للقارئ العربي في قالب معاصر؛ ليتسنى له فهم هذه القضايا وإعادة إحيائها وربطها باللسانيات المعاصرة.

ولقد سعى زكريا من خلال هذا الجهد إلى هدفين اثنين، هما:

---

(1) انظر: الوعر، قضايا أساسية في علم اللغات الحديث، مدخل، ص 359- 361، وانظر أيضاً: حسان، إعادة وصف اللغة ألسنياً، ص145-184، وانظر أيضاً: المزيني، حمزة بن قبلان، تشومسكي في عيد ميلاده السبعين، صحيفة الرياض، السعودية، الخميس 1420/10/27هـ، ص3-4.

(2) انظر: الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر النحوي الحديث، ص54-55، وانظر أيضاً: المسدي، عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981، وانظر أيضاً: الراجحي، عبده، النحو العربي والدرس اللساني الحديث، بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت، 1979.

الأول: تحديث الفكر اللغوي العربي والنهوض به إلى واجهة الاهتمامات اللغوية.
الثاني: إغناء الفكر اللغوي عامة من خلال مدّه بروافد عربية تساعد على تعميق فهمنا للألسنية عبر تحليلنا للمسائل اللغوية في التراث العربي[1].

وفي هذا الإطار سنحاول تتبع جهود زكريا في ربط التراث اللغوي العربي بالنظرية الألسنية الحديثة (النظرية التوليدية التحويلية)، إلى جانب الكشف عن أبرز نقاط التلاقي بين الطرفين قديماً وحديثاً، من منطلق أن الألسنية الحديثة ليست بعيدة عن الفكر اللغوي العربي، وسيركز هذا الفصل على جهود زكريا في تناوله لكل من سيبويه، وابن خلدون، وبيان أهم المقاربات بينهما وبين المنهج التوليدي التحويلي وتقديمها في ضوء الألسنية الحديثة.

لكن، وقبل الخوض في دراسة القضايا اللغوية التي أشار إليها ميشال زكريا عند سيبويه، لا بد أن نتوقف عند مفهوم الجملة عند القدامى والمحدثين، وبيان منهجهم وطرقهم في تناولها وتحليلها وذلك للوقوف على مدى التقارب بين نظرة القدامى ومنهم سيبويه وبين الألسنية الحديثة وخصوصاً الألسنية التوليدية التحويلية.

2.3 في مفهوم الجملة عند النحاة العرب

في البداية لا بد من الإشارة إلى أن النحاة الأوائل لم يستخدموا مصطلح الجملة للدلالة على التراكيب اللغوية، بل نجدهم استخدموا مصطلح الكلام، فقد جعلوها مرادفة للكلام فابن جني يعرف الكلام بقوله: "الكلام في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برءوسها المستغنية عن غيرها وهي التي يسميها أهل الصناعة الجمل على اختلاف تراكيبها"[2]. وهذا يعني أن النحاة الأوائل اشترطوا الإفادة من الكلام فلا بد

---

(1) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1986، ص8.

(2) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمَّد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، القاهرة،1965، ج1، ص32.

أن يكون الكلام ذا فائدة، وكذلك فعل سيبويه، فهو لم يستعمل مصطلح "الجملة"، بل نجده يستعمل مصطلح الكلام للتعبير عن موضوعات نحوية كثيرة تدلل على مفهوم الجملة، ولعل قضية الإسناد من أبرز هذه الموضوعات يقول: "هذا باب المسند والمسند إليه وهما ما لا يَغْنى واحدٌ منهما عن الآخَرِ، ولا يَجِدُ المتكلّمُ منه بدّاً فمن ذلك الاسمُ المبتدأُ والمبنيَّ عليه وهو قولك: عبدُالله أخوك، وهذا أخوك، ومثل ذلك يذهب عبدالله فلا بدَّ للفعلِ من الاسمِ"[1]. وهذه إشارة واضحة من سيبويه إلى العناصر الأساسية للجملة في العربية التي تتكون من مسند ومسند إليه، وإن لم يكن يستعمل مصطلح الجملة.

واستمر النحاة من بعد سيبويه في عدم استعمالهم لمصطلح الجملة إلى أن وصل الأمر إلى المبرد، الذي يُعد أول من استخدم مصطلح الجملة[2]، يقول: "وإنما كان الفاعل رفعاً، لأنه هو والفعل جملة يحسن السكوت عليها وتجب بها الفائدة للمخاطب"[3]، غير أنه لا يخرج عن الأصول الأولى التي اعتمدت مصطلح الكلام في الدلالة على الجملة ولعل هذا خلل في المنهج وطريقة الدراسة، إذ نجده يعود للمصطلح الكلام، يقول: "فالكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى لا يخلو عربيّاً كان أم أعجميّاً"[4]، ونجد هذا الأمر عند ابن السراج فقد استخدم مصطلح الجملة في كتابه الأصول، يقول: "والجمل المفيدة على ضربين إما فعل وفاعل وإما مبتدأ وخبر[5]، وهذه إشارة واضحة إلى نوعي الجملة الفعلية والاسمية وتقوم هذه الجمل على فكرة أساسية وهي الإسناد وهذا ما يؤيده ابن هشام في كتابه مغني اللبيب.

---

(1) سيبويه، الكتاب، ج1، ص23.

(2) نحلة، محمود احمد، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،1988، ص19.

(3) المبرد، المقتضب، 146/1

(4) المرجع نفسه، ص141.

(5) ابن السراج، الأصول، 170/1.

إن أبرز ما يميز البدايات الأولى والجهود التي توالت بعدها، اختلاف وجهات النظر فيما يتعلق بمدى ارتباط مصطلحي الكلام والجملة ببعضهما بعضاً، فهناك نحاة ربطوا بينهما وجعلوهما مترادفين كما فعل سيبويه وابن جني، وكذلك فعل الزمخشري الذي ذهب هذا المذهب القائم على الترادف بين هذين المصطلحين[1]، وسار على نهجه ابن يعيش الذي شرح كتابه، يقول ابن يعيش في هذا الأمر: "اعلم أن الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه ويسمى الجملة"[2]، وعلى النقيض نجد نحاة دعوا إلى التفرقة بين هذين المصطلحين، وهذا ما يمثله رضي الدين الأستراباذي الذي جعل فرقاً واضحاً بين الكلام والجملة يقول: "والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصوداً لذاته فكل كلام جملة ولا ينعكس"[3]، وكذلك ذهب ابن هشام إلى تبني هذا الموقف في عدم الترادف بين المصطلحين[4].

وخلاصة القول في هذا الأمر، أن النحاة الأوائل وإن اختلفوا في تحديد المصطلح الدال على الجملة، أو تباينت مواقفهم في ترادف مصطلح الجملة مع الكلام من عدمه، تبقى الفكرة الأساس التي تنطلق منها الجملة وهي الإسناد الفكرة التي سيطرت على تعريفات النحاة العرب إلى جانب فكرة الإفادة التي تتحقق للسامع والمتكلم في آن واحد.

أما فيما يتعلق بتقسيم الجملة في العربية عند النحاة العرب، فنجدهم قسموا الجملة بناءً على اعتبارات الشكل أو المبنى، أو على اعتبار إمكانية الإعراب من عدمه، أو على اعتبار تركب خبر الجملة من عدمه فكانت الجملة عندهم:

---

(1) الزمخشري، محمود بن عمر، المفصل في علم العربية، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان، ط2، (د. ت)، ص6.

(2) ابن يعيش، شرح المفصل، 20/1.

(3)المالكي، ابن الحاجب عثمان بن عمر، كتاب الكافية في النحو، شرحه رضي الدين محمَّد بن الحسن الاستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ج1، ص8.

(4) ابن هشام، مغني اللبيب، 41-42.

1- فعلية واسمية.

2- لها محل من الإعراب، ولا محل لها من الإعراب.

3- كبرى وصغرى.

وهذه التقسيمات مبثوثة في كتب النحاة العرب[1].

3.3 في مفهوم الجملة عند اللغويين المعاصرين

تنوعت التعريفات وتعددت التي تناولت الجملة في علم اللغة المعاصر لدرجة أن بعضهم أوصلها إلى (140) مئة وأربعين تعريفا[2]، وزادها بعضهم ثلاثاً وثمانين تعريفاً[3]، غير أن ما يميّز هذه التعريفات أنها تلتقي في معظم جوانبها مع ما جاء به علماء العربية من تعريفات محددة للجملة، فجميعها تتفق على مبدأ الإفادة والتعبير عن معنى مستقل بنفسه سواء تركّبت هذه الجملة من كلمة واحدة أو أكثر، ومن أشهر التعريفات التي تناولت الجملة في علم اللغة المعاصر ما جاء بمعجم اللسانيات إذ نجد تعريف الجملة فيه: "مجموعة من المكونات اللغوية مرتبة ترتيباً نحوياً بحيث تكون وحدة كاملة في ذاتها وتعبر عن معنى مستقل"[4].

إن تعدد الرؤى والمنطلقات الفكرية هو ما منح الجملة هذه التعريفات المتعددة التي تقترب من مائتي تعريف، وهذا ما يشير إليه "دي بوغراند" حيث يؤكد أن تعريف الجملة تشعب وتعدد وأحاط به الغموض، يقول: "من المتعلق أن هذا التركيب (الجملة) قد أحاط به الغموض والتباين حتى في وقتنا الحاضر، وما زالت هناك

---

(1) انظر: سيبويه الكتاب، 23/1، ابن يعيش، شرح المفصل، 88/1. والسيوطي، همع الهوامع، 39/1.

(2) حنّا، سامي عيد؛ كريم زكي، حسام الدين؛ وجريس، نجيب، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1997 ص13.

(3) نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص11.

(4) حنا وآخرون، معجم اللسانيات الحديثة، ص129.

معايير مختلفة لجملية الجملة دون الاعتراف صراحة بأنها تعريفات نهائية كونها أساساً لتوحيد تناول موضوعها"[1].

ومن الذين تناولوا مفهوم الجملة "دي سوسير"، وذلك من خلال حديثة عن اللغة، فهو يرى أن اللغة "نتاج يتقبله ويسجله المتكلم دون أن يقوم بأي نشاط له فيها ألبتة بل ليس لتفكيره فيها من نشاط سوى نشاط الترتيب"[2]، وهذا يعني أن اللغة عنده تقوم على التركيب وخير وسيلة للتعبير عن هذا التركيب هي الجملة وفي هذا يقول: "الجملة أحسن نموذج يمثل التركيب/ السياق، إلا أنها من مشمولات الكلام لا اللغة، أفلا ينجر عن ذلك أن يكون التركيب أيضاً من مشمولات اللفظ/ الكلام"[3]، وبناءً عليه، فإن دي سوسير يعتبر الجملة من مشمولات الكلام لا اللغة فالإنسان عندما يتكلم يستخدم نظامه اللغوي في التوليف وربط الأجزاء اللغوية بعضها ببعض منتجاً من ذلك ما يسمى بالجملة.

وفي سياق غير منفصل، يرى "فندريس" أن الجملة هي: "عنصر الكلام الأساسي، فبالجمل يتبادل المتكلمان الحديث بينهما، وبالجمل حصَّلنا لغتنا، وبالجمل نتكلم وبالجمل نفكر أيضاً كما أن الصور اللفظية يمكن أن تكون في غاية التعقيد والجمل تقبل بمرونتها أداء أكثر العبارات تنوعاً، فهي عنصر مطاط وبعض الجمل تتكون من جملة واحدة "تعال" و "لا" و"أسفاه" و "صه" كل واحدة من هذه الكلمات تؤدي معنى كاملاً يكتفي بنفسه"[4].

---

(1)دي بوغراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسن، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1988، ص88.

(2)دي سوسير، فردنياند، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح الفرماوي ومحمَّد الشاوش ومحمَّد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985، ص34.

(3) دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص188.

(4) فندريس، ج، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي وحمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، مطبعة نخبة البيان، باريس، 1950، ص101.

ومن التعريفات التي اتسمت بطابع صوتي عند رومان جاكوبسون الذي اعتمد الجانب الصوتي التنغيمي الذي يظهر عند انتهاء الكلام، فيعرِّف الجملة على أنها "وحدة نغمية بين وقفتين" [1]، ومن التعاريف التي راعى فيها أصحابها جانب الإسناد تعريف بلومفيلد الذي عرَّف الجملة على أنها "وحدات لغوية مكونة من مبتدأ وخبر"[2]، ومع ظهور المنهج التوليدي التحويلي في اللسانيات المعاصرة اعتمدت في تعريفها للجملة على أسس ومنطلقات فكرية جديدة تقوم على مبدأي التوليد والتحويل، فالجملة عندهم "مجموعة من العبارات تخلقها ميكانيكية القواعد في النموذج التوليدي"[3]. ويقدّم لنا إبراهيم أنيس تعريفاً للجملة إذ يقول: "هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة أو أكثر"[4]. فالكلام لا بد أن يسير على نظام أو ترتيب معين يتشكل من خلال البناء الأساسي له وهو الجملة لتحقيق الفائدة المتبادلة بين السامع والمتكلم.

وعن أقسام الجملة في علم اللغة المعاصر نجد أن اللسانيين في العصر الحديث اتجهوا إلى تقسيم الجملة إلى أقسام متنوعة قامت على فكرة أساسية ينطلق منها التقسيم، فعلى سبيل المثال نجد الجملة الإفصاحية (الانفعالية) [5]، والجملة المنطقية[6].

غير أن التقسيم الذي درج عليه علماء اللغة المحدثون هو التقسيم المتعارف عليه الذي يقوم على قسمين كبيرين: الجملة الفعلية والجملة الاسمية وهذا تقسيم متعارف عليه في جميع اللغات، وهذا ما ذهب إليه أنطوان مييه حين قال: "فإذا كانت

---

(1) ياكوبسون، رومان، ست محاضرات في الصوت والمعنى، ترجمة حسن ناظم، وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994، ص91.

(2) الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص34-36.

(3)حنا وآخرون، معجم اللسانيات الحديثة، ص130.

(4) أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط6، 1978، ص260.

(5) حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص190.

(6) أنيس، من أسرار العربية، ص299.

هناك لغات لا تحتوي على صيغة متميزة لكل من الاسم والفعل فإن جميع اللغات تتفق في التمييز بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية"[1].

غير أن بعض الباحثين أضاف أنواعاً أخرى من الجمل، فعبد الرحمن أيوب يرى أن الجملة نوعان: إسنادية وغير إسنادية، فالجملة الإسنادية تنحصر في الجمل الاسمية والفعلية. أما الجمل غير الإسنادية، فهي جمل النداء، والتعجب، والمدح، والذم وغيرها[2].

ويرى محمد حماسة عبد اللطيف أن الجملة تنقسم إلى: جملة موجزة اسمية، وجملة موجزة فعلية، فالأولى تتكون من اسم مرفوع بعد لولا، والثانية تتكون من كل فعل استتر فاعله[3].

إن هذه التقسيمات التي انطبعت بها الجملة عند علماء اللغة المعاصرين ما هي إلى تقسيمات تنطلق من رؤية فكرية تبناها أصحاب هذه التقسيمات، وتعبر إلى حدٍّ بعيد عن طرائقهم ومناهجهم في التحليل اللغوي.

4.3 استقامة الكلام عند سيبويه ورؤية ميشال زكريا لها.

تعد هذه القضية من أبرز قضايا التراث اللغوي التي تناولها ميشال زكريا بالدراسة والتحليل، التي يحاول فيها بيان مدى الفهم اللغوي المتطور عند سيبويه من خلال آرائه اللغوية في هذه القضية، ومحاولة ربط هذه الآراء بآراء المدرسة التوليدية التحويلية، ممثلة برائدها تشومسكي، ولعل الهدف من دراسة استقامة الكلام عند سيبويه كما يقول زكريا، يأتي لأمرين هما.

---

(1) فندريس، اللغة، ص162.

(2) أيوب، عبد الرحمن، دراسات نقدية في النحو العربي، مكتبة الأنجلو مصرية، د.ت (ق2)، ص129.

(3)عبد اللطيف، محمَّد حماسة، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، دار الفكر العربي، الكويت، 1984، ص90.

1- بيان الآراء اللغوية المتطورة المتعمقة التي أتى بها سيبويه في ما يختص باستقامة الكلام وإحالته.

2- إظهار هذه الآراء من منطلق علمي حديث؛ بغية الاستفادة منها في الدراسات الألسنية الحديثة[1].

إن الحديث عن مفهوم الاستقامة في الكلام عند سيبويه أمر أفرزته اللسانيات المعاصرة وخصوصاً التوليدية منها، فسيبويه بحث في أصولية الجملة من حيث كونها صحيحة نحوياً وتركيبياً وهذا أصل من الأصول التي دعت إليها النظرية التوليدية التحويلية في بداياتها الأولى، فتشومسكي دعا إلى أن تكون الجملة المنجزة صحيحة نحوياً تخضع للحدس اللغوي عند ابن اللغة وإن لم تكن صحيحة دلالياً، فالتركيز هنا على الجانب النحوي التركيبي بعيداً عن الجانب الدلالي، غير أننا لا نستطيع أن نعزل التركيب عن الدلالة فالغاية من الكلام أو الجملة هو الإفهام، وهذا ما اتفق عليه جُلَّ علماء العربية عندما قدموا لنا تعريفاً للكلام أو الجملة، وهو الموقف ذاته الذي تبناه علماء اللغة المعاصرون اشترطوا الإفهام في التركيب اللغوي (الجملة).

وانطلاقاً من هذه الرؤية عقد ميشال زكريا فصلاً في كتابه "بحوث ألسنية عربية" حول الاستقامة من الكلام والإحالة عند سيبويه، وحاول في هذا الفصل الوقوف عند أبرز المصطلحات التي أطلقها سيبويه على الكلام، وتتبع في سبيل ذلك الأمثلة التي جاءت بالكتاب، التي استشهد بها سيبويه على ما يقول وأشار إلى المادة العلمية اللغوية التي اعتمد عليها سيبويه في تناوله لهذا الباب، وبين علاقة الحدس باستقامة الكلام في الجملة، وأنجز زكريا فصله هذا بالحديث عن وجوه التلاقي بين سيبويه وتشومسكي فيما يخص القضية اللغوية.

---

(1) زكريا، بحوث ألسنية عربية، ص11.

وسأحاول في قادم الصفحات الوقوف على جهود زكريا في هذا الجانب محاولاً تقديمها بصورة مبسطة، وعلى النحو الآتي:

1- في المصطلحات وأسباب اختيار المصطلح.

2- الحدس وعلاقته باستقامة الكلام.

3- التلاقي بين تشومسكي وسيبويه.

1.4.3 في المصطلحات وأسباب الاختيار.

قبل أن نشرع بالحديث عن باب الاستقامة عند سيبويه لا بد من الإشارة إلى أن سيبويه لم يستعمل مصطلح (الجملة) مطلقاً في التعبير عن التراكيب اللغوية، بل استخدم مصطلح الكلام وهذا واضح في تعريفه للكلام إذ يقول: "هذا بابُ علم الكلام من العربية، فالكَلِمُ اسمٌ، وفِعْلٌ، وحَرْفٌ، جاء لمعنىً، ليس باسم ولا فعل"[1]، وبالحديث عن باب استقامة الكلام نجد سيبويه يقسم الكلام إلى أقسام متنوعة يذكرها في باب خاص أسماه "باب الاستقامة من الكلام" يقول في هذا الباب: "هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة: فمنه مستقيم حسن ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس، وسآتيك غداً، وأما المحال فإنك تنقض أول كلامك بآخره فتقول، أتيتك غداً، وسآتيك أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه، أما المستقيم القبيح فإنك تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكي زَيدٌ يأتيك، وأشباه هذا، وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشربُ ماءَ البحرِ أمسِ"[2].

إن النص السابق لسيبويه يؤكد فيه أن لكل كلام صحة أو فساداً في التركيب أو في المعنى (الدلالة) أو في كليهما، فلفظ (الاستقامة) يعني وضع الألفاظ موضعها من الجملة وفي ترتيبها الصحيح، ولفظ (القبيح) عنى به وضع الألفاظ في غير موضعها

---

(1) سيبويه، الكتاب، 12/1.

(2) المرجع نفسه، 25/1 -26.

من الجملة أما لفظ (الكذب) عنى به فساد المعنى، ولفظ (المحال) عنى به فساد التركيب والأمثلة السابقة تدلل على ذلك.

ويشير زكريا إلى فئات الكلام كما صنفها سيبويه، ويضعها ضمن المخطط الآتي:

الاستقامة من الكلام	الإحالة من الكلام
مستقيم حسن	محال
مستقيم كذب	محال كذب
مستقيم قبيح	

ونلحظ في المخطط السابق خلوه من ذكر (محال حسن أو محال قبيح)، ويعلق زكريا على ذلك بقوله: "لا يوجد أي ذكر لكلام محال حسن أو قبيح وذلك لأن الكلام الذي يُستحال تركيبه في اللغة ليس بمقدورنا أن نصفه بصفة الحسن أو القبيح، في حين أن بإمكان الكلام أن يكون محالاً وكذباً في الوقت نفسه"[1].

المصطلحان (مستقيم ومحال)

بالحديث عن هذين المصطلحين لا بد لنا من الإشارة إلى أن معيار الاستقامة والاستحالة فيها لا يعود إلى جوانب تتعلق بالمعنى (الدلالة)، وإنما يقومان على أسس تركيبية تتعلق بنحو الجملة، ويعرف ميشال زكريا الكلام المستقيم بأنه "الكلام غير المنحرف عن الأصول اللغوية أي الملتزم بقواعد اللغة"[2]، في حين أن الكلام المحال "هو الكلام الذي ينحرف عن الأصول من حيث أن تركيبه وبناءه لا يراعي القواعد التركيبية للغة"[3]، ويتوقف زكريا عن سبب اختيار سيبويه لهذين المصطلحين للدلالة

(1) زكريا، بحوث ألسنية عربية، ص13.

(2) المرجع نفسه، ص14.

(3) المرجع نفسه، ص15.

على استقامة الكلام أو استحالته وهو يُرجع اختيار سيبويه لهذين المصطلحين لأمرين، هما: [1]

الأول: العامل الديني: فقد نشأ البحث اللغوي في أجواء دينية، وذلك انسجاماً مع ضرورة عدم الانحراف عن القواعد اللغوية في القراءة القرآنية خلال ممارسة العبادات إلى جانب أن لفظ (مستقيم) ترد في صلاة النحاة العرب المسلمين التي يرددونها في فاتحة الكتاب في أثناء صلاتهم، فكان اختيار هذه اللفظة (مستقيم) للدلالة على الكلام الصحيح كما هو الحال في الدين.

الثاني: العامل المنهجي العلمي: باعتبار أن النحاة الأوائل عمدوا إلى منهج علمي دقيق في الدراسة اللغوية يتسم بقيامه على أصول وخطوط عريضة قامت عليها الدراسة اللغوية.

ويتوقف ميشال زكريا عند التعبيرات المتعددة التي يستعملها سيبويه في التعبير عن مصطلحات (مستقيم حسن، مستقيم قبيح، محال)، فسيبويه كما يقول زكريا: "نلاحظ أن سيبويه لا يلتزم في مجال تحاليله اللغوية بالتعابير وحدها التي أوردها في مقدمة الكتاب والمتعلقة بتقويم الكلام وتصنيفه، بل يلجأ من وقت إلى آخر إلى تعبيرات أخرى متنوعة جداً نراها هنا وهناك كلما أراد تحليل المعطيات اللغوية ووضع قاعدة معينة"[2]، وزكريا يضع هذه التعبيرات وفق مخطط دقيق تتبعها في الكتاب، ومن ذلك ما نجده في مصطلح (مستقيم حسن) إذ عبَّر عنها سيبويه بعبارات مثل (حسن، أحسن وأجود، أحسن وأكثر، حسن عربي أحسن وهو الوجه...الخ) ومصطلح (مستقيم قبيح) بعبارات مثل (قبيح، قبيح ولا يقال، أقبح، فراراً من القبح...الخ) ومصطلح (محال) بعبارات من مثل (محال، استحال الكلام، لا يحسن، تستحيل...الخ) [3]، وهذا إن دلَّ على شيء إنَّما يدل على مدى الترادف الواضح في

---

(1)زكريا، بحوث ألسنية عربية، ص16.

(2) المرجع نفسه، ص17.

(3) المرجع نفسه، ص17.

البدايات الأولى للدرس اللغوي في الاستقرار على مصطلح لغوي يعبر عن الظاهرة اللغوية كما ظهر لنا سابقاً في اعتماد مصطلح (الكلام) للدلالة على الجملة، وكما ظهر لنا عند سيبويه في مصطلحاته السابقة.

وينتهج زكريا منهجاً تطبيقياً للوقوف على صحة ما ذهب إليه سيبويه في تقسيمه للكلام، وهذا ما يثبته تتبع ورود لفظ "محال" في الكتاب، ومن ذلك استعمالها فيما يتعلق بموقع الاسم وفيما يختص بعلاقة اسم بآخر وفي مجال فعل الأمر، وفيما يتعلق باستعمال حرف الجر وغيرها من القضايا التي يحفل بها الكتاب – أعني كتاب سيبويه–.

ولتقريب الصورة لذهن القارئ أقدم هذا المثال الذي يقدمه زكريا في كتابه (بحوث ألسنية عربية) حول مصطلح (محال)، وهو استعماله فيما يتعلق باستعمال حرف الجر، يقول سيبويه: "وزعم الخليل رحمه الله أن قولهم رَبِحَتُ الدرهمَ درهماً محالٌ حتَّى تقول في الدرهمِ وللدِّرهمِ وكذلك وجدنا العرب تقول"[1]، وهذا يعني أن جملة: ربحت الدرهم درهماً محالة وغير أصولية؛ لأن حرف الجر لم يستعمل في هذا الموضع واستعمال حرف الجر هنا إلزامي والجملتان الأصوليتان هما:

1– ربحت في الدرهم درهماً. 2– ربحت للدرهم درهماً[2].

والاستحالة هنا عائدة إلى مسألة تركيبية نحوية لا دلالية تتعلق بالمعنى.

المصطلحان (قبيح وحسن)

نلحظ أن سيبويه قد قرن هذين المصطلحين بمصطلح "المستقيم" وهذا له دلالة واضحة على مدى قرب أو انحراف الجملة عند الحكم على أصوليتها التركيبية، وهذا يعود إلى استخدام بعض المظاهر النحوية التي قد تُبعد الجملة عن أصولية الكلام العربي، ويبين زكريا هذين المصطلحين من خلال تتبعه لبعض المظاهر اللغوية في كتاب سيبويه التي وردت فيها لفظة "قبيح" فيما يتعلق بالظرف وفي مجال الصفة

(1) سيبويه، الكتاب، 395/1.

(2) زكريا، بحوث ألسنية عربية، ص21.

وغيرهما، وعلى سبيل التوضيح يقدم زكريا أمثلة على أصولية الجملة من عدمها عند اقترانها بمصطلح "قبيح" وعلى سبيل المثال ما نجده في استعمال مصطلح "قبيح" مع الصفة، يقول سيبويه: "وتقول مررت برجلٍ أَسَدِ شِدّةً وجُرأةً إنّما تريد مِثْلَ الأسدِ وهذا ضعيفٌ قبيح، لأنَّه اسم لم يُجْعَلْ صفةً وإنّما قاله النَّحويُّون تشبيهاً بقولهم مررتُ بزيدٍ أسداً شِدَّةً"[1]، ويعلق زكريا على كلام سيبويه بأن جملة "مررت برجل أسد شدّة وجرأة" جملة مستقيمة قبيحة؛ لأن الاسم "الأسد" في رأي سيبويه لم يجعل صفة والكلام المستقيم الحسن هو "مررت بزيد أسداً شدّة"[2].

ولعلّنا هنا نتوقف قليلاً عند مسألة مهمة، وهي ما الفرق بين المستقيم القبيح والمحال؟ إن الإجابة عن هذا التساؤل قدمه لنا سيبويه من خلال الأمثلة التي ساقها على مصطلحات سابقة الذكر، فالمستقيم القبيح نجد له أمثلة كثيرة في الشعر، في حين أن مصطلح المحال الذي يعني خروج الكلام عن فئة الكلام العربي مطلقاً فلا يجوز في شعرٍ أو نثرٍ، وسيبويه أجاز الكلام المستقيم القبيح في الضرورة الشعرية وهذا يعني أن المتحكم في مثل النوع من الكلام قواعد الضرورة الشعرية، لذلك نجد سيبويه قد عقد باباً تطرق فيه إلى الضرورة الشعرية.

مصطلح الكذب

نلحظ أن هذا المصطلح "الكذب" يندرج ضمن مصطلحي "الاستقامة و الإحالة" فمن خلال الأمثلة التي جاء بها سيبويه في باب استقامة الكلام واقترنت بمصطلح الكذب نجدها لا تدخل في عملية وضع القواعد التركيبية النحوية، وإنما ترتبط بقضايا دلالية، فالكلام المستقيم الكذب هو الكلام المقبول نحوياً لموافقة تركيبه نظام العربية غير أنه مرفوض دلالياً؛ لأنه لا يراعي المستوى الإدراكي للعقل البشري كما في جملة "حملت الجبل"[3]، فهذا التركيب لا يقبله عقل وعليه فلا بد من رفضه والإشارة

(1) سيبويه، الكتاب، 434/1.

(2) زكريا، بحوث ألسنية عربية، ص29.

(3) المرجع نفسه، ص32.

إليه وإن كان بناؤه التركيبي سليماً نحوياً، وهذا أمر فطن إليه سيبويه وعقد فيه فصلاً بين الدلالة والنحو واعتبر فيه أن الدلالة لا تدخل في تحديد استقامة الكلام.

إن مصطلح "استقامة الكلام" كما يظهر لنا عند سيبويه يركز على جانب السلامة النحوية للتراكيب اللغوية فقط، غير أن أي تركيب لغوي لا بد أن يهتم بمستوى الإفهام انطلاقاً من تعريف الكلام (الجملة) عند سيبويه وعند غيره من نحاة العربية الأوائل، فقد نجد كثيراً من التراكيب السليمة نحوياً والمجردة من أي دلالة وعليه قد نقبل جملاً من مثل "سآتيك أمس" انطلاقاً من كونها تلتزم بقواعد اللغة العربية وتتسم بالسلامة النحوية مهملة في الوقت نفسه الجانب الدلالي المنطقي الذي هو المقصود من العملية اللغوية.

وإذا نظرنا إلى الأمثلة التي جاء بها سيبويه نجدها ابتدأت بأفعال أعطت دلالات مختلفة بمساعدة ظروف تناقض زمن هذه الأفعال، وليست هذه الأفعال من أعطت الدلالات المحالة أو المستقيمة أو الكاذبة حكمها عند سيبويه، بل التركيب اللغوي ككل.

ومهما يكن فسيبويه عندما أطلق مصطلح "الاستقامة" قصد به الاستقامة النحوية، وفي إطلاقه للمصطلح "محال" قصد به استحالة التركيب من ناحية نحوية، وعندما يطلق مصطلح "كذب" قصد به استحالة التركيب من جهة دلالية مع قبوله نحوياً، فسيبويه "وإن تكلّم في النحو فقد نبّه في كلامه على مقاصد العرب وأنحاء تصرفاتها في ألفاظهم ومعانيها ولم يقتصر فيه على بيان أن الفاعل مرفوع، وأن المفعول به منصوب ونحو ذلك، بل هو يبين في ما يليق به، حتى أنه احتوى على علم المعاني والبيان ووجوه تصرفات الألفاظ والمعاني"[1].

(1)عبد اللطيف، محمَّد حماسة، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار السلام، القاهرة، 1983، ص16-17.

2.4.3 معايير (مقاييس استقامة الكلام عند سيبويه)

مما لا شك فيه أن سيبويه لم يكن يصدر أحكامه اللغوية على الاستعمالات اللغوية المتنوعة جزافاً أو يصدرها تبعاً لرأيه وهواه الخاص، بل كان يتمثل في ذلك كلام العرب سواء ما سمع منه أو ما روي له، فكانت بالنسبة له مرجعاً يركن إليه في وضع أحكامه اللغوية وإطلاقها على ظواهر اللغة التي تناولها بالجمع والدراسة.

إن المرجع الطبيعي للتأكيد استقامة الكلام من عدمه، وكما يؤكد ذلك ميشال زكريا هو السليقة العربية الأصلية، التي من خلالها نستطيع الحكم على أصولية الكلام العربي من عدمه والمقصود بالسليقة اللغوية عند زكريا اللسان العربي الذي يصدر عنه الكلام الموثوق به وبالتالي يصح الاستشهاد به على ظواهر اللغة فالكلام العربي المستقيم هو الذي يرد على ألسنة العرب الموثوق بكلامهم[1]، فسيبويه في جمعه للغة العربية ودراستها عمد إلى سماع كلام العرب، وأخذ قواعده منه، فكان كلام العرب المادة الأساسية التي جمع سيبويه قواعده من خلالها غير أنه لم يكتف بكلام العرب فقط، بل نجد أن المادة اللغوية التي اعتمد عليها غزيرة فهو يعتمد على القرآن الكريم وبعض شواهد الحديث، وشواهد الأرجاز، وشواهد الأمثال، وأخذ عن قبائل العرب الموثوق بصحة لسانهم كتميم وأسد وقيس بن عيلان وغيرهم، وهذا ما أشار إليه زكريا في مبحث المادة اللغوية المعتمدة في الكتاب[2]، ويعرج زكريا على أبرز الشروط التي اعتمدها سيبويه في كتابه لاعتماد المادة الكلامية وقبولها وأبرز هذه الشروط هي: [3]

1- عدم اختلاط العربي بالأعاجم.

2- انعزال موقع القبيلة الجغرافي عن تأثير الأعاجم.

3- شاعرية الشاعر الذي يؤخذ عنه والمعترف بها في الأوساط الشعرية.

---

(1) زكريا، بحوث ألسنة عربية، ص35.

(2) المرجع نفسه، ص36.

(3) المرجع نفسه، ص42

4- والثقة في سلامة لغة العربي الذي يسألون حدسه اللغوي.

إلى جانب شروط أخرى لم يذكرها زكريا، ولعل اعتماد سيبويه على هذه الشروط وغيرها في قبول المادة الكلامية تسهم إلى حدٍّ كبير في تماسك هذه المادة اللغوية الغزيرة والمتنوعة، وهذا دليل واضح على مدى تماسك المنهج العلمي عند سيبويه في البحث اللغوي على حد قول زكريا[1].

5.3 التقارب بين سيبويه والنظرية التوليدية التحويلية

سنعرض فيما يلي بعض المسائل التي تظهر مدى التقارب بين الفكر اللغوي عند سيبويه والفكر اللغوي في الألسنية التوليدية التحويلية، ويظهر هذا التقارب في النقاط الآتية:

1- ينظر سيبويه إلى القواعد اللغوية من حيث هي قواعد جمل، فهو يولي التراكيب اللغوية عنايته على حساب المفردات، فالكلام (الجملة) عند سيبويه هي وحدة البحث اللغوي[2]، ومجال الدراسة والنظرية التوليدية التحويلية تنظر إلى المكوِّن التركيبي من حيث هو المكون التوليدي الوحيد في اللغة، وتعتبر المكوِّنين الصوتي والدلالي وسيلتين للتفسير[3].

2- يعتمد سيبويه في الحكم على سلامة الكلام (الجمل) وأصوليته على الحدس اللغوي لدى العربي الموثوق به، فسيبويه يسأل العرب الموثوق بهم، والحدس اللغوي هو الركيزة الأساسية التي ينطلق منها الباحث في الألسنية التوليدية والتحويلية عندما يضع قواعده اللغوية، فالحدس يمد المدونة الكلامية بالمادة الكلامية الأساسية[4].

---

(1) زكريا، بحوث ألسنة عربية، ص43.

(2) المرجع نفسه، ص46.

(3) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص57.

(4) زكريا، بحوث ألسنية عربية، ص48.

3- الفصل بين الجانب النحوي والدلالي: إن النظرة الفاحصة لما جاء به سيبويه في باب استقامة الكلام، يكشف لنا أن الكلام عند سيبويه إما أن يكون مخالفاً لقواعد التركيب؛ لخروج التراكيب عن قواعد اللغة، وإمّا أن يكون مخالفاً للمعنى كقولنا: حملتُ الجبل أو شربت ماء البحر...الخ، ونجد بعض الباحثين ومنهم ميشال زكريا " يؤكد أن الحكم على أصولية الجملة يتم من خلال الالتفات إلى التراكيب اللغوية وما تتضمنها من علاقات لغوية قائمة بينها والأمر نفسه نلاحظه عند سيبويه"[1]، والدرس اللغوي العربي لا يتفق مع هذه النظرية في فصل المعنى عن نظام التراكيب، ولكنه يوافقها في أن نظام الجملة قد يكون موافقاً لنظام العرب في كلامها أي تكون الجملة صحيحة قواعدياً كما تقول النظرية التوليدية، ولكنها غير صحيحة من ناحية المعنى[2]، فالنظرية التوليدية التحويلية تعتمد في حكمها على نحوية الجمل على القواعد الكلية التي يدركها المتعلم والسامع المثالي، ويوضح تشومسكي ذلك من خلال المثالين الآتيين اللذين يكشفان صحة الجملة من عدمها:

1- Colorless green Ideas sleep furiously.

(الأفكار الخضراء التي لا لون لها تنام بشدّة)

2- Furiously sleep ideas green colorless.

(بشدة تنام الأفكار الخضراء التي لا لون لها) [3].

فالجملة الأولى يدرك المتكلم والسامع المثالي الإنجليزي بأنها بلا معنى، ولكنها تنتظم قواعدياً ويدرك أن المثال الثاني جملة بلا معنى ولا انتظام في

---

(1) زكريا، بحوث ألسنية عربية، ص51.

(2)النعيمي، حسام سعيد، ابن جني عالم العربية، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والأعلام، الجمهورية العراقية، ط1، 1990، ص174.

(3)تشومسكي، البنى النحوية، ص19.

مفرداتها طبقاً لقواعد النحو الإنجليزي فليست جملة نحوية[1]، وهذا ما دفع تشومسكي إلى القول إلى أن أي بحث عن تعريف لـــ (القواعدية) يعتمد على الدلالة يكون عقيماً.... لذا اعتقد أنه "لا مناص من القول إن نظام القواعد مستقل عن المعنى"[2]، غير أن تشومسكي يعود عن هذه الفكرة في نظريته المعيارية أو النموذجية إذ نجده يدخل العنصر الدلالي للعملية اللغوية[3].

6.3 جهود ميشال زكريا في الفكر اللغوي عند ابن خلدون وربطه بالألسنية التوليدية

تمهيد:

إن الحديث عن الفكر اللغوي عند ابن خلدون يطول لما له من آراء قيمة في اللغة والنحو وتعليم اللغة والأدب وهي آراء مبثوثة في كتابه الغني عن الذكر والمعروف باسم "مقدمة ابن خلدون"، وهي آراء تنم عن مدى فهم ابن خلدون لقضايا اللغة وأسرارها فهماً عميقاً دقيقاً تستحق منّا كباحثين ودارسين الوقوف عندها وتناولها في الدراسة، فهي آراء نابعة من عقلية عربية فذة تعمد إلى الاستقراء والتحليل واستنباط الأحكام وتفسيرها.

ابن خلدون وعلى الرغم من كونه مؤرخاً ورجل اجتماع وتاريخ، إلا أنه تميز في الدراسة اللغوية وهذا أمر ليس مستغرباً عليه فهو رجل موسوعي مثقف ومطلع وصاحب بصيرة متفردة، إذ إننا نجد في مقدمته المشهورة قضايا أساسية في اللغة والأدب، ولا يكتفي بالإشارة إليها وحسب بل يتناولها بالشرح والتعليق وأحياناً يقدم فيها حلولاً شافية لما أشكل فيها.

---

(1) عمايره، في نحو اللغة وتراكيبها، ص57.

(2) تشومسكي، البنى النحوية، ص19-20.

(3) الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، ص59-60.

لقد أدرك ابن خلدون أهمية اللغة ودورها في العمران البشري فهي مقوم أساسي من مقومات العمران ووسيلة من وسائل التواصل البشري التي يُعبّر بها المتكلم عن قصده ومراده، فانبرى يتحدث عنها وعن ماهيتها وخصائصها وطُرق اكتسابها وتحصيلها وأحوالها، وابن خلدون في سبيل ذلك نهج منهجاً نظرياً ربطه بالمنحنى التطبيقي، فهو يوازن بين النظرية والتجريب ويسوق في سبيل ذلك الأمثلة والبراهين على صحة ما يقول، لقد تحسس ابن خلدون أهمية اللغة بوصفها جسراً للتواصل بين الأفراد وبين الأمم والشعوب وعبر عن الوظيفة الاجتماعية للغة وسار على نهج من سبقه من علماء العربية القدامى كالخليل، سيبويه، ابن جني، وغيرهم في الحديث عن اللغة ونبش جوانبها وأسرارها، وتحدث عن العلاقة القائمة بين اللغة والعلوم الأخرى كعلم المنطق والفلسفة وعلم النفس وعلم التربية، وله في ذلك آراء متفردة وذات قيمة عند الدارسين والباحثين.

ومع بروز الدراسات اللسانية الحديثة، واهتمامها بالقضايا التراثية اللغوية عند علماء العربية القدامى، أصبحنا نجد اهتماماً واضحاً بربط الدراسات اللسانية الحديثة بالدراسات اللسانية التراثية عند العرب لتملأ الدراسات اللسانية الحديثة ثراءً وقيمة وبما أن الفكر اللساني عند ابن خلدون يشكل معيناً لا ينضب لأي باحث من خلال مؤلفاته الزاخرة بآرائه اللغوية وأفكاره اللسانية المتفردة التي جاءت جلّها في كتابه "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" والمشهور بمقدمة ابن خلدون، لقي هذا الفكر اهتماماً من الدارسين واللسانيين المعاصرين، وكان من أبرزهم ميشال زكريا الذي التفت إلى فكر ابن خلدون اللساني، وتناوله بالدراسة في بحوث لغوية ضمنها كتابه "بحوث ألسينة عربية"تناول فيه تعريف اللغة عند ابن خلدون، وأشار إلى مدى التقارب والتشابه بين فكر ابن خلدون والألسنية الحديثة، ولم يقتصر الأمر على هذا وحسب بل نجد زكريا أفرد مؤلّفاً خاصاً تناول فيه الملكة اللسانية عند ابن خلدون في كتابه "الملكة اللسانية

في مقدمة ابن خلدون" حيث تناول فيه ماهية الملكة اللسانية وخصائصها وشروطها والظواهر النفسية والاجتماعية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً.

ميشال زكريا واحد من اللسانيين العرب المعاصرين الذين التفتوا إلى الأهمية البالغة في دراسة الفكر الخلدوني المميز، وهو بهذا سعى إلى الاستفادة منه في حقل الدراسات اللغوية الحديثة يقول: "إن الجانب اللغوي في فكر ابن خلدون يرتدي أهمية ملحوظة مثله مثل الجانب السياسي والاجتماعي، فابن خلدون قد انفرد عن غيره بالنظرة إلى اللغة من حيث كونها ملكة لسانية ومفهوم الملكة اللسانية، كما يتوسع فيه ابن خلدون مفهوم حي معاصر يقارب مفهوم الكفاية اللغوية الذي يركز اهتمامه عليه الألسني الأمريكي نوام تشومسكي في نظريته الألسنية التوليدية والتحويلية"[1].

ويتكشف لنا من كلام زكريا الأسباب التي دفعته إلى دراسة الفكر اللغوي عند ابن خلدون والاهتمام به على وجه الخصوص، ونحن بدورنا نجمل هذه الأسباب في النقاط الآتية:

1- الأهمية الفكرية في الفكر اللغوي عند ابن خلدون، وهو فكر لا يقل أهمية عن الفكر السياسي والاجتماعي عند ابن خلدون فهو في الأساس مؤرخ وعالم اجتماع كما أشرنا سابقاً.
2- آراؤه المتفردة والحصرية في المجال اللغوي وخصوصاً عندما اعتبر اللغة ملكة إنسانية تتعلق ببني البشر فقط.
3- مدى التقارب والانسجام الكبير بين الفكر اللغوي عند ابن خلدون وبين الفكر اللغوي الذي جاء به نوام تشومسكي رائد المدرسة التوليدية التحويلية في الألسنية الحديثة، فكثير من القضايا والأفكار والآراء التي جاء بها ابن خلدون في مقدمته نجدها جلياً في المنهج التوليدي التحويلي كالملكة اللسانية، التي تقابله الكفاية اللغوية عند المنهج التوليدي التحويلي إلى جانب الشمولية اللغوية، فزكريا بوصفه مهتماً بدراسة المنهج التوليدي التحويلي، وتمثله في

(1) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص6.

الدراسة اللغوية إلى جانب شغفه الكبير في دراسة التراث اللغوي العربي ومحاولة ربطه بالألسنية التوليدية التحويلية نجده قد صبّ اهتمامه على دراسة الفكر اللغوي عند ابن خلدون واعتنى به أيّما عناية لبيان مدى الترابط والتقارب الكبير بين الفكر الخلدوني والفكر التوليدي التحويلي.

وفي قادم الصفحات أتطلع إلى محاولة تسليط الضوء على جهود ميشال زكريا في تناوله لأبرز القضايا اللسانية التي تناولها ابن خلدون في مقدمته والمتمثلة في:

1- تعريف اللغة عند ابن خلدون وعلاقته بالمنهج التوليدي التحويلي.

2- الملكة اللسانية عند ابن خلدون وعلاقتها بالمنهج التوليدي التحويلي.

3- قضية اكتساب اللغة وربطها بالمنهج التوليدي التحويلي.

إن هذه القضايا الثلاث تشكل مجتمعة "جزءاً" بسيطاً من الفكر اللغوي عند ابن خلدون، ولعل اقتصارنا على هذه القضايا فقط راجع إلى طبيعة الدراسة والبحث التي تهتم بدراسة الألسنية التوليدية التحويلية التي بدورها تولي القضايا السابقة أهمية كبرى لذلك، سنولي الأهمية فقط لدراسة هذه القضايا، وما يتصل بها في المنهج التوليدي التحويلي دون التشعّب في قضايا لا علاقة للبحث بها.

1.6.3 في مفهوم اللغة عند ابن خلدون وجهود ميشال زكريا في ذلك

قبل الشروع في بسط القول في مفهوم اللغة عند ابن خلدون، لا بد لنا من الإشارة إلى أن مفهوم اللغة تناوله كثير من علماء العربية الأوائل فصّلوا القول فيه، بل اختلفوا فيه كلٌّ حسب هواه وفكره، فمفهوم اللغة اختلف بحسب الزمان والمكان، وبحسب المنطلق الفكري، فنجد لها تعريفاً عند أهل المنطق والفلسفة يخالف تعريف أهل اللغة فكلٌّ ينظر إلى اللغة من منطلقه الفكري وهذا الأمر أفرزته الطبيعة الإنسانية، وفي هذا الجانب يقول كمال بشر: "إن الرجل العادي في القديم والحديث على سواء يستخدم اللغة ويقضي بها حاجاته ويصرِّف بها شؤون حياته وهو لا يدري طبيعتها ولا يدري أسرارها ولا يشغل نفسه بمشكلاتها، وإنما يتكلم بها وأدلى كل

فريق من الفلاسفة والمناطقة والمفكرين بدلوهم في هذا الميدان الواسع المتعدد الأطراف والجوانب، حيث ركزت هذه الفرق الثلاث في اللغة على وظيفتها التي حصروها أساساً في كونها أداة تعبير وتأثير، فهي عندهم وسيلة للتعبير عن الأفكار وظاهرة اجتماعية، ويأخذون اللغة على أنها أداة تواصل وسبيل تبادل المنافع وقضاء المصالح بين أفراد المجتمع"[1].

وفي واقع الأمر نجد اللغويين قد اختلفوا في تحديد مفهوم عام للغة حيث إنّنا نجد آراء ووجهات نظر مختلفة في هذا الجانب، فاللغة عند ابن جني ما هي إلا أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، يقول: "إنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[2]، وهذا ما ذكره أيضاً ابن منظور الإفريقي والسيوطي والجرجاني في مؤلفاتهم[3].

فجميعهم متفقون على أن اللغة في أساسها صوت يُتوصل من خلاله إلى الأغراض المنشودة منها، فهي وسيلة من وسائل التواصل بين البشر.

وبالحديث عن مفهوم اللغة عند ابن خلدون نجده يورد توضيحها في غير موضع من مقدمته المشهورة، وهذا يعني أنه لم يرد أن يضع مفهوماً دقيقاً وواضحاً للغة، بل أراد أن يعبر عن رأيه في اللغة واكتسابها وخصائصها، فهو قبل هذا وذاك مؤرخ وعالم اجتماع وليس بلغوي متخصص، ومع ذلك نجد في تعريفاته وآرائه اللغوية الكثير من الدقة والصواب في التعبير عن مفهوم اللغة وسماتها، التي تتسم بها

---

(1) بشر، كمال، خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1995، ص28.

(2) ابن جني، الخصائص، ص33.

(3) انظر: الإفريقي، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج15، ص250، السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وعلق عليه: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، ج1، ص7. وانظر: الجرجاني، كتاب التعريفات، ص247.

ومن هذه التعريفات التي أوردها في مقدمته قوله: "اللغات إنما هي ترجمان عما في الضمائر من تلك المعاني يؤديها بعض إلى بعض بالمشافهة وبالمناظرة وبالتعليم"[1]، غير أن ابن خلدون يؤكد أن هذا التعريف ضيق؛ لاختصاصه بالجانب التعليمي عند النشء ذلك من خلال طرق التعليم السابقة الذكر كالمشافهة والمناظرة والتعليم.

وفي موضع آخر يوضح ابن خلدون مفهوم اللغة ويُعبر عنها بالملكة وهي متعلقة باللسان، يقول: "اللغة ملكة في اللسان وكذا الخط صناعة ملكتها في البدء"[2]، وأياً يكن، فالابن خلدون تعريف شامل للغة وهو التعريف الذي أورده ميشال زكريا في كتابيه بحوث ألسنية عربية، والملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون حيث تناوله بالشرح والتعليق، وزكريا قبل أن يشرع بالحديث عن الملكة اللسانية عند ابن خلدون استهل دراسته لفكر ابن خلدون بالحديث عن مفهوم اللغة وتعريفها عنده واللغة كما يعرفها ابن خلدون هي على النحو الآتي "اعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتها"[3].

ويتضمن هذا التعريف كما يشير زكريا مسائل مهمة تستطيع أن تستشفها من خلاله وهي: [4]

1- أن اللغة وسيلة للتعبير: فمتكلم اللغة يُعبّر من خلال اللغة عن آرائه ومتطلباته وأحاسيسه.

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، المجلد الثالث،ص 274.

(2) المرجع نفسه، ص 276.

(3) المرجع نفسه، ص 279.

(4) زكريا، بحوث ألسنية عربية، ص62-64، وانظر أيضاً: زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص11-14.

2- أن اللغة فعل إنساني: فاللغة عند ابن خلدون نشاط إنساني يصدر من الإنسان وعبر لسانه ولعله في ذلك يشير إلى قضية مهمة جداً وهي بأن اللغة تختص ببني البشر فقط، وهذا ما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات.

3- اللغة فعل قصدي: وهذا يعني أننا نستخدم اللغة بقصد معين، وهو الإفادة منها بالتواصل بين بعضنا البعض والتعبير عن مرادنا.

4- اللغة اصطلاح وهذا يعني أن اللغة ذات طابع اصطلاحي بين الأمم والشعوب غير أنها تختلف من شعب إلى آخر وبين أمة إلى أخرى وتتمايز فيما بينها، وهذا يفسر تعدد اللغات بين الأمم والشعوب.

5- اللغة ملكة لسانية: وهذا هو أصل التعريف؛ لأن اللغة محلها اللسان، وهي نتاج عقلي عبر عمليات عقلية متعددة وصولاً إلى العضو الفاعل في عملية التكلم وهو اللسان ولا بد من توضيح أمر هام وهو أن وصف اللغة بالملكة أمرٌ يدلل على معرفة ابن اللغة الضمنية للغته، وهو يتصرف بها كيفما يشاء.

6- اللغة ميزة إنسانية مكتسبة: فالإنسان يكتسب لغته من خلال بيئته اللغوية التي يعيش بها منذ مرحلة الطفولة وخلال مراحل نموّه المتعددة، فهو يسمع ويتعلم ويكتسب هذه اللغة معتمداً في ذلك على قدرته الذاتية، ويشير زكريا في هذا البند إلى قضية مهمة وإن لم يذكرها صراحة وهي "اكتساب اللغة الثانية" عندما يتحدث عن اكتساب الكبار للغة قومٍ لا يتكلمون لغتهم الأم أي لغة أخرى غير التي تعلموها و يتحدثونها.

7- اختلاف اللغات من مجتمع إلى آخر: وهذا أمر طبيعي فلكل شعب لغته التي يتحدثها وهذا يمكن لنا أن نسميه التنوع اللغوي أو التعدد اللغوي.

إن استعراضنا لكلام ابن خلدون وما جاء عند زكريا، يقودنا للقول: بأن اللغة تقتضي شخصاً متكلماً وآخر متلقياً يحقق من خلالها مقصداً هاماً في كونها تنقل مراده ومقصده ضمن سياق زماني ومكاني وثقافي، وهي بهذا أي اللغة ذات طبيعة اجتماعية باعتبار الوظيفة الاجتماعية التي تؤديها في التعبير والتواصل والإفصاح عن

مكنونات النفس، وهي صادرة عن الإنسان لذلك قيل أن اللغة فعل إنساني يمتاز به البشر عن سائر المخلوقات، فهو المخلوق الوحيد الناطق والذي يلجأ إلى لغته للتعبير عما يجول في خاطره فاللغة ملكة في لسان صاحبها، وهي تختلف باختلاف الجماعة الناطقة بها فلكل أمة لغتها أو لسانها الخاص الذي تنفرد به عن غيرها من الأمم مع التأكيد على أن كل جماعة لغوية تشترك فيما بينها في لغتها، يُحدِّثون عليها ويطورونها ويصطلحون عليها.

1.1.6.3 اللغة بين ابن خلدون وتشومسكي

في إطار المقاربة بين الألسنية التوليدية التحويلية والتراث الفكري اللغوي عند ابن خلدون يسعى ميشال زكريا إلى بيان أوجه التشابه بينهما من خلال عرضه لأبرز التعريفات التي جاء بها تشومسكي للغة، وهي تعريفات يوردها زكريا على النحو الآتي:

1- "إن كل من يمتلك لغة معينة قد اكتسب في ذاته وبصورة ما تنظيم قواعد تحدِّد الشكل الصوتي للجملة ومحتواها الدلالي الخاص، فهذا الإنسان قد طوَّر في ذاته ما نسميه بالكفاية اللغوية (الملكة اللسانية)، ويشير مصطلح الكفاية اللغوية (الملكة اللسانية) إلى قدرة المتكلم المستمع المثالي على أن يجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني في تناسق وثيق مع قواعد لغته"[1].

2- "اللغة مجموعة جمل كل جملة منها تحتوي على شكل فونتيكي (صوتي) وعلى تفسير دلالي ذاتي يقترن به، وقواعد اللغة هي التنظيم الذي يفصل هذا التوافق بين الصوت والدلالة"[2].

---

(1) زكريا، بحوث ألسنية عربية، ص69.

(2) المرجع نفسه، ص70.

ومن خلال التعريفين السابقين يُبين زكريا النقاط العامة والرئيسة في الفكر اللغوي عند تشومسكي وهي كما يشير إليها: [1]

1- اللغة مجموعة لا متناهية من الجمل.

2- اللغة أصوات تحتوي على دلالات.

3- اللغة ملكة لسانية.

4- اللغة تنظيم ضمني من القواعد.

5- اللغة ميزة إنسانية مكتسبة.

وهذا يعني أن نظرة تشومسكي للغة تتركز في مقدرة المتكلم على توليد وإنتاج الجمل التي سمعها أو لم يسمع بها، معتمداً في ذلك على كفايته اللغوية المستقرة في ذهنه التي تتحكم في العملية اللغوية برمتها من خلال مجموعة من القواعد تخضع لحدس ابن اللغة الناطق بها، فينتج تبعاً لذلك جملاً لغوية قادر على تفهمها.

ومن التعريفات الأخرى التي يمكن لنا أن نضيفه لتعريف اللغة عند تشومسكي ولم يرد عند ميشال زكريا، وإن كان منسجماً إلى حد بعيد مع التعريفين السابقين وهو أن تشومسكي يرى أن اللغة: "عملية معقدة وأن الإنسان يولد ولديه قدرة لغوية محدودة تساعده على اكتساب أية لغة يعيش في مجتمعها"[2].

كما أن تشومسكي يصف اللغة بأنها محكمة (Perfect)؛ لأن الملكة اللغوية محدّدة ببعض الشروط العامة التي تتخذ مكانتها داخل مجموعة الأنظمة المعرفية للذهن/ الدماغ، وتحددها كذلك بعض الاعتبارات العامة للطبيعة التصورية التي تتصف ببعض معايير المعقولية المستقلة كالبساطة والاقتصاد والاتساق وعدم الزيادة[3].

---

(1)زكريا، بحوث ألسنية عربية، ص70.

(2) تشومسكي، نعوم، آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة- مصر، 2005، ص 68.

(3) المرجع نفسه، ص79.

إننا نلمس من التعريفين السابقين السطوة المطلقة للجانب العقلاني في العملية اللغوية عند تشومسكي، فهي عملية عقلية بامتياز معقدة في باطنها تولد مع الإنسان إلا أنها عملية محكمة ومقيدة بشروط عامة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعمليات الذهنية عند ابن اللغة والمتكلم بها.

وبالنظر لتعريفات اللغة عند ابن خلدون وتشومسكي نجد زكريا يعقد مبحثاً مصغراً عن أبرز المسائل المشتركة بين اللغويين العرب القدامى والألسنيين المعاصرين، وما يهمنا نحن هنا التشابه بين فكر ابن خلدون اللغوي وفكر تشومسكي والذي يحدده زكريا في الجدول الآتي: [1].

	المسائل اللغوية/ التعريفات	ابن خلدون	تشومسكي
1-	اللغة ملكة لسانية	نعم	نعم
2-	اللغة فعل قصدي	نعم	نعم
3-	اللغة ميزة إنسانية مكتسبة	نعم	نعم
4-	اللغة اصطلاح	نعم	نعم
5-	اللغة فعل لساني	نعم	نعم
6-	تختلف اللغات من مجتمع إلى آخر	نعم	نعم
7-	اللغة وسيلة تعبير	نعم	نعم

اللغة عند ابن خلدون هي قدرة أبنائها على التعبير والإفصاح عن مقاصدهم واحتياجاتهم الجسدية والفكرية مرتبطة بقصد الإفادة، فالمتكلم يعبر عن مقصوده من خلال لغته التي ينطق بها، ونجد أن ابن خلدون قد اقتصر في حديثه عن مفهوم اللغة على طرف واحد وهو المتكلم، فهو لم يلتفت إلى الطرف الآخر في العملية الكلامية وهو المستمع الذي نجده قوي الحضور عند تشومسكي في تعريفه للغة ومما لا شك فيه أن ابن خلدون وصف اللغة بأنها ملكة موجودة بالفطرة عند ابن اللغة ينميها ويطورها ذاتياً أو من خلال البيئة التي يترعرع بها، وهذا ما أكد عليه تشومسكي في

(1) زكريا، بحوث ألسنية عربية، ص71.

تعريفه للغة إذ يعرفها تشومسكي كما أشرنا سابقاً في غير موضع من هذا البحث "بأنها المعرفة الضمنية، الحدسية، للمتكلم بقواعد لغته التي توجه الأداء الكلامي وهو الاستعمال الناجز للغة في سياق ما"[1]، مع التأكيد على أن ابن خلدون استعمل مصطلح "الملكة اللسانية" في دراسته اللغوية في حين آثر تشومسكي استعمال مصطلح "الكفاية اللغوية" الذي يعبر عن المعرفة الضمنية للغة عند متكلّمها.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المبحث، أن ابن خلدون في دراسته للغة لم يقتصر على العربية فقط، بل هو يتحدث عن اللغة الإنسانية بشكل عام فآراؤه اللغوية في هذا الجانب تنطلق من نظرة كلية وعمومية، وهي النظرة ذاتها التي انطلق منها تشومسكي في تأسيس ما سمي بالنحو الكلي أو الشمولي، القائم على دراسة اللغات المتنوعة والربط بينها.

2.6.3 الملكة اللسانية/ مدخل

شكّلت الملكة اللسانية هاجساً كبيراً عند علماء العربية الأوائل ومنذ انطلاق الدراسات اللغوية عندهم مع التأكيد أن هذا المصطلح "الملكة اللسانية" سار جنباً إلى جنب مع مصطلحات أخرى مرادفة له وهي "الفصاحة والسليقة والطبع"، فهذه المصطلحات إلى جانب الملكة اللسانية استعملها النحاة العرب القدماء، وتطلق عندهم على معنى واحد في مجال الدراسة اللغوية إذ تعني تعلم اللغة دون معلم من خلال البيئة اللغوية التي يعيش فيها ابن اللغة، وبالتالي فهذه المصطلحات تقابل مصطلح اللحن الذي يعني الوقوع في الخطأ اللغوي والخروج عن قواعد اللغة الصحيحة، ولعل هذا التعدد في المصطلحات عائدٌ إلى منهجية العرب الأوائل في دراساتهم اللغوية في عدم الثبوت على مصطلح واحد يعبر عن الظاهرة اللغوية وجنوحهم كثيراً نحو ما سمي بالترادف اللغوي، وهذا أمر أقرَّه علم المصطلح، والجدير بالذكر أن مصطلح "الفصاحة" ينفرد عن المصطلحات السابقة الذكر؛ لكونه يختص بالكلام وحده

(1) زكريا، مباحث في النظرية اللسانية وتعليم اللغة، ص109-110.

دون غيره في حين بقية المصطلحات "كالسليقة والطبع والملكة" عامة في كل ما يقوم به الإنسان من كلام وأعمال وعادات وغيرها.

ونحن هنا بدورنا سنتوقف عند مصطلح "الملكة" فقط؛ لأنه ما يهمنا هنا في هذه الدراسة هذا المصطلح تناوله علماء العربية الأوائل بالدراسة والتحليل، وكونوا فيه جملة من الدراسات القيمة، فنجده عند ابن جني والفارابي وابن خلدون وغيرهم لما له من ارتباط وثيق بالجنس البشري ومع كل الجهود التي بذلت في هذا الميدان يبقى جهد العلّامة ابن خلدون جهداً منفرداً في هذا الجانب فمع سيطرة فكرة "الملكة اللسانية" على عقول من سبقه من علماء ولغويين ومفكرين نجد ابن خلدون يقدِّم لنا قراءة جديدة متقدمة لتراثنا اللغوي من خلال شخصيته الفكرية واللغوية الفذّة يقول: "يظن كثير ممن لم يعرف شأن الملكات أن الصواب للعرب في لغتهم أمر طبيعي ويقول: كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت، فظهرت في بادئ الرأي أنها جبلة وطبع"[1]، وبقدوم الألسنية الحديثة وتصدرها الواجهة العالمية في الدراسات اللغوية شكلت آراء ابن خلدون أساساً انطلق منه اللسانيون المعاصرون، وشكلّت أفكاره مجالاً رحباً للدراسة والبحث لتقريب الفكر الخلدوني من الفكر الألسني الحديث بغية التأكيد على أهمية التراث اللغوي الزاخر الذي خلفه ابن خلدون والذي نجد جذوره في اللسانيات التوليدية والتحويلية.

فالتفت إلى هذا الفكر اللغوي الزاخر عند ابن خلدون لسانيون عرب، ساهموا إلى حدٍّ كبير في الكشف عن مدى الترابط الوثيق بين فكر ابن خلدون اللغوي والفكر الجديد الذي جاءت به اللسانيات التوليدية التحويلية فيما يخص الملكة اللسانية، ومن هذه الجهود ما قدمه محمد عيد في كتابه "الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون" إلى جانب ما قدمه ميشال زكريا في كتابه "الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون" والأخير هنا هو ما يهمنا، فسنتناول جهوده في هذا الصدد من حيث التقديم لهذا الموضوع وطريقة تناوله وتقديمه للقارئ العربي، لكن قبل الشروع بذلك وجدت أنه من تمام

(1) ابن خلدون، المقدمة، المجلد الثالث، ص 313.

الخير أن أعرج على مفهوم الملكة اللسانية لغوياً واصطلاحياً؛ لتقريب الصورة لذهن القارئ؛ ليتسنى له تكوين فهم عام حول هذه الظاهرة.

1.2.6.3 الملكة اللسانية/ لغوياً

تنوعت المادة اللغوية للفظة (ملكة) في معاجم اللغة العربية ومن هذه المعاني ما نجده في لسان العرب ومن ذلك:

1. مَلَكَ اللَّيْثُ، المَلِكُ هوَ الله تعالى وتقدس مَلِكُ المُلُوك لَهُ المُلْكُ وهو مالِكُ يوم الدّين وهو مَليكُ الخَلْق أي ربّهم ومالِكُهم.
2. ملك القوم فلاناً على أنفسهم أَمْلَكُوهُ: خيَّروهُ مَلِكاً على اللحيان.
3. والمُلْكُ: ما ملكت اليَدُ من مالٍ وخولٍ والمَلَكَة: مُلْكُكَ[1].

وفي مختار الصحاح م.ل.ك (مَلَكَهُ) يَمْلِكُهُ بالكسر (مِلْكاً) بكسر الميم وهذا شيء (مِلْك) يميني و(مَلْك) يميني والفتح أفصح و(مَلَكَ) المرأة تزوجها، ويقال ما في (مَلْكِهِ) شيء وما في (مِلْكِهِ) شيء وما في (مَلَكِتِهِ) شيء بفتحتين أي لا يملك شيئاً وفُلانٌ حَسَنُ (المَلَكَة) أي حَسَنُ الصنيع إلى مَمَالِكيهِ"[2].

أما في المعاجم الحديثة وفي المعجم الوسيط (مَلَكَ) الشيء ملكاً حازهُ وانْفردَ بالتصرّف فيه فهو مَالِكُ و(أَمْلَكَهُ) الشيء: جعله مَلِكاً لَهُ ويقال أَمْلَكَ فُلاناً أَمْرهُ: خلّاهُ وشأنُهُ وأُمْلِكَتْ فُلانة أمرها: طَلّقت أو جُعِلَ أمرُ طلاقِها بِيَدها وأملك فلاناً المرأة زوَّجَهُ إيّاها. وامْتَلَكَ الشيء: مَلَكَهُ.

المَلَكَة: صفة راسخة في النفس أو استعداد عقلي خالص لتناول أعمال معينة بحذق ومهارة مثل الملكة العددية والملكة اللغوية[3].

---

(1)الإفريقي، لسان العرب، المجلد 14، مادة ملك.

(2)الرازي، محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 1986، مادة (ملك).

(3) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، مادة ملك.

وفي المنجد لصبحي حموي نجدها موهبة، صفة راسخة في النفس أو استعداد نفسي خاص، لتناول أعمال معينة بحذق ومهارة[1].

وعليه، فإن المعنى اللغوي العام "للملكة" المُلك والقدرة والشدة والقوة والتفرد بالشيء والسيطرة عليه.

2.2.6.3 الملكة اللسانية/ اصطلاحاً

على الرغم من تعدد المصطلحات الدالة على "الملكة" كالسليقة والطبع والسجية والغريزة، إلا أن مصطلح "الملكة" ظهر أول ما ظهر في الفكر اليوناني القديم وخصوصاً عند أرسطو طاليس في كتابيه "الطبيعة" و "المقولات" الّذين ترجمهما إسحاق بن حنين ومصطلح الملكة في الفكر اليوناني يدل على "حمل الأشياء التي هي أطول زماناً في الثبوت وأعسر حركة، فإنهم لا يقولون فيمن كان غير متمسك بالعلم تمسكاً يُعتد به إنّ له ملكة"[2]، وبعد ذلك أخذ مصطلح الملكة وقعه من بقية المصطلحات الأخرى بعد أن تم نقله بالترجمة إلى العربية ليدل على معنى التملك[3].

ومن أبرز التعريفات التي يُطالعنا بها الفكر اللغوي العربي، ما نجده عند الفارابي إذ يُعرّف الملكة على أنها فطرة طبيعية يمتلكها من الأصل يقول: "والإنسان إذا خلا من أوّل ما يفطر ينهض ويتحرك نحو الشيء الذي تكون حركته إليه أسهل عليه بالفطرة.... وأوّل ما يفعل شيئاً من ذلك يفعل بقوة فيه بالفطرة وبملكة طبيعية، لا باعتياد له سابق قبل ذلك ولا بصناعة، وإذا كُرِّر فعل شيء من نوع مراراً كثيرة

---

(1)حموي، صبحي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط1، 2000، مادة ملك.

(2)الشرقاوي، السيد، الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 2002، القاهرة، ص32.

(3) المرجع نفسه، ص33.

حدثت له ملكة اعتيادية إما خلقية أو صناعية"[1]، ويستشف من قوله أنه يقسم الملكة إلى قسمين اثنين، هما:

1- ملكة خلقية.

2- ملكة صناعية.

فالملكة الخلقية تتعلق بالجانب الفطري للإنسان في الاكتساب والصناعية تكتسب من خلال التكرار والاعتياد، وتكون بشكل اختياري مع تأكيده على أن حصول هذه الملكة لا يكون دفعة واحدة بل بالتدريج، ومصطلح الاعتياد في شأن الاكتساب عند الفارابي مرادف لمصطلح التكرار، ويقصد الفارابي بالاعتياد "تكرير فعل الشيء الواحد مراراً زمناً طويلاً في أوقات متقاربة"[2]، فهو يركز على جانبين مهمين في عملية اكتساب الملكة الصناعية هما: المداومة على فعل الشيء بتكراره والاعتياد عليه، والأمر الثاني المدة الزمنية التي يتم من خلالها اكتساب هذه الملكة، وبالنظر لما قدمه الفارابي نجده أصاب في اعتباره الملكة فطرة، وهو بهذا الطرح اقترب كثيراً مع مفهوم الملكة عند كثير من علماء اللغة والنفس، ولا سيما مع رأي ابن خلدون في هذا الجانب.

ويتكشف مفهوم الملكة عند ابن جني على اعتبارها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعملية اللغوية من خلال تعريفه للنحو العربي في قوله: "هو انتحاء سمة كلام العرب"[3]، أي يقصد إتباع كلام العرب وتمثل منهجهم في اكتساب وتعلم اللغة، فالملكة اللغوية عنده تكون بإتباع هذا المنهج، ويتم ذلك عند ابن جني بأن يسلك العربي مسلكين، هما: السماع والقياس، فالسماع هو أصل مهم من أصول الاكتساب اللغوي ويقوم على أخذ اللغة عن أبنائها. أما القياس، فهو القياس على الكلام المسموع ولنا أن نعتبر القياس

---

(1)الفارابي، أبو نصر محمَّد، الحروف، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، 1970، ص135.

(2)الفارابي، أبو نصر، رسائل الفارابي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند 1346هـ، ص8.

(3) ابن جني، الخصائص، ج1، ص34.

المرحلة الثانية من مراحل الاكتساب اللغوي التي تجيء بعد السماع عند ابن جني، يقول في شأن الاكتساب اللغوي "لكن القوم بحكمتهم وزنوا كلام العرب فوجدوه على ضربين: أحدهما ما لا بد من تقبله كهيئته لا بوصيته فيه ولا تنبيه عليه نحو جحر ودار، وما تقدّم ومنه ما وجدوه يتدارك بالقياس وتخف الكلفة في علمه على الناس فقننوه وفصلوه إذا قدروا على تداركه من هذا الوجه الغريب المغني عن المذهب الحزن البعيد"[1]. فابن جني في تعريفه للملكة اللسانية ركن إلى مبدأين أساسيين، هما: السماع والقياس لكلام العرب مع ضرورة الالتفات والعناية بشروط وقيود هذين المبدأين من أجل التمييز بين الصادق من الأخبار والكاذب منها[2]، فأي اختلال يصيبهما سيؤدي بالتالي إلى اختلال الملكة اللغوية فلا بد من الالتفات الجاد لشروط السماع والقياس.

ومن زاوية أخرى يُعبر ابن جني عن الملكة اللسانية بالطبع، وهي ما تمارس به اللغة في أصل وضعها فهو يقول في مناقشته لأغلاط العرب: "كان أبو علي –رحمه الله– يرى وجه ذلك ويقول: إنما دخل هذا النحو في كلامهم؛ لأنهم ليست لهم أصول يراجعونها ولا قوانين يعتصمون بها وإنما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به، فربما استهواهم الشيء فزاغوا به عن القصد"[3]، فالملكة عنده طبعٌ وأداة توثب وهجوم على اللغة[4].

ويلخص الشريف الجرجاني مفهوم الملكة عموماً بقوله: "هي صفة راسخة في النفس، وتحقيقه أنه تحصل النفس هيئة بسبب فعل من الأفعال ولا يقال لتلك الهيئة

---

(1) ابن جني، الخصائص، ج2، ص42.

(2)الأوراغاي، محمَّد، اكتساب اللغة في الفكر اللغوي القديم، دار الكلام للنشر والتوزيع، مطابع الميثاق، المغرب، 1990، ص179.

(3) ابن جني، الخصائص، ج3، ص179.

(4)المسدي، عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط1، 1981، ص214.

كيفية نفسانية وتسمى حالة ما دامت سريعة الزّوال، فإذا ما تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية وصارت بطيئة الزوال، فتصير ملكة وبالقياس إلى ذلك الفعل: عادةً و"خلقاً"[1]. فالملكة عند الجرجاني لا تتحقق إلا بالرسوخ والثبات وعدم زوالها فإذا لم ترسخ وزالت عدها حالة عارضة، وهو مع ذلك يؤكد على ضرورة ممارسة وتكرار الأفعال لتصير في المحصلة ملكة.

ويسلط أبو حيان التوحيدي الضوء على مفهوم الملكة اللسانية ويربطها بمصطلح العادة، وهي عنده "ما هي إلا حال يأخذها المرء نفسه من غير أن تكون مسنونة يجري عليها مجرى ما هو مألوف طبيعي"[2]، وهو بهذا يربط بين فكرة الملكة اللسانية وغريزة أهل اللغة والتي تحوي بدورها بناءً وترتيباً يستند إليهما في ممارسة الكلام[3].

3.2.6.3 الملكة اللسانية عند ابن خلدون وجهود ميشال زكريا في ذلك

سعى ميشال زكريا في كتابه الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، إلى تقديم الفكر اللغوي المتفرد عند ابن خلدون، وخصوصاً فيما يتعلق بمفهوم الملكة اللسانية وأحوالها وشروطها، وزكريا في سعيه هذا لم يهدف إلى اعتبار ابن خلدون رائداً للألسنية الحديثة؛ لأن ذلك على حد قوله "يوقعه في الذاتية"[4] فكان الهدف من دراسته لهذه الظاهرة ربط الفكر الألسني العام بالفكر الخلدوني من خلال تبيان مقدرة ابن خلدون وتحسسه كثيراً من المسائل الألسنية وتناولها بطريقة علمية، وتقديمها بقالب متطور للقارئ يلمس من خلالها الآراء اللغوية المتطورة عند ابن خلدون.

---

(1) الجرجاني، التعريفات، ص 296.

(2)التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج3، ص133.

(3) المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص215.

(4) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص97.

تناول زكريا موضوع الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، وقدَّم لها في كتابه السابق الذكر "الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون"، وانتهج في ذلك أسلوب العرض والتحليل، من خلال الإشارة إلى أبرز مفاصل هذه القضية عند ابن خلدون، وتبيان رأي ابن خلدون فيها، ثم يعرض ميشال زكريا رأيه فيما يتعلق بهذه القضية، وسعى بعد ذلك إلى ربط الفكر اللغوي عند ابن خلدون بالفكر اللساني الحديث من خلال عقد المقاربات اللسانية، التي تكاد تلتقي في معظمها على وجه كبير، وقد سارت جهود زكريا في هذا المجال وفق المخطط الآتي:

1- الإشارة إلى مفهوم الملكة اللسانية.
2- الملكة اللسانية غير صناعة العربية.
3- الملكة اللسانية غير قواعد العربية.
4- أصول الملكة اللسانية.
5- الظواهر القواعدية التي تعود إلى الملكة اللسانية.
6- الملكة اللسانية والدرس الألسني الحديث.

وسنعرض لأبرز هذه الجهود بالتفصيل.

4.2.6.3 مفهوم الملكة اللسانية

استهل ميشال زكريا حديثه عن مفهوم الملكة اللسانية بالحديث عن مفهوم الملكة بشكلها العام قبل أن يتطرق إلى الحديث عنها بوصفها ملكة لغوية، ويورد زكريا تعريف ابن خلدون للملكة وهي "أن الملكة في نظر ابن خلدون صفة راسخة في النفس تمكن الإنسان من القيام بالأعمال العائدة إليها والإنسان مهيأ لاكتساب اللغات"[1]، ولقد عبر ابن خلدون عن هذه الملكة ووصفها بأنها صفة إنسانية عائدة للفطرة التي جُبل عليها الإنسان وهذه الملكة هي التي تتيح للإنسان القيام بالأعمال

(1) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص26. وانظر أيضاً: ابن خلدون، المقدمة، المجلد الثالث، ص، 297.

وإتقانها والإلمام بقواعدها وشروطها وفي هذا يقول: "إن الملكات صفات للنفس وألوان فلا تزدحم دفعة ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعداداً لحصولها"[1].

ويدلل زكريا على مفهوم الملكة مستعيناً بمجموعة من الكلمات والأوصاف التي أطلقها ابن خلدون عليها وهذه الأوصاف هي: [2]

1- الملكة مستحكمة.

2- الملكة جيدة.

3- الملكة راسخة.

4- الملكة تامة.

5- الملكة مستقرة.

ويؤكد زكريا في هذا الجانب ضرورة اتصاف الملكة بهذه الصفات مجتمعة وذلك لكي تتاح للإنسان القيام بالأفعال العائدة إليها، وإتقانها على الطريقة الصحيحة[3].

وبالعودة إلى مقدمة ابن خلدون ودراسة النصوص المتعلقة بمفهوم الملكة وجدت أن زكريا قد أغفل الجوانب المهمة، التي تتصل اتصالاً وثيقاً بالمفهوم، فقد أشرنا سابقاً إلى أن زكريا عبَّر عن مفهوم الملكة بأنها صفة راسخة في النفس البشرية غير أنه تجاهل أمراً مهماً في المفهوم الذي أورده ابن خلدون، الذي هو "التكرار" يقول ابن خلدون: "والملكة صفة راسخة تتحصل على استعمال ذلك الفعل وتكراره مرة بعد أخرى حتى تترسخ صورته"[4]، فتكرار الأفعال ضرورة ملحة في حصول

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، المجلد الثاني، ص 315.

(2) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص27.

(3) المرجع نفسه، ص28.

(4) ابن خلدون، المقدمة، المجلد الثاني، ص 306.

الملكة عند الإنسان، وينقسم التكرار عند ابن خلدون إلى ثلاثة أقسام وفق المخطط الآتي:

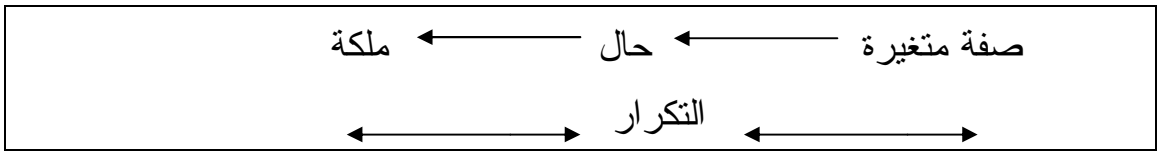

يقول ابن خلدون: "والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولاً ويقود منه للذات صفة ثم تتكرر فتكون حالاً ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة[1].

فالملكة في مفهومها العام عند ابن خلدون مقياس وصفة نجدها عند الإنسان تتصل بجميع الأعمال التي يزاولها، يدركها ويقويها من خلال التكرار المستمر لها وصولاً بها إلى الرسوخ والثبات.

وبالحديث عن الملكة بوصفها لسانية أي لغوية، يقدِّم لنا ميشال زكريا منهجية ابن خلدون في التعاطي معها فيشير إلى أنه يصفها بالملكة اللسانية تارةً وتارة أخرى يُعبّر عنها بقوله ملكة في اللسان وكلاهما يؤدي الغرض، ويُعرِّف ابن خلدون الملكة اللسانية اللغوية وكيفية اكتسابها بقوله: "اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذٍ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة"[2].

فابن خلدون ومن خلال تعريفه للملكة اللسانية ينطلق من منطلقين هما:

1- أن الملكة اللسانية شبيهة بالصناعة.

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، المجلد الثالث، ص 297.

(2) المرجع نفسه، المجلد الثاني، ص 297.

2- ضرورة تمام الملكة وسلامتها، فكلما كانت الملكة تامة وسليمة كانت المعاني اللغوية ذات جودة مع التأكيد على ضرورة النظر بالتراكيب اللغوية لا المفردات.

فالملكة اللغوية عند ابن خلدون تقوم بعملها الأساسي في التعبير عن المعاني من خلال التراكيب اللغوية، فتمام هذه الملكة إنما هو بالنظر إلى التراكيب لا المفردات لأن المعاني التي يقصدها المتكلم لا تكون إلا من خلال تراكيب لغوية لنا أن نسميها الجمل اللغوية المستعملة في التعبير، ويراعى في نظمها المطابقة لمقتضى الحال وهذا هو معنى البلاغة والمقصود منها وهو الإفهام، وهي نظرة ثاقبة عند ابن خلدون نجدها في اللسانيات الحديثة فيما يتعلق باهتمامها بدراسة التراكيب اللغوية "الجُمل"، فقد قرر المحدثون أن اللغة ثلاثة مستويات: لغة مفهمة، ولغة بليغة، ولغة صحيحة، فالمفهمة هي مالا يتحرى فيها المتحدث عُرف اللغة المستعملة في أنظمة ومقاييس واللغة الصحيحة هي المتحرية لنظام الأصوات والبنية والإعراب. أما البليغة، فهي التي تحقق مستوى الجمال والتأثير في التعبير[1]، فالغاية من التراكيب اللغوية الإفهام والتواصل وهو ما دلل عليه ابن خلدون في العربية للملكة اللسانية.

ويقدم لنا زكريا تصوّر ابن خلدون للملكة اللسانية في النقاط الآتية: [2]

1- الملكة اللسانية في رأي ابن خلدون تتحصل في لغة ما عندما يترعرع في بيئة معينة تتكلم هذه اللغة، أي لغة المحيط الذي يولد فيه الإنسان ويترعرع.

2- يؤكد ابن خلدون أن الملكة اللسانية هي الأساس في لغة المنشأ حيث يترعرع الإنسان والتي يصفها زكريا بلغة الإنسان الأم، ويضيف أنه من الصعوبة أن يكتسب الإنسان ملكة لسانية تامة وراسخة مع ملكته اللسانية في لغته الأم.

3- يستحيل على الإنسان اكتساب ملكة لسانية ثابتة و إن تحصلت فهي ناقصة ومخدوشة.

---

(1) عيد، محمَّد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1979، ص26.

(2) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص28-29.

ويتضح لنا من كلام زكريا أن ابن خلدون اهتم بالملكة اللسانية في كل اللغات، فكلامه لا يقتصر على العربية بل نجده يهتم بالعموميات اللغوية التي تشكل الملكة اللسانية الأساس فيها، وفي تكوين اللغة الأم عند متكلميها مع التأكيد أن الإنسان لديه ملكة واحدة بالفطرة، وهي التي تسهم في نمو وتطور الآلة اللغوية عند الإنسان وبفضلها يستخدم الإنسان لغته ويتحكم بها وقد يكتسب الإنسان ملكة أخرى بناءً على كلام ابن خلدون، غير أن هذه الملكة تكون ناقصة ومخدوشة؛ لأنها ملكة مكتسبة بفعل عوامل متعددة بيئية واجتماعية وثقافية وهي بعيدة كل البعد عن الملكة الأم لذلك هي ناقصة ومخدوشة وهي طارئة إن جاز لنا التعبير.

"وهذا ما تدرسه اللسانيات التطبيقية فيما يتصل بتعليم اللغات لغير أبنائها حيث تدرس تأثير اللغة الأم في اللغات المتعلمة لاحقاً وهو ما يحول دون حصول اللغات الطارئة تامّةً تمام اللغة الأصلية"[1]، وهذه المسألة تعترف بها النظرية التوليدية التحويلية في مجال تعليم اللغة الثانية "حيث إن هدف هذه النظرية إيصال المتعلم إلى كفاية لغوية تقارب قدر الإمكان كفاية متكلم اللغة هذه كلغة أم، ذلك لأننا لا نستطيع الإقرار بإمكانية إيصال متعلم اللغة الثانية إلى كفاية لغوية تامة"[2].

وفي ضوء ما تقدم يُلخّص ميشال زكريا مفهوم الملكة اللسانية عند ابن خلدون بناءً على رؤيته الخاصة، فهو يقدمها للقارئ على أنها "إن كل إنسان نشأ وترعرع في بيئة تتكلم لغة معينة، وقد اكتسب ملكة لسانية في هذه اللغة والملكة اللسانية هي صفة في النفس راسخة ومستقرة، وهي المقدرة على استعمال اللغة من خلال المعرفة الضمنية بقواعد اللغة وقوانين صناعة الكتابة، وتقتضي دراسة اللغة دراسة قوانين الملكة اللسانية"[3].

---

(1)خرما، نايف، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص54.

(2) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص76.

(3) المرجع نفسه، ص30.

7.3 قضايا تتصل بالملكة اللسانية

1.7.3 الملكة اللسانية غير صناعة العربية وغير قواعدها

في هذا المبحث يفصل ابن خلدون بين الملكة اللسانية الموجودة بالفطرة، وبين القوانين اللغوية التي تتحكم بها، فصناعة العربية ليست شرطاً أساسياً في توافر الملكة اللسانية، يقول ابن خلدون: "والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة، فهو علم بكيفية لا نفس الكيفية... وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماً ولا يُحْكِمُها عملاً مثل أن يقول بصير بالخياطة غير محكم لملكتها في التعبير عن بعض أنواعها.... وهكذا العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل وليس هو نفس العمل"[1]، و زكريا ينطلق من كلام ابن خلدون إلى تكوين صورة واضحة حول هذا الأمر نجملها في النقاط الآتية: [2]

1- صناعة العربية ناتجة عن المعرفة بقوانين الملكة اللسانية، فمتكلم اللغة يُنتج جملته وتراكيبه مستعيناً بتلك القوانين، فالملكة أساس والصناعة بناء قائم عليها.

2- الملكة اللسانية هي المعرفة بقوانين الإعراب، وليست هي قوانين الإعراب ذاتها.

3- يميز ابن خلدون بين الملكة اللسانية وبين قواعد اللغة، وهذا التمييز نراه بوضوح في النظرية التوليدية التحويلية.

وهذا يقودنا للقول بأن ميشال زكريا يؤكد أن الملكة اللسانية كما عبَّر عنها ابن خلدون موجودة ضمنياً فينا، وهي مختلفة وبعيدة كل البعد عن صناعة العربية وقواعدها وإعرابها، فميشال زكريا يرى "أن اكتساب الملكة اللغوية تبتعد بصورة مستقلة عن صناعة العربية"[3]، وهذا الرأي الذي ذهب إليه زكريا نجده حاضراً وبقوة

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، المجلد الثالث، 309-310.

(2) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص24-25.

(3) المرجع نفسه، ص26.

عند محمد عيد اللساني الآخر الذي اعتنى بدراسة ظاهرة الملكة اللسانية عند ابن خلدون إذ يقول في هذا الجانب: "وهناك فرق بين ما يعتاده المتكلم من نظم اللغة التي قيس عليها وما يفعله علماء النحو من وضع القواعد والقوانين، فالأول يحدث دون قصد أو تعمد أما الثاني، فنيَّة العمد فيه واضحة مقصودة، الأول يتعوده الشعور حتى يصبح عادة من عاداته كالمشي والطعام، والآخر مقاييس محددة موضوعة للاكتساب والفهم، الأول انعكاس الاستعمال على ناطق اللغة، والثاني آراء الدارسين المقننة لمن يستعمل اللغة"[1].

ومما سبق نتبيّن أن ابن خلدون يرى أن علم الإعراب والقواعد ما هي إلا قوانين تساهم في ضبط الملكة اللسانية على وجه صحيح، وليست هذه القواعد هي الملكة، وبمعنى آخر نلجأ إلى هذه القواعد لمراقبة الملكة اللسانية للحيلولة دون خروجها عن مقاييس اللغة وأعرافها، فالصلة بين النحو أو علم الإعراب والملكة اللسانية موجودة غير أنهما مختلفان في جوهرهما وينتهج ابن خلدون في التفريق بينهما منهجاً تجريبياً حيث يقول: "إن كثيراً ممن درسوا النحو وتعمقوا في أصوله وفروعه وأفنوا أعمارهم في البحث عن مسائلة ومشاكله، لم يجيدوا هذه الملكة اللسانية ولا يستطيعون التعبير اللغوي الصحيح بينما كثير من الكتّاب والشعراء ممن أجادوا هذه الملكة يعبرون عما يريدون بطلاقة وسلاسة، وإن لم يتعمقوا في النحو وقضاياه[2]. فابن خلدون في هذا النص يفرق بين من يتكلم بطريقة عفوية سليمة لتمكنه من الملكة اللسانية السليمة وهذا ما نجده عند بعض الأدباء والشعراء وبين من يتكلمها، وهو متخذ من القواعد وقوانين النحو والإعراب مُعيناً له في ضبطها والسيطرة عليها، غير أنه لا يجيدها ومع هذا وذاك نجد أن ابن خلدون لا يقلل من شأن النحو في كونه عُنصراً مهماً من عناصر ضبط اللغة وتصويبها ومراجعتها على الرغم من أنه هاجم كتب النحويين ووصفها بأنها متون جافة ومجادلات عقيمة، غير

(1) عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، ص31.

(2) ابن خلدون، المقدمة، المجلد الثالث، 310-311.

أنه يستثني كتاب سيبويه من ذلك الحكم؛ لاشتمال الكتاب على شواهد من أمثال العرب، وشعرهم، ونثرهم وهي في رأيه مقومات مهمة في تكوين الملكة اللسانية وتقويتها.

ومما سبق يدلل ميشال زكريا على تمييز ابن خلدون بين الملكة اللسانية وصناعة العربية في كتب اللغويين، فعملية التكلم تتم بصورة مستقلة عن قواعد اللغة المرسومة أو الموضوعة[1]، وتتم من خلال الملكة اللسانية وهذا التصوّر الخلدوني منسجم مع تصور النظرية التوليدية التي تحدد الكفاية اللغوية من حيث هي المعرفة الضمنية بقواعد اللغة ومن حيث هي قدرة المتكلم على أن يجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني في تناسق مع قواعد لغته[2].

2.7.3 أحوال الملكة اللسانية

يجمل ميشال زكريا أحوال الملكة اللسانية عند ابن خلدون في ثلاث نقاط رئيسة وهي: [3].

1- فساد الملكة اللسانية.

2- امتزاج الملكات.

3- تغيّر الملكة اللسانية.

وهذه النقاط الثلاث تشكل أحوال الملكة اللسانية، فالملكة اللسانية كما أشرنا سابقاً صفة راسخة في النفس الإنسانية تتأثر بعوامل متعددة تؤثر فيها وتخرج بها عن طبيعتها السليمة.

---

(1) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص26.

(2) زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص25، وانظر ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ص61.

(3) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص30-32.

ففي فساد الملكة اللسانية نجد أنها قد تفسد في مجتمع معين بتأثير عوامل غير لغوية، ويحدد ابن خلدون فساد اللسان العربي بأنه التحول الذي يصيب اللسان (الملكة) بسبب تعرّض متكلميها إلى أساليب كلامية مغايرة[1]، وهذا يعني أن الملكة اللسانية تفسد شيئاً فشيئاً مع التعرض للّغات الأخرى، لذلك نجد ابن خلدون يقرر فساد ملكة قبائل "ربيعة ولخم وجذام... لبيئتهم الجغرافية المجاورة للفرس والروم والحبشة أما سلامة ملكة قبائل "قريش وثقيف وهذيل" فهي لابتعاد بيئتهم الجغرافية عن هذه الأمم"[2]، ففساد الملكة مرتبط بعاملين اثنين هما: الزمان والبيئة، فاللغة عند ابن خلدون ما هي إلا ملكة وهو يقرن الملكة باللسان، واللسان هو لغة كل أمّة بحسب ما اصطلحت عليه، وهذا الاصطلاح يشترك فيه العصر والبيئة؛ لأن "تقارير اللغات يعود في جزء مهم منه إلى هذين العاملين الاجتماعيين"[3] الزمان والمكان.

أما امتزاج الملكات، فهو حال من أحوالها جاء نتيجة للحال السابقة "فساد الملكة" فالتعرض للأساليب الكلامية المغايرة أدى إلى البعد عن الملكة اللسانية الأم، وهذا أدى بدوره إلى امتزاج ملكتين أو أكثر "بفعل الاختلاط بالأمم الجديدة والتفاعل مع لغات أخرى"[4]، فالعرب قبل اختلاطهم بغيرهم كانوا يعيشون في عزلة وبالتالي كانت، ملكتهم اللسانية موجودة فيهم وسليمة فالمتكلّم من العرب يسمع أساليب أهل جيله، وكذلك الطفل يسمع التراكيب والمفردات، وبالتكرار تحدث الصفة ثم الحال ثم الملكة وهكذا تصير الألسن واللغات من جيل إلى جيل على حد تعبير ابن خلدون[5]، فالملكة اللسانية تحصل دون تعليم وبطريقة عفوية يتعلمها ابن اللغة بدون قصد

---

(1)زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص30.

(2) ابن خلدون، المقدمة، المجلد الثالث، ص 298.

(3) عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، 108-109.

(4) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص31.

(5) ابن خلدون، المقدمة، المجلد الثالث، ص 297.

ويتحدث لغة بيئته بطريقة صحيحة وسليمة دون تعليم[1] بشرط أن تكون البيئة اللغوية صافية نقية.

ويرى زكريا أن امتزاج الملكة اللسانية العربية بغيرها من الملكات اللسانية الأخرى عند الشعوب والأمم التي دخلها العرب فاتحين لها قد أدى إلى تولد ملكة لسانية جديدة هي خليط من الملكة اللسانية العربية واللغات المحلية عند هذه الأمم والشعوب[2].

أما التغير الذي يصيب الملكة اللسانية، فيرجعه زكريا إلى الحالين السابقين "فساد الملكة وامتزاجها بغيرها من الملكات"[3]، ويشير زكريا إلى أن الآليّة المناسبة في الحفاظ على الملكة اللسانية العربية من الفساد والامتزاج بغيرها من الملكات أو تغيرها بملكة أخرى بناء على رؤية ابن خلدون لهذه القضية، وذلك من خلال العناية بهذه الملكة والإبقاء عليها كما كانت عند الأوائل إلى جانب تغذيتها و إغنائها[4].

3.7.3 الحدس اللغوي

يدرس ميشال زكريا الحدس اللغوي عند ابن خلدون بوصفه مظهراً من المظاهر القواعدية العائدة إلى الملكة اللسانية، فالحدس اللغوي في يقين ابن خلدون جاء ليعالج قوانين الملكة اللسانية ويضبطها، ويتحكم بها؛ لئلا تخرج عن حالها الأساس ولكي لا تصاب بالفساد أو الامتزاج والتغيير، فكان لزاماً على أهل اللغة أن يضعوا القوانين والقواعد التي تحافظ على الملكة اللسانية العربية، فمع مرور الوقت وتعاقب الأجيال وتغير الأحوال قد تتعرض هذه الملكة إلى مؤثرات شتى تخرجها عن أصولها السليمة التي وجدت عليها، وهذه العوامل دفعت بأبناء العربية إلى استقراء

---

(1) عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، ص101.

(2) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص31.

(3) المرجع نفسه، ص31.

(4)زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص32.

قواعدهم ووصفها في أبواب خاصة لضبط العملية اللغوية إلى جانب أن ابن اللغة يلجأ إلى حدسه اللغوي في الحكم على سلامة لغته التي يتكلم بها.

وكنا في موضع سابق، قد أشرنا إلى أن الحدس واحد من أهم المنطلقات الفكرية التي بُنيت عليها الألسنية التوليدية التحويلية، في كونه العنصر الذي يحكم على سلامة الجملة النحوية بالرجوع إلى المعرفة الضمنية لدى ابن اللغة بلغته التي يتكلمها وهو ما اعتبره زكريا جزءاً مهماً من أجزاء الملكة اللسانية[1]، وهذا ما أسس له ابن خلدون في آرائه اللغوية حول الملكة اللسانية، إذ يشير ميشال زكريا إلى أهمية الحدس اللغوي عند ابن خلدون وأنه قد التفت إليه بشكل واضح في مقدمته حيث يقول: "وإذا عُرِضَ عليهم الكلام حائداً عن أسلوب العرب، وبلاغتهم في نظم كلامهم، أعرض عنه ومجَّه وعلم أنه ليس من كلام العرب الذي مارس كلامهم، وإنما يعجز عن الاحتجاج بذلك كما تصنع أهل القوانين النحوية والبيانية، فإن ذلك استدلال بما حصل من القوانين المفادة بالاستقراء وهذا أمر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم"[2]، ويعلق زكريا على هذا النص بقوله: "فالمتكلم لديه حدس لغوي نابع من ملكته اللسانية، فيحكم بواسطته على جملة ما إذا كانت من جمل لغته الأصولية أم لا وحكمه هذا ناجم عن معرفته اللاشعورية بقواعد ملكته اللسانية فيختلف بالتالي عن الحكم الذي بإمكان أهل النحو والبيان القيام به فيما يتعلق بالجمل العربية[3].

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الجانب أن ابن خلدون يستعمل مصطلح "الذوق" للدلالة على الحدس اللغوي إذ يقول: "واستعير لهذه الملكة عندما ترسخ وتستقر اسم الذوق الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان، والذوق إنما هو موضوع لإدراك الطعوم، لكن لما كان محل هذه الملكة في اللسان من حيث النطق بالكلام كما

---

(1) زكريا، الألسنية المبادئ والأعلام، ص157.

(2) ابن خلدون، المقدمة، المجلد الثالث، ص 314.

(3) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص48.

هو محل لإدراك الطعوم استعير لها اسمه"[1]، فالإنسان ومن خلال لسانه يستطيع أن يميز بين الطعام الجيد والرديء من خلال حاسة الذوق، وكذلك ابن اللغة وصاحب الملكة فلديه ذوق عام ضمني يستطيع من خلاله الحكم على جملة ما إن كانت صحيحة لغوياً أو غير ذلك، وهذه الملكة أو الذوق كما أسماه ابن خلدون يكتسبه ابن اللغة بصورة طبيعية ومن خلال البيئة التي ترعرع بها.

ولعلنا هنا نشير إلى مدى التقارب بين مصطلحي "الذوق" و"الحدس"، الذوق الذي عبَّر عنه ابن خلدون بالملكة اللسانية الراسخة في ذهن ابن اللغة، والحدس الذي عبَّر عنه تشومسكي بقدرة ابن اللغة على الحكم على الجمل بالقبول أو الرفض وغير ذلك[2].

ويتطرق زكريا للحديث عن الطرق المتينة في الحكم على سلامة الجمل نحوياً وهي عنده اللجوء إلى الحدس اللغوي أو السليقة اللغوية، وهو الأساس الذي انطلقت منه الألسنية التوليدية التحويلية، والطريقة الثانية استقراء الكلام ووضع القواعد مع التأكيد على رفض النظرية التوليدية التحويلية اعتماد الاستقراء منهجاً وحيداً في البحث اللساني كما في المذهب السلوكي كما ترفض أن تقتصر على السلوك الكلامي بل تعتمد منهجية استقرائية استنباطية تضع في ضوئها أنموذجاً متكاملاً لتنظيم القواعد الكامن ضمن الكفاية اللغوية[3].

وعليه يمكن أن نجمل جهد ميشال زكريا في هذا الجانب في المحاور الآتية:

1- الحكم على سلامة الجملة أو التراكيب اللغوية عائد إلى الملكة اللسانية، فهو أمر وجداني، فالمتكلم لديه حدس لغوي نابع من ملكته اللسانية يحكم من

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، المجلد الثالث، ص 315.

(2) زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص64. وانظر أيضاً: جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص79.

(3) زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص155.

خلالها على سلامة لغته، وهذا الرأي متوافق مع رأي ابن خلدون جملةً وتفصيلاً.

2- يكتسب الإنسان ملكته اللسانية وحدسه اللغوي الذي هو جزء منها من خلال الترعرع في بيئته وممارسة كلامها.

3- أن ابن اللغة يلجأ إلى حدسه اللغوي للتواصل إلى القواعد الضمنية والقوانين العائدة إلى الملكة اللسانية بصورة لا شعورية.

4.7.3 اكتساب اللغة والحصول عليها

تناول ابن خلدون في مقدمته هذه المسألة و أشار إليها، وهي ما أسماها الملكة اللسانية التي يُجبل عليها الإنسان وتولد معه، فالاكتساب اللغوي ظاهرة تعود في وجودها إلى مفهوم الملكة اللسانية وأحوالها، فهي ظاهرة تبرز من خلالها وفي ضوء هذا الطرح يعالج ميشال زكريا ظاهرة الاكتساب اللغوي، ويسلط الضوء عليها كما تناولها ابن خلدون وذلك في كتابه "الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون" ضمن مبحث عام أطلق عليه "الظواهر النفسية العائدة إلى الملكة اللسانية"، وهو الفصل الخامس من كتابه المذكور آنفاً، وتأتي أهمية دراسة ظاهرة الاكتساب اللغوي عند ابن خلدون بحسب قول ميشال زكريا لأمرين اثنين هما:[1]

1- إدراك ابن خلدون بحسّه العلمي بُعداً مُهماً من أبعاد الألسنية الحديثة، فهو رائد في هذا المجال وله السبق فيه.

2- أن دراسة ظاهرة الاكتساب اللغوي ترتدي أهمية بالغة في إطار الدراسات الألسنية، وتندرج تحت ما دُعي بعلم النفس اللغوي.

ويؤسس ابن خلدون لحديثه عن هذه الظاهرة باعتبارها ملكة لسانية يقول: "إلا أن اللغات لما كانت ملكات كما مر كان تعلمها ممكناً شأن سائر الملكات"[2]. فاللغة

---

(1) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص63.

(2) ابن خلدون، المقدمة، المجلد الثالث، ص 307.

في نظر ابن خلدون ما هي إلا ملكة يكتسبها الإنسان بشكل طبيعي لذلك يصف زكريا الاكتساب اللغوي بالعملية الطبيعية مُنطلقاً من تصوّر ابن خلدون لهذا الجانب ومن خلال قوله: "فإن الملكات إذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعية وجبلَّة لذلك المحل ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات، أن الصواب للعرب في لغتهم إعراباً وبلاغة أمر طبيعي"[1]. ويقدم زكريا لصورة الاكتساب اللغوي عند ابن خلدون في جملة الأفكار الآتية: [2]

1- أن اللغة ملكة لسانية يكتسبها الإنسان وبشكل طبيعي.

2- أن عملية الاكتساب اللغوي تتم عند كل إنسان والملكة اللسانية ما هي إلا حصيلة ناجزة لعملية الاكتساب اللغوي.

3- تتم عملية الاكتساب اللغوي بفعل عاملين هما: الاكتساب من خلال الترعرع في البيئة اللغوية وسماع لغتها، والأمر الآخر بواسطة الحفظ والمران.

وبالحديث عن العمليات أو الطرق التي تم من خلالها الاكتساب اللغوي يشير زكريا إلى أن الإنسان يكتسب لغته من خلال ترعرعه في البيئة اللغوية التي ينشأ فيها، وهذا الاكتساب تم بصورة طبيعية، فالطفل يكتسب لغته من خلال سماعها من أبناء جلدته، وهذا هو مضمون كلام ابن خلدون حين يقول: "فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيلقنها أولاً، ثم يسمع التراكيب بعدها، فيلقّنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم"[3].

---

(1)ابن خلدون، المقدمة، ص 313.

(2) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص63-64.

(3) ابن خلدون، المقدمة، المجلد الثالث، 297.

ويظهر جليّاً من كلام ابن خلدون أن السماع وسيلة مهمة من وسائل الاكتساب اللغوي، فالأطفال يكتسبون لغتهم وملكتهم اللسانية من خلال تعرضهم المباشر لجل الاستعمالات اللغوية التي يسمعونها من حولهم، ومن خلال قدرتهم الذاتية يحاولون إتقان هذه الملكة وبالتكرار والمداومة على السماع تترسخ الملكة اللسانية فيهم.

ويربط ميشال زكريا في هذا الجانب المحاولات التي يقوم بها الطفل لاستعمال الكلام بالاكتساب اللغوي، فلا يقتصر الاكتساب اللغوي على السماع والنحو والترعرع في البيئة اللغوية فقط، بل نجده يؤكد أن الطفل يمتلك قدرة ذاتية على استعمال لغته ومحاولة التجديد فيها، وهنا تتجلى الإبداعية في اللغة من خلال تجدد الكلام الذي يسمعه الطفل، وتكرار المحاولات الكلامية بصورة غير متناهية، فاللغة الإنسانية لغة متجددة وإبداعية في آن واحد[1]. فالطفل في رأي زكريا يمتلك قدرات عقلية وفطرية تساهم في تكوين تراكيبه اللغوية، فهو بالتالي مهيأ تماماً لتشكيل وتكوين قواعد لغته الأم الضمنية من خلال سماعه للغته فتبدأ هذه اللغة بالتراكم بصورة إبداعية جنباً إلى جنب مع القدرات الباطنية الموجودة مسبقاً في عقله، وهذا هو أساس النظرية العقلانية التي جاءت بها الألسنية التوليدية التحويلية[2]، والتي ناهضت النظرية السلوكية التي قالت بمسؤولية البيئة وحدها في عملية الاكتساب اللغوي وهذه النظرة في الدراسات اللغوية تُعرف بالنظرية البيئية في اكتساب اللغة.

ويكشف لنا زكريا عن مصطلح مهم مرتبط أيما ارتباط بعملية الاكتساب اللغوي وهو مصطلح "المدونة الكلامية" ويقصد زكريا بهذا المصطلح "مجموع كلام المحيط الذي ينشأ فيه الطفل وهي عنصر من عناصر عملية الاكتساب اللغوي"[3]، فالطفل يكتسب لغته من مجموع جمل المتكلمين في البيئة اللغوية المحيطة به، وهو قادر بالتالي على تحصيل لغته وملكته اللسانية التي يتوصل من خلالها إلى التعبير

---

(1) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص65.

(2) زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ص104.

(3) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص67.

عن مراده ومقاصده، ويلخص زكريا نظرة ابن خلدون إلى الاكتساب اللغوي من خلال الترعرع في البيئة اللغوية من خلال المخطط الآتي: [1]

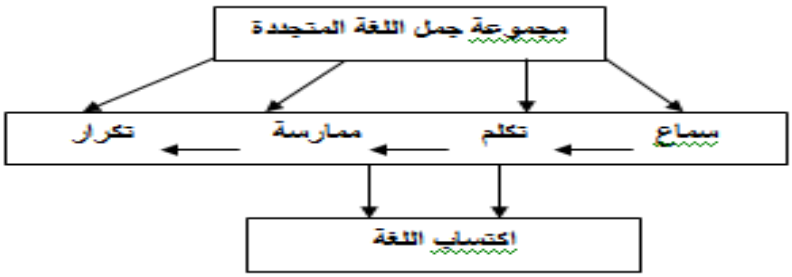

أما الطريقة الثانية من طرق الاكتساب اللغوي، وهي الاكتساب بواسطة الحفظ والمران، فهي ترتبط بتوافر الأجواء الكلامية المناسبة أمام متعلم اللغة، وهذه الأجواء هي المادة الكلامية الفصيحة من شعر ونثر، فالمتعلم يتعامل مع هذه المادة بالحفظ والممارسة في دراستها، ولعل هذه الطريقة تقوم مقام السماع، غير أنها ليست بجودة السماع، يقول ابن خلدون: "إلا أن اللغات لما كانت ملكات كما مرَّ كان تعلمها ممكناً شأن سائر الملكات ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السّلف ومخاطبات فحول العرب في أسماعهم وأشعارهم وكلمات المولدين أيضاً في سائر فنونهم حتى يتنزَّل؛ لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم"[2]، فحفظ النصوص العربية الفصيحة وعلى رأسها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف إلى جانب كلام فحول العرب شعراً كان أم نثراً سبيل إلى الحصول على اللغة والتمكن منها، وهذا يتطلب كما يشير زكريا إلى

(1) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص67.

(2) ابن خلدون، المقدمة، المجلد الثالث، ص 308.

توافر ظروف مشابهة للظروف التي ترافق عملية تعلّم اللغة بحيث تنمو اللغة في ذهن المتعلِّم، فيكتسب ملكة لسانية شبيهة بالملكة الأم[1].

ونلحظ في هذه الطريقة تركيز ابن خلدون على الممارسة والتكرار من خلال حفظ كلام العرب وترداده على اللسان حيث يقول: "إنما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتياد والتكرار لكلام العرب"[2]، وهذا ما عبر عنه زكريا بالمخطط الآتي: [3].

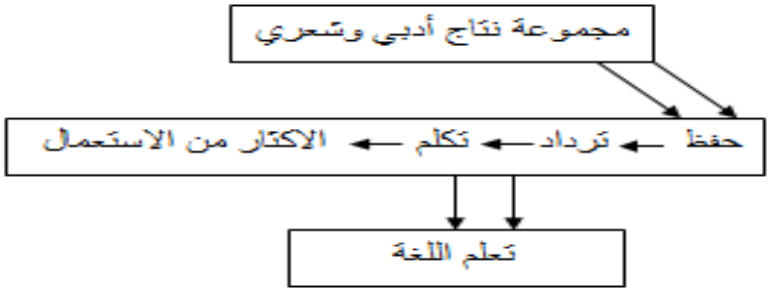

ويقف زكريا من هذه الطريقة في اكتساب اللغة موقفاً رافضاً ويتجسد ذلك في:

1- أنه يرى أن لغة الطفل لا تعتبر نسخة مصغرة عن لغة مواطنيه الكبار، فالطفل يمتلك تنظيماً لغوياً خاصاً نراه بوضوح في تراكيبه اللغوية واستخداماته للغة، فهو يستخدمها تدريجياً حتى يصل إلى لغة الكبار[4].

2- زكريا يعتبر اللغة عملية عقلية تستند على الجانب الإبداعي والتراكيب، وهو بهذا يرفض المفهوم البنيوي للاكتساب اللغوي[5].

وفي ضوء ما سبق يصنف زكريا نظرية الاكتساب اللغوي عند "ابن خلدون" في الألسنية الحديثة بين النظرية البيئية عند "سكينر" والنظرية العقلانية الفطرية عند "تشومسكي"، فابن خلدون كما يرى زكريا يقارب الأفكار البيئية من حيث تركيزه على

---

(1) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص68.

(2) ابن خلدون، المقدمة، المجلد الثالث، 313.

(3) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص70.

(4) زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص68.

(5) المرجع نفسه، ص70.

التكرار والممارسة اللغوية من خلال البيئة اللغوية التي يترعرع فيها الإنسان، إلا أنه يعتبر عملية الاكتساب اللغوي عملية وجدانية عقلية تمر بحالات نفسية إلى أن تستقيم الملكة اللسانية وهو المبدأ ذاته الذي نجده عند تشومسكي[1].

8.3 الملكة اللسانية عند ابن خلدون وأبعادها في النظرية التوليدية التحويلية

عند إعادة النظر في مضمون الملكة اللسانية والقضايا التي اتصلت بها في فكر ابن خلدون، والرؤية التي قدمها ميشال زكريا في هذا الحقل اللغوي المهم نجد أن التراث اللغوي عند علّامة مثل ابن خلدون زاخر بالآراء اللغوية التي سبق فيها كثيراً من منظري الألسنية الحديثة منتهجاً في ذلك أسلوباً علمياً يوائم بين النظرية والتطبيق في سائر جوانبه، وهذا دليل دامغ على مدى تطوّر الفكر اللساني عند ابن خلدون ونضوجه وبشهادة بعض الدارسين ومنهم سعود بن حميد السّبيعي الذي يُقرّ أن ابن خلدون هو المؤسس الحقيقي لنظرية الملكة اللسانية لا تشومسكي[2]وبالنظر إلى الجهود التي قام بها ميشال زكريا في تلمس أبعاد الألسنية الحديثة في الفكر اللغوي عند ابن خلدون، وخصوصاً الألسنية التوليدية التحويلية وربط مفهوم الملكة اللسانية وظواهرها عند ابن خلدون بالفكر التوليدي التحويلي، فإننا نلمس مقدار جهده الواضح في هذا الميدان الرحب من خلال تتبع مؤلفاته التي قدمت للقارئ العربي صورة واضحة عن مدى ارتباط النظرية التوليدية التحويلية بتراثنا اللغوي العربي، وبالأخص عند ابن خلدون، وبناءً على ما سبق ذكره، نجد أن قضايا الملكة اللسانية عند ابن خلدون وما يتصل بها من ظواهر تلتقي بشكل كبير مع الألسنية التوليدية

---

(1) زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، ص114.

([2])السبيعي، سعود بن حميد، ابن خلدون و ليس تشومسكي: المؤسس الحقيقي لنظرية الملكة اللسانية، مجلة جامعة أم القرى للبحوث المحكمة، السنة الثامنة، العدد العاشر، العام 1415ه – 1995م، ص 307 وما بعدها.

التحويلية في كثير من قضاياها ومنطلقاتها الفكرية، وسأجمل أبعاد هذا التلاقي في المحاور الآتية:

1- يُرجع ابن خلدون المقدرة اللغوية إلى ما يسميه بالملكة اللسانية وهي موجودة بالفطرة والذوق عند الإنسان، وهذا ما نجده في النظرية التوليدية التحويلية حيث يركز تشومسكي في حديثه عن المقدرة اللغوية حول مفهوم الكفاية اللغوية وهي معرفة الإنسان الضمنية للغة[1]، وهي معرفة يستطيع من خلالها تكوين الجمل وتركيبها وإن لم يسمع بها من قبل، وفي ذات السياق نلحظ أن ابن خلدون يميز بين الملكة اللسانية وصناعة العربية التي هي انعكاس لهذه الملكة، وهو تمييز يقارب إلى ما ذهب إليه تشومسكي في تمييزه بين الكفاية اللغوية وبين الأداء الكلامي، فالكفاية اللغوية هي قدرة عقلية تقود عملية التكلم هذه العملية التي تتم من خلال مجموعة القواعد الضمنية الموجودة أساساً في ذهن ابن اللغة، وزكريا يؤكد على ذلك بقوله أن ابن خلدون قد اقترب في نظره إلى الملكة اللسانية من مفهوم الكفاية اللغوية[2]، مع التحفظ الشديد على هذا الرأي باعتبار ابن خلدون أسبق وجوداً من تشومسكي.

2- الحدس اللغوي، فقد تلمس ابن خلدون الأثر الكبير للحدس في العملية اللغوية فهو الذي يضبطها، ويسيطر عليها، حتى لا تخرج عن الأصول اللغوية الضمنية، وهو معيار مهم عند ابن خلدون ناجم عن معرفة ابن اللغة لقواعد ملكته بطريقة عفوية ولا شعورية كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، ويُطالعنا الحدس اللغوي في النظرية التوليدية التحويلية بوصفه معياراً مهماً من معايير التمييز بين ما هو سليم وغير سليم نحوياً، فابن اللغة لديه مقدرة ضمنية تسمح له بالتمييز بين الجمل السليمة وغير السليمة وهو ما اعتبره ميشال زكريا "جزءاً مهماً من معرفة المتكلم الضمنية لقواعد لغته أي أنه جزء من الملكة

(1) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص32.

(2) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص24.

اللسانية"[1] والحدس اللغوي عند ابن خلدون مقدم على حكم أهل النحو والبيان فيما يتعلق بالحكم على الجمل[2]، وهو موقف تبناه تشومسكي في نظريته اللسانية حيث جعل الحدس عنصراً مهماً من القواعد التوليدية باعتباره جزءاً مهماً من المادة اللغوية[3].

3- يركز ابن خلدون على دراسة الملكة اللسانية ضمن مستوى التراكيب لا المفردات، ويتم ذلك من خلال دراسة التراكيب اللغوية والبحث في علاقاتها ومواقفها والوظائف النحوية التي تؤديها هذه التراكيب، فالملكة اللسانية في يقين ابن خلدون "هي المقدرة على تركيب الألفاظ وفق القواعد التركيبية أو وفق قواعد المكوّن التركيبي"[4]، وهذه هي المهمة الأساسية لعالم اللسان عند تشومسكي، فلا بد أن يسعى إلى تصميم جهاز نحوي توليدي محدد، جهاز بصفته منظومة من القواعد التي تعيّن الأوصاف البنيوية أو التركيبية للجمل[5]، وبالتالي فالنظرية الألسنية تنظر إلى المكون التركيبي من حيث هو المكوّن التوليدي الوحيد في اللغة في حين أنها تعتبر أنّ المكونين الآخرين الصوتي والدلالي مكونان يقومان بعملية التفسير لا أكثر[6].

4- الناحية الإبداعية في عملية الاكتساب اللغوي، فقد أشار ابن خلدون إلى هذا الجانب في المقدرة التي يستطيع الطفل من خلالها اكتساب لغته، وذلك بفعل السماع الذي يتحصل عليه من الوسط البيئي اللغوي الذي يعيش فيه، فالطفل

---

(1) زكريا، المبادئ والأعلام، ص157..

(2) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص48.

(3) ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص210-214.

(4) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص56.

(5) جرين، جوديث، التفكير واللغة، ترجمة وتقديم: عبد الرحيم عمر، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992، ص158-159.

(6) زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص57.

يسمع لغة قومه، وبفعل تجدد هذا الكلام وتنوعه وتكراره بشكل دوري تتكون لديه الملكة اللغوية، فالإنسان لديه المقدرة على تحديد أفكاره وتفهم تعابيره العقلية بواسطة لغته[1]. وفي هذا الشأن نجد تشومسكي يتمثل هذا الجانب في عملية الاكتساب اللغوي، فالطفل يولد وعنده مقدرة على تعلّم أي لغة إنسانية دون تمييز وذلك بما فطر عليه من كليات لغوية وهي أصول عامة تتصرف على كل اللغات فيتعرّف بها ما يسمعه من كلام يتردد حوله إلى أن يتم نضجها بأن تتخصص مما يلقاه من محيطه ليتكيَّف معه(2).

وبهذا نكون قد توقفنا على الأصول العامة التي نجدها بوضوح في الفكر اللغوي عند ابن خلدون، والفكر اللغوي الحديث مُمثلاً بالنظرية التوليدية التحويلية ونلمس فيها مدى التقارب والتشابه الكبير بينهما، إلى جانب التأكيد أنّ جهد ابن خلدون في الفكر اللغوي، وأسبقيته في جوانب هذا الميدان العلمي من خلال تأسيسه لكثير من المفاهيم اللسانية، التي بزغت عند اللسانيين في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، كما أشير إلى الجهد الذي بذله ميشال زكريا في دراسة الفكر اللغوي عند ابن خلدون وتقديمه للقارئ العربي؛ ليدلل من خلاله على أصالة هذا الفكر، وأسبقيته الفكرية في مجال اللسانيات.

---

(1) زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص66.

(2) المرجع نفسه، ص157، وانظر أيضاً: ليونر، نظرية تشومسكي اللغوية، ص248.

9.3 أوجه التشابه بين داود عبده و ميشال زكريا.

1. كلا الرجلين يتفق أنَّ الجملة هي أساس التحليل اللغوي، فكلاهما درس أبعاد النظرية التوليدية التحويلية الفكرية انطلاقاً من أساس التركيب الكلامي، وهو الجملة.
2. داود عبده و ميشال زكريا استفادوا من معطيات النظرية التوليدية التحويلية، واستثمروا كثيراً من مفاهيمها من مثل: (البنية العميقة، البنية السطحية، التحويل، التوليد، الحذف، النقل، القواعد التوليدية والتحويلية، المركب الفعلي المتقطع، العقلانية، الفطرية... الخ)، واجتهدوا في تطبيقها على اللغة العربية، وتوصلوا الى نتائج تُعبر عن رؤيتهم للغة العربية، انسجاماً مع النظرية اللسانية الجديدة.
3. داود عبده و ميشال زكريا كلاهما درس نظرية الاكتساب اللغوي عند الطفل، وعالجوا هذه المسألة معالجةً عقلانية، من منطلق أنَّ الطفل يعتمد على قدراته العقلية و الادراكية في فهم اللغة واكتسابها، وما جاء به الرجلان لايخرج عن فلك ما جاء به تشومسكي في هذا الجانب، و لاسيما النظرية الفطرية في اكتساب اللغة التي تطرق لها ميشال زكريا، و أغفلها داود عبده، بل لم يتطرق لها، بل وجدنا أنَّ عبده ربط قضية الاكتساب اللغوي بالمنهج الوظيفي الى جانب القدرات الادراكية التي يتميز بها الطفل.
4. اختلف الرجلان في تحديد نمط الترتيب اللغوي للعناصر اللغوية للبنية العميقة في الجملة العربية، فعبده رأى أنَّ نمط (فا–ف–مف) هو النمط المناسب لترتيب العناصر اللغوية في الجملة العربية في بنيتها العميقة، وقد وجدناه في سبيل الدفاع عن رأيه هذا قصر الجملة العربية على الجملة الأسمية فقط، في حين نجد زكريا اتخذ من نمط (ف–فا–مف) نمطاً تسير عليه عناصر الجملة العربية في بنيتها العميقة، وهو النمط الأقرب للصواب.

5. برع ميشال زكريا في دراسة التراث اللغوي العربي في ضوء النظرية اللسانية الجديدة، وربط كثيراً من مفاهيمها بالفكر اللغوي العربي، وخصوصاً عند سيبويه، وابن خلدون، وهو أمر تفرد به زكريا ولم يحفل به عبده.

الخاتمة

حاولت هذه الدراسة وعلى امتداد صفحاتها أن تبرز لجهود اثنين من أبرز اللسانيين العرب في النظرية التوليدية التحويلية، وما هذه الرسالة إلا محاولة أردت من خلالها الوقوف على إسهامات كل من داود عبده وميشال زكريا في اللسانيات التوليدية التحويلية، ونقلها إلى القارئ العربي؛ بغية الإفادة من منطلقاتها وأفكارها وتطبيقها على لغة الضاد؛ ليتسنى لنا فهم أسرار عربيتنا في ضوء نظرية ومنهج لساني معاصر أصبح رائداً في ميدان الدراسات اللغوية العالمية.

وبعد تتبع مؤلفات كل من داود عبده وميشال زكريا، والوقوف عندها دون إغفال أو إهمال لآرائهم وأبرز استنتاجاتهم في القضايا اللغوية والفكرية التي ارتبطت بالنظرية التوليدية التحويلية يمكن لنا القول بأن الرسالة خلصت إلى أبرز النتائج الآتية:

1- إن مجيء النظرية التوليدية التحويلية شكل ثورة معرفية في حقل الدراسات اللسانية في القرن السابق، وحتى يومنا هذا فقد ساهمت في تطوير المعرفة التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنشاط العقلي عند الإنسان، إذْ إنّ هذه النظرية اعتبرت اللغة السمة التي تميز الإنسان عن سائر المخلوقات، فاللغة عند إتباع هذه النظرية ما هي إلا انعكاس للنشاط العقلي الإنساني.

2- لقد فتحت النظرية التوليدية التحويلية آفاقاً جديدة في ميدان البحث اللساني المعاصر، وساهمت إلى حد بعيد في تفسير القضايا اللغوية في لغات مختلفة ومتعددة، ومنها اللغة العربية.

3- النظرية التوليدية التحويلية ليست نظرية طارئة، فهي ليست وليدة الصدفة، بل هي نظرية تراكمية قامت على جملة الأفكار والآراء اللغوية التي قالت بها النظريات السابقة لها، غير أنها تبنت منهجاً عقلياً في الدراسة اللسانية إلى جانب ابتعادها عن النواقص التي شابت النظريات السابقة، فالعقلانية التي طُبعت بها هذه النظرية دعت إلى فهم الآراء اللغوية من خلال التعليل

والتحليل والتفسير لها، وهو أمر لم تستطع النظريات السابقة أن تعطي فيه تفسيراً علمياً كما في ظاهرة الاكتساب اللغوي على سبيل المثال.

4- النظرية التوليدية جاءت لتقوِّم كثيراً من أفكار المنهج الوصفي، وانتقلت به نحو التحليل اللساني العقلاني، إذ إنها ربطت البنى اللغوية بالعمليات العقلية التي تقوم بدورها في إنتاج الجمل اللغوية، وبذلك جاءت هذه النظرية بفكرتي التفسير والتحليل.

5- النظرية التوليدية التحويلية ذات موضوعية ومصداقية، ويظهر ذلك من التطورات المتعاقبة التي أدخلها تشومسكي و تلاميذه عليها في مختلف مراحلها، وهذا يؤكد أن هذه النظرية ليست نصاً مقدساً غير قابل للرد، بل هي نظرية لتناول الظواهر اللغوية من جوانبها المتعددة، وقد تكون آراؤها صائبة أو غير صائبة.

6- قطع البحث اللساني العربي أشواطاً كبيرة في استيعاب مفاهيم النظرية التوليدية التحويلية، وفي تلقي أبعادها الفكرية وإخضاعها على الظواهر اللغوية من اللغة العربية، وتعددت في سبيل ذلك المؤلفات والأعمال التي طالت النظرية الجديدة، وعلى الرغم من الإنجازات العربية المبذولة في هذا الجانب إلا أنها تبقى محدودة (جزئية) وقاصرة، وبشهادة أبرز اللسانيين العرب الذين درسوا أبعاد هذه النظرية.

7- داود عبده واحد من اللسانيين العرب الذين جددوا في مناهج البحث اللساني، فقد جعل مصطلح (التفسير) منهجاً من مناهج دراسة اللغة، فهو لم يكتف بالوصف والتقرير في حقل الدراسات اللغوية.

8- داود عبده تبنى آراء النظرية التوليدية التحويلية دون أن يعلن ذلك صراحة، وهو يعوّل على البنيتين العميقة والسطحية في تفسير كثير من ظواهر اللغة العربية إلى جانب إرجاع عملية الاكتساب اللغوي عند الطفل إلى القدرات الإدراكية (العقلية) التي تقوم بدورها في نضوج الجهاز اللغوي وتطوره عند

الطفل، ومع هذا نجد داود عبده رفض اللجوء إلى المنطق والفلسفة في تفسير الظواهر اللغوية مطلقاً وأكد أنَّ التفسير اللغوي لا بد من أن يكون من ذات اللغة لا منعزلاً عنها.

9- شكلت جهود داود عبده في المدرسة التوليدية العربية تمثُّلاً واضحاً لأفكار مرحلتين من مراحل النظرية التوليدية التحويلية، وأعني المرحلة الأولى مرحلة البنى التركيبية، والمرحلة الثانية بنظريتها النموذجية والنموذجية الموسعة، فنجد تمثله الواضح و الدقيق للبنيتين العميقة والسطحية إلى جانب القواعد التوليدية والتحويلية بنوعيها الاختيارية والإجبارية، والعناصر التحويلية كالحذف، والنقل في أعماله اللسانية.

10- داود عبده اتخذ من نمط (فا- ف – مف) ترتيباً للعناصر اللغوية في البنية العميقة للجملة العربية، ودعم توجهه هذا بمجموعة من المبررات التي أخذها من صميم اللغة وقال بأن افتراض البنية العميقة للغة العربية من نمط (ف- فا- مف) ينهار من أساسة وقد تمت مناقشة مبرراته بالتفصيل، ووجدنا أنه يعوّل على فكرة التلازم بين الفعل والمفعول به، وبين الفعل وحروف الجر وبين الأفعال المساعدة والفعل وبعد متابعة هذه الفكرة وجدنا أن هذه الفكرة تنهار أساساً إذا ما رجعنا إلى كتب اللغة العربية، ومناهج النحاة العرب في التعامل مع هذه المسألة، ولكننا نُقر بأن رأي عبده يتفق و رؤية النظرية التوليدية التحويلية إذا ما أخذنا هذه المسألة من منظور ما يسمى بـــ " المركب الفعلي المتقطع".

11- إن اقتصار داود عبده الجملة على نوع واحد و هو الجملة الاسمية لا يوجد له مسوغ في اللغة، بل عبده في ذلك يخالف ما قال به نحاة العرب في تقسيمهم للجملة العربية.

12- ميشال زكريا واحد من أبرز اللسانين العرب الذين ساهموا في حقل اللسانيات العربية المعاصرة على اللغويين واللسانيين جهوده وأعماله اللسانية

التي ساهمت في تعريف القارئ العربي بأبرز النظريات اللسانية المعاصرة، فجهوده في ترجمة وتحليل النظريات اللسانية الحديثة، ولا سيما التوليدية التحويلية منها وتطبيقها على اللغة العربية واضحة للعيان.

13- ميشال زكريا عرض للنظرية التوليدية التحويلية ونقلها إلى العربية، وقدَّم فيها مؤلفات وأعمال مفصلة، ومثل عليها وعلى قواعدها التوليدية والتحويلية من اللغة العربية بدءاً من مرحلة البنى التركيبية وصولاً بها إلى مرحلة النظريتين النموذجية والنموذجية الموسعة، فزكريا استثمر في معطيات هذه النظرية ومؤلفاته تعد مرجعاً أساسياً لمن يشتغل في حقل اللسانيات ولاسيما التوليدية والتحويلية منها.

14- ميشال زكريا في دراسته للجانب التركيبي للغة العربية في ضوء الألسنية التوليدية التحويلية، دعا إلى ضرورة إعادة النظر في طرائق التحليل اللغوي وتحليل الظواهر اللغوية تحليلاً علمياً دقيقاً دون أن تقتصر على الوصف فقط.

15- ما يأخذ على ميشال زكريا في دراسته التركيبية للغة العربية وفق القواعد التوليدية التحويلية اقتصاره على عنصر تحويلي واحد وهو نقل الركن الاسمي وأغفل عناصر تحويلية أخرى من مثل: الحذف، والزيادة، والتنغيم.....الخ.

16- جانب ميشال زكريا الصواب عندما قال بإمكانية اشتقاق الفعل من الوصف اعتماداً على الفرضية المعجمية، وهو بهذا التصور أضفى على الدراسات اللغوية التعقيد والصعوبة. كما أننا لم نجد في أعمال النحاة العرب ما يشير إلى أن الفعل مشتق من النعت، فمن المتعارف عليه أن أصل الاشتقاق عند النحاة العرب هو المصدر أو الفعل.

17- إن حضور التراث اللغوي العربي في أعمال ميشال زكريا يَنُمُّ عن مدى رغبة زكريا في ربط الفكر الألسني الحديث والمتمثل بالألسنية التوليدية التحويلية بالفكر اللغوي العربي القديم لاسيما عند سيبويه وابن خلدون، فأعمال

زكريا في هذا الجانب تعد مرجعية أساسية لأي باحث يستهويه هذا الجانب من الدراسة.

18- كشفت دراسة ميشال زكريا للتراث اللغوي العربي، وربطه بالألسنية التوليدية التحويلية مدى الوعي الكبير الذي امتلكه كل من سيبويه، وابن خلدون في مناهجهم وطرائقهم في البحث اللغوي إذا ما قورنت بما توفر للسانيين المعاصرين، فقد توصل أجدادنا إلى آراء فذة وسبَّاقة في مجال الدراسات اللغوية، وهذا ما نلمسه عند سيبويه وابن خلدون.

19- ميشال زكريا هدف من دراسة التراث اللغوي العربي في ضوء الألسنية التوليدية التحويلية كشف الآراء اللغوية التي تتطابق بشكل كبير مع أفكار النظرية التوليدية التحويلية، وهذا يعني أن ميشال زكريا لم يكن يهدف إلى أن يعيد ويرجع إنجازات الألسنية الحديثة للغويين العرب القدامى.

والله من وراء القصد

المصطلحات الواردة في البحث

1. **الإبداعية (Creativity):** وهي الطاقة أو القدرة التي تجعل أبناء اللغة الواحدة قادرين على إنتاج وفهم عدد كبير، بل غير محدود من الجمل التي لم يسمعوها ولم ينطق بها أحد من قبل[1]. وتسمى أيضاً بالفطرة اللغوية وهي مقدرة المتكلم على إنتاج جمل متعددة لم يسمع بها من قبل أي قدرته على إنتاج عدد غير محدود من الجمل غير المسموعة[2].
2. **الأداء الكلامي (Verbal performance):** وهو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين وفي الأداء الكلامي يعود متكلم اللغة بصورة طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية كلما استعمل اللغة في مختلف ظروف المتكلم[3].
3. **الاشتقاق أو التهجئة (Spell out):** اشتقاق الجمل من خلال مكونين هما: المعجم ونظام الحوسبة، حيث يتم توليد البنية من خلال عملية انتقاء المفردات المعجمية بكامل خصائصها وسماتها[4].
4. **اكتساب اللغة (Language acquisition):** يشير هذا المصطلح عموماً إلى العملية التي تنمو بها القدرة اللغوية لدى الإنسان ويشير مصطلح "اكتساب اللغة الأولى" إلى نمو اللغة لدى الأطفال على حين أن مصطلح "اكتساب اللغة الثانية" يتعلق بنمو اللغة الجديدة لدى البالغين كذلك[5].
5. **إمكانية النقل (potentiality):** أن ننقل في القواعد التوليدية كلمة من موقع إلى آخر داخل تركيب أو جملة دون أن يؤثر هذا النقل في طبيعة العلاقة

---

(1) ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص57.

(2) زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص156– 158.

(3) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص33.

(4) المرجع نفسه، ص 197.

(5) الخولي، مدخل إلى علم اللغة العام، ص193، وانظر أيضاً: الخولي، محمَّد علي، الحياة مع لغتين "الثنائية اللغوية"، الناشر المؤلف نفسه، الرياض، 1988، ص17–19.

النحوية مع بقية الكلمات في التركيب أو في الجملة كنقل المفعول به من مرتبته الثالثة في التركيب نفسه نحو: رأيت العالم، العالم رأيته، وهذا ما نطلق عليه في اللغة العربية المنصوب على الاشتغال[1].

6. **إنتاجية (Productivity):** وهي مقدرة متكلم اللغة على صياغة وفهم أكبر عدد من الجمل والعبارات المتجددة والكلمات[2]. وتعرف أيضاً بأنها قدرة لدى المتكلمين يستطيعون من خلالها أن ينطقوا بتركيبات لم يسبق أن سمعوها من قبل، ويعود هذا جزئياً إلى الوضع السابق للغة وجزئياً إلى استعمال المتكلم[3].
7. **انفساخ- انسلاخ (Cleaving):** وهو عملية دمج متعلق وذلك في القواعد التوليدية يصاحبه حذف ركن من التركيب الاسمي لهذا المتعلق[4].
8. **البرنامج المصغر (Minimalist program):** برنامج ذو توجه تفسيري يروم بلوغ التفسير عبر ما يسمى بـــ (الأدنوية) مفادها أن يقوم العلم بتغطية أكبر عدد من الوقائع والتجارب عبر استنتاجات منطقية مرتبطة بأقل عدد من الفرضيات والمسلمات[5].
9. **البنية السطحية (Surface Structure):** وهي البنية التي تتكون من عناصر الجملة الأساسية التي هي المسند والمسند إليه[6]. أو هي البنية الظاهرة عبر تتابع الكلام الذي يتلفظ به المتكلم[7]، أو هي التمثيل الصوتي للجملة[8].

---

(1) مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، ص76.
(2) المرجع نفسه، ص238.
(3) علي، مدخل إلى اللسانيات، ص33.
(4) مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، ص50.
(5) الفهري، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي (المعرفة اللسانية)، ص 17.
(6) مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، ص276.
(7) زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص111.
(8) عمايرة، في نحو اللغة وتركيبها، ص58.

10. **البنية العميقة (Deep Structure):** وهي تركيب الجملة على مستوى أكثر تجرداً[1]. أو هي النية المجردة والضمنية والتي تعين التفسير الدلالي[2].
11. **البنيوية (Structural):** نسبة إلى كلمة بنية التي هي ترجمة لكلمة (Structure) التي تعني بناء وقد ارتبط هذا المصطلح باللساني السويسري دي سوسير بعد دعوته المشهورة إلى التمييز بين الدراسات التعاقبية والدراسات التزامنية، وتشديده على مفهوم البنية والنظام في اللغة[3].
12. **التأدية "الأداء اللغوي" (performance):** وهي الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين[4].
13. **تأويلي، تفسيري (interpretative):** وهو مصطلح يطلق في القواعد التوليدية على المكوِّنيين الصوتي والدلالي؛ لأن المكوِّن الدلالي يسند إلى التركيب الأساسي معنىً مولداً بالمكوِّن النحوي، ولأن المكوِّن الصوتي يسند شكلاً صوتياً إلى هذا التركيب[5].
14. **التحويل (Trans formation):** هو إمكانية تحويل جملة إلى جملة أخرى واعتماد مستوى أعمق من المستوى الظاهر في الكلام وبإمكانه أن يكشف المعاني الضمنية للجمل[6].

---

(1) مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، ص238.

(2) زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص111.

(3)علي، مدخل إلى اللسانيات، ص65.

(4) زكريا، الألسنية المبادئ والأعلام، ص45.

(5) المرجع نفسه، ص151.

(6) المرجع نفسه، ص206.

15. **تحويل ثنائي (Binary Transformation):** وهو التحويل المعمّم على جملتين من التركيب، إحداهما تكون الجملة القلب، والأخرى الجملة الكائن (البنية السطحية) [1].
16. **التطابق (Agreement):** التوافق بين الفاعل وفعله أو المفعول والفعل في بعض اللغات[2].
17. **التعليم الوظيفي للغة: تحقيق** القدرات اللغوية عند التلميذ بحيث يتمكن من ممارستها في وظائفها الطبيعية العملية ممارسة صحيحة[3].
18. **التفسير التام:** يقصد به أن التراكيب الكلامية تحتوي على عناصر لغوية كل عنصر فيها يؤدي دوره من جهة المعنى، أو الصوت أو الصرف أو النحو[4].
19. **تكميل (completivization):** يطلق هذا المصطلح في القواعد التوليدية على عملية إدخال جملة ما في تركيب اسمي أو فعلي، وتقوم هذه الجملة الدخيلة بدور المكمّل[5]. وهذا المصطلح عُرف عند ميشال زكريا بركن التكملة[6].
20. **تمييز (Characterization):** وهذا المصطلح هو ذاته التوليد في القواعد التوليدية والتحويلية، وفي هذا المجال يقال: إن في قواعد لغة ما أنها تميز

---

(1)زكريا، الألسنية المبادئ والأعلام، ص37.

(2)باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص 230.

(3)عبده، داود، نحو تعليم اللغة وظيفياً، مؤسسة دار العلوم، الكويت، ط1، 1979، ص9.

(4)عبابنه، يحيى؛ والزعبي، آمنه (2005). علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الثقافي، الأردن– إربد.ص118.

(5) المرجع نفسه، ص54.

(6) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد الجملة البسيطة، ص53.

اللغة بمواد لغوية على اعتبار أنها تعزو إلى كل جملة من التركيب السياقي وصفاً بنيوياً وتجيز توليد جمل غير ظاهرة في التركيب[1].

21. **التوزيعية (Distributive):** اتجاه ينظر إلى الجملة على أنها بناء متدرج يتكون من طبقات كل طبقة تحت طبقة أخرى أكبر منها وهكذا إلى أن تصل بالتحليل إلى الطبقة الصغرى التي لا يمكن تقسيمها حرفياً إلى عناصر أصغر منها وهي الكلمات أو المورفيمات[2].

22. **توليد (generation):** هو عملية إيجاد كلمات جديدة في لغة ما، مع مراعاة الأنظمة و القواعد الخاصة بهذه اللغة[3]، أو هو عملية توليد أو إنتاج مقولة بواسطة القواعد النحوية للغة ما[4].

23. **الجشع أو الطمع (Greed):** أي السبب الذي من أجله تتحرك العناصر اللغوية من موقع إلى آخر[5].

24. **الجملة (Sentence):** وحدة لغوية مستقلة بذاتها وليست جزء من وحدة أكبر[6].

---

(1)زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد الجملة البسيطة ، ص41.

(2)حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، ص96.

(3) مبارك، مبارك، معجم المصطلحات الألسنية (فرنسي- إنكليزي- عربي)، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1995، ص118.

(4) المرجع نفسه، ص238.

(5) باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص224.

(6)حنا وآخرون، معجم اللسانيات الحديث، ص130.

25. **الجملة الأصولية (Grammaticality sentence):** وهي الجملة الصحيحة من الناحية المعنوية والنحوية[1]. أو هي الجملة المبنية على نحو جيد موافق لقواعد اللغة القائمة ضمن الكفاءة اللغوية لمتكلم اللغة[2].

26. **جملة التحويل (Transformational sentence):** هي مجموعة من عناصر التحويل التي تسهم في الكشف عن البنية العميقة[3].

27. **جملة التوليد (generative sentence):** هي أقل عدد من الكلمات المنطوقة التي تحمل معنى يحسن السكوت عليه، فهي المفردة أو المفردات التي تنتظم في مسار معين من أجل إعطاء معنى معين، ويمكن القول بأن هذه الجملة هي الجملة الأصل[4].

28. **الجملة النواة (Kernel sentence):** وهي الجملة الموجودة في البنية العميقة والتي تولد منها جمل عديدة بعد دخول التحويل عليها[5].

29. **جملة بسيطة (simple sentence):** وهي الجملة التي تتكون من عناصر الجملة الأساسية التي هي المسند والمسند إليه[6].

30. **الجملة غير الأصولية (Un Grammaticality sentence):** وهي الجملة المنحرفة عن المستوى الدلالي والتركيبي والصوتي[7].

---

(1) ليونز، جون، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ط1، 1987، ص112.

(2) زكريا، بحوث ألسنية عربية، ص49.

(3) باقر، مقدمة في نظرية القواعد التحويلية، ص64.

(4) المرجع نفسه، ص59.

(5) ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص73-74.

(6) مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، ص265.

(7) الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص116-117.

31. **الحدس (Intuition):** هو مقدرة المتكلم على أن يدلي بمعلومات حول مجموعة من الكلمات المتعاقبة من حيث هي تؤلف جملة صحيحة في اللغة أو جملة منحرفة عن قواعد اللغة[1].

32. **حذف (deletion):** هو عملية حذف أو إسقاط مكوّن ما من الجملة، ويجري هذا الحذف في القواعد التوليدية، ويجب أن يكون هذا الحذف ضمن شروط معينة وغالباً ما يقتصر الحذف فقط على الكلمة المكررة في الجملة[2].

33. **حوّل (To convert):** ويعني هذا المصطلح إمكانية تغيير جملة من نوع إلى آخر كتحويل الجملة المنفية إلى مثبتة[3].

34. **درجة نحوية (Degree of grammaticalness):** ويقصد بهذا المصطلح تطابق الجملة مع نحو معين وكما يقول تشومسكي: فقد تكون الجملة نحوية حسب نحو ما وغير نحوية حسب نحو آخر[4]. وهو ما يعرف بمصطلحي الجملة الأصولية والجملة غير الأصولية.

35. **الدمج (Merge):** دمج أي تفريعين شجريين دمجاً صحيحاً من مثل دمج المركب الاسمي والمركب الفعلي ضمن مركب واحد وهو مركب فعلي[5].

36. **رأس التركيب:** وهو العنصر الذي تبدأ به الجملة مثل: الفاعل في الجملة الفعلية، أو المبتدأ في الجملة الاسمية[6].

---

(1) زكريا، الألسنية المبادئ والأعلام، ص157.

(2) المرجع نفسه، ص92.

(3) مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، ص65.

(4) المرجع نفسه، ص73.

(5) المرجع نفسه، ص 193.

(6) باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص 205.

37. **ركن الإسناد:** هو أحد أركان الجملة التحويلية، ويتكون من ركن فعلي+ ركن اسمي+ ركن اسمي+ ركن حرفي[1].

38. **ركن التكملة:** هو أحد أركان الجملة التحويلية، ويتكون هذا الركن من: ركن حرفي+ ركن اسمي[2].

39. **السلوكية (behavioral):** يهدف هذا الاتجاه إلى تحديد العلاقات أو القوانين التي تربط بين المثيرات والاستجابات وتشمل النظرية السلوكية على النظريات الارتباطية والوظيفية[3].

40. **صيغة، بنية، شكل (form):** وهو الصورة التي تتخذها الكلمة صوتياً أو إملائياً ويقابله المحتوى[4].

41. **ظرف (Adverb):** وهذا المصطلح يطلق في القواعد التوليدية على التراكيب المؤلفة من جار ومجرور والمسماة شبه الجملة نحو: القمر في كبد السماء[5].

42. **علاقة تحويلية (Agnation):** وهي العلاقة التي توجد بين جملة محوَّلة من جملة أخرى مثل: علاقة الجملة المنفية بالجملة المثبتة[6].

43. **العلم (science):** بحث موضوعه دراسة طائفة معينة من الظواهر؛ لبيان حقيقتها ونشأتها وتطورها ووظائفها والعلاقات التي تربطها بعضها ببعض التي تربطها بغيرها، وكشف القوانين الخاضعة لها في مختلف نواحيها[7].

---

(1) زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة (الجملة البسيطة)، ص45.

(2) المرجع نفسه، ص53.

(3) بكداش، كمال؛ ورزق الله، رالف، مدخل إلى ميادين علم النفس ومناهجه، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص8- 9.

(4) المرجع نفسه، ص114.

(5) بكداش، و رزق الله، مدخل إلى ميادين علم النفس ومناهجه،، ص48.

(6) مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، ص18.

(7) وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، دار نهضة مصر، ط7، د.ت، ص24.

44. **غموض نحوي (grammatical Ambiguity):** وهو الغموض الذي ينجم عن تعدد المعاني المحتملة لجملة ما نتيجة سبب نحوي وينتج هذا الغموض عن تماثل في التراكيب الظاهرية واختلاف التراكيب غير الظاهرية[1].

45. **الفحص أو التأشير (checking):** التأكد من ملائمة السمات الصوتية والدلالية والصوتية التي تحملها المفردة المعجمية مع موقعها في الجملة[2].

46. **الفرضية الفطرية:** تنص على أن إحدى ملكات العقل العامة في الجنس البشري هي ملكة لغوية تقوم بالوظيفتين الأساسيتين في النظرية العقلانية، فهي توفر تنظيماً حسياً للتحاليل اللغوية الأولية ورسماً تخطيطياً يحدد بصورة دقيقة فئة معينة من القواعد[3].

47. **الفونيم (phoneme):** أصغر وحدة صوتية[4].

48. **قاعدة إعادة الكتابة (إعادة الترتيب):** وهي القاعدة التي تتأتى على الشكل التالي أ+ب ← تحويل ب+ أ[5].

49. **قدرة توليدية (generative capacity):** وهي القدرة التي تتمتع بها لغة من اللغات في نظامها الاشتقاقي كاللغة العربية التي تعتمد في اشتقاقها على التصريف والزيادات من لواحق وسوابق، كما تعتمد على النحت والتعريب[6].

---

(1) مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، ص 124.

(2) المرجع نفسه، ص 200.

(3) المرجع نفسه، ص66، وانظر أيضاً: زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية، ص67.

(4)النعيمي، حسام سعد، أصوات العربية بين التحول والثبات، سلسة بيت الحكمة للنشر والتوزيع، جامعة بغداد، 1989، ص88.

(5) زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) ص23.

(6) مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، ص41.

50. **قواعد الإسقاط:** وهي إحدى عناصر المكون الدلالي وتقوم هذه بتعداد القراءات التي تسند إلى مختلف مفردات الجملة ولتوضيحها وذلك على ضوء البنية العميقة التركيبية والمشيرات الدلالية العائدة لكل من مؤلفات هذه البنية، فهذه القواعد تقرن بين المفردات المعجمية وبين البنية التركيبية[1].

51. **القواعد التحويلية (Trans formational rules):** وهي مجموعة القواعد التي تنقل الجملة من مستواها العميق إلى المستوى الظاهر عن طريق القواعد الاختيارية والإجبارية[2].

52. **القواعد التحويلية الإجبارية (Obligatory):** وهذا النوع من القواعد لا بد من تطبيقه لتصبح الجملة صحيحة نحوياً ومعنوياً[3].

53. **القواعد التحويلية الاختيارية (optional):** وهذه القواعد لا يلزم بتطبيقها وتتضمن قواعد من مثل المبني للمجهول وغيرها[4].

54. **قواعد التكوين:** وهي القواعد التي توفر المعلومات اللازمة لتوليد الجمل الصحيحة والمحتملة الصياغة في اللغة وتتخذ قاعدة التكوين شكل قاعدة المادة الكتابية أي هي تعيد كتابة رمز يشير إلى عنصر معين من عناصر الكلام برمز آخر أو عدة رموز[5].

55. **القواعد التوليدية (generative rules):** تسمية تطلق على نوع من القواعد الحديثة وتعتمد قوانين هي: التراكيب العبارية والمفرداتية وقوانين الوحدات الصرفية ويؤدي تطبيق هذه القوانين إلى توليد جمل صحيحة

---

(1) مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، ص143.

(2) الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، ص22.

(3) المرجع نفسه، ص22.

(4) المرجع نفسه، ص22.

(5) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة (النظرية الألسنية)، ص146.

نحويا[1]. أو هي النظام الموجود لدى متكلم للغة والذي من خلاله –النظام– يستطيع أن يميز الجملة الصحيحة من غيرها[2].

56. **القواعد الفونولوجية (phonological rules):** تتناول هذه القواعد التغيرات التي تطرأ على المقطع الصوتي[3].

57. **القواعد الكلية (الكليات اللغوية):** هي مجموعة المبادئ المنظمة التي ينبغي أن يلحظها البحث الألسني من حيث هي مشتركة بين اللغات وتلتزم بها اللغات[4].

58. **القواعد المحدودة الحالة (finite state grammar):** وهي قواعد تقوم على مبدأ توليد الجمل عن طريق سلسلة من الاختبارات (Series of choices) تبدأ من اليسار إلى اليمين وبناء على ذلك يجري التركيب اللغوي[5].

59. **قواعد بنية العبارة (Phrase structure grammar):** وهي قواعد قادرة على توليد عدد كبير من الجمل بتطبيق عدد قليل من القواعد[6].

60. **القواعدية "السلامة النحوية" (grammaticality):** وهي مطابقة لقواعد اللغة بحيث تكون الجملة التي تبنيها القواعد أياً كان نوعها: توليدية أو تحويلية أن تكون صحيحة نحوياً، ويرى تشومسكي أن القواعد هي مسألة درجة لا مسألة

---

(1) مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، ص118.

(2) زكريا، المبادئ والأعلام، ص30.

(3) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص138.

(4) المرجع نفسه، ص177.

(5) ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص103.

(6)علي، مدخل إلى اللسانيات، ص94.

نوع[1]، أو هي القواعد التي على أساسها تكون جملة ما مقبولة لدى صاحب اللغة[2]. والبعض يطلق عليها المقبولية اللغوية وهذا منهج علماء المغرب.

61. **الكفاية "الملكة" (Competence):** هي معرفة الإنسان الضمنية للغة[3]، أو هي المعرفة اللغوية المتعارف عليها بين المتكلم والمستمع والموجودة في الدماغ البشري[4]. أو هي مقدرة الإنسان على معرفة لغته معرفة جيدة وتكوين جمل لغوية أو قدرة النظرية اللغوية على تفسير جميع الحقائق اللغوية واستيعابها[5].

62. **اللسانيات (Linguistique):** هي العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيداً عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية، أو هو علم اللغة كما اصطلح البعض على تسميته[6].

63. **اللسانيات التطبيقية:** وهي التي تضم العلوم التي تطبق الدرس اللساني النظري كتعليم اللغات القومية والأجنبية وصناعة المعاجم (Lexicographie) والترجمة وأمراض الكلام ومختبرات اللغة[7].

64. **اللسانيات الحاسوبية (computational Linguistic):** وهي اللسانيات التي تقوم على تحقيق التخاطب بين الإنسان والحاسوب وإذن يكون الحاسوب

---

(1) مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، ص125.

(2) الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص115.

(3) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية النظرية الألسنية، ص33.

(4)الوعر، مازن، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس، دمشق، ط1، 1988، ص116.

(5) مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، ص54.

(6) قدورة، مبادئ اللسانيات، ص15. و انظر ايضاً: الهاشمي، فاطمة، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004، ص20.

(7)الخولي، محمَّد علي، معجم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، 1982، ص157. وانظر أيضاً: المسدي، عبد السلام، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص155.

بما يستودع من معارف الأمم ومنجزاتها في إدارة شؤون الحياة وتطوير العلوم وتقنيات أداة الإنسان في امتلاك حاضره واستشراف مستقبله[1].

65. **المبدأ الاقتصادي (Economy ststement):** وقصد به تشومسكي أن النظرية العلمية التي يمكن لنا أن نصفها بالعلمية هي النظرية التي تحاول أن تصف أكبر قدر ممكن من الحقائق والظواهر اللغوية بأقل قدر من المصطلحات، وهذا ما حاوله في برنامجه المصغر[2].

66. **المدونة الكلامية:** هي مجموعة الجمل التي يفهمها كل متكلم اللغة التي يرغب الباحث في دراستها، وتحتوي في الواقع على عينات من اللغة تستقرأ القواعد من خلالها، وينبغي أن تكون المدونة ذات نصوص متماسكة؛ ليتمكن الباحث من القيام بدراسته اللغوية[3].

67. **مركب (compound):** صفة لتركيب لغوي[4].

68. **المشجر:** طريقة من طرق التحليل اللغوي تعتمد الرسم على شكل شجرة متفرعة انطلاقاً من الجملة وصولاً إلى المكونات التركيبية، وهذه الطريقة اعتمدتها النظرية التوليدية التحويلية في تقسيم الجملة إلى مكوِّناتها الأساسية[5].

---

(1)الموسى، نهاد، نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 200م، ص47.وانظر ايضاً: العناتي، وليد و الجبر، خالد، دليل الباحث الى اللسانيات الحاسوبية العربية، دار جرير للنشر و التوزيع، عمان، الاردن،ط1، 2007، ص62.

(2) المرجع نفسه، ص118.

(3)العناتي، والجبر، دليل الباحث الى اللسانيات الحاسوبية العربية، ص97.

(4) مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، ص55.

(5)فاخوري، عادل، اللسانية التوليدية و التحويلية، منشورات لبنان الجديد، بيروت، لبنان،ط1، 198، ص 13-14.

69. **مشير ركني (phrase marker):** وهو ما يشير إلى مؤلفات الجملة أو العبارة الفعلية والاسمية والحرفية[1].

70. **المعجم (Dictioanry):** وهو عنصر من عناصر المكون الأساسي، ويتكوَّن من مجموعة غير مرتبة من المداخل المعجمية، ويتألف كل مدخل معجمي من سمات تركيبية وفونولوجية (صوتية) ودلالية[2].

71. **مكوِّن أساسي (Base component):** وهو الجزء الأساسي في الجملة[3]. ويشمل القوانين الأساسية والمفردات، ويسمى هذا المكوِّن مكوِّن التراكيب التي تؤلف الجمل[4].

72. **المكوِّن التحويلي (Transformational component):** وهو المكوِّن الذي يساعد الجملة على الانتقال من بنيتها الأولية إلى بنيتها السطحية (النهائية) [5].

73. **مكوِّن ثانوي (Extranulear component):** وهو أي مكون في الجملة باستثناء المبتدأ والخبر والفعل والفاعل، أي باستثناء المسند والمسند إليه[6].

74. **مكوِّن دلالي (Semantic component):** وهو المعنى المشترك بين عدة كلمات، ويقصد به المستوى اللغوي الذي يحدد معنى الكلمة أو الجملة في التركيب الباطني حسب النظرية التوليدية، وهذا المكون يتناول عناصر

---

(1)فاخوري، اللسانية التوليدية و التحويلية، ص133.

(2) زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد النظرية الألسنية، ص148.

(3) مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، ص54.

(4) المرجع نفسه، ص35.

(5)فابر، بول، مدخل إلى الألسنية مع تمارين تطبيقية، ترجمة طلال وهبة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1992، ص113– 115.

(6) المرجع نفسه، ص106.

التركيب فيحدد معنى عاماً وشاملاً لكل تركيب جاعلاً من دلالة كل لفظة منطلقاً له[1].

75. **مكوِّن صوتي (Phonologic component):** ويتألف من قواعد تعمل على التركيب الظاهري للجملة[2]. وبه تتم دراسة أصوات اللغة.

76. **مكوِّن نحوي (التركيبي) (Syntactic component):** وهو أحد المكوِّنات الثلاث حسب نظرية تشومسكي التحويلية، والمكوِّنان الآخران هما المكوِّن الدلالي والمكوِّن الفونيمي وينقسم المكوِّن النحوي إلى مكوِّن أساسي ومكوِّن تحويلي[3]. أو هو المكوِّن التركيبي والتوليدي أي أنه يولد ويصف البنية العميقة للجمل[4].

77. **المنهج التاريخي:** هو المنهج الذي يدرس اللغة من خلال تغيراتها المختلفة عبر الزمان و المكان [5].

78. **نظرية الأثر (Trace Theiry):** تنص على أن المركبات الاسمية عندما تنتقل من موضع إلى آخر تترك وراءها في موضعها الأصلي أثراً غير ظاهر[6].

---

(1)فابر، مدخل إلى الألسنية مع تمارين تطبيقية، ص55. وانظر أيضاً: زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، النظرية الألسنية، ص139.

(2) المرجع نفسه، ص55.

(3)زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، النظرية الألسنية، ص283.

(4)كلاس، جورج، الألسنية ولغة الطفل العربي أنموذج الطفل اللبناني، مطبعة نمنم، بيروت، ط1، 1981، ص84.

(5)مطاوع محمَّد العمودي،النظرية التوليدية التحويلية أصولها وأهدافها وأثرها في التحليل اللغوي، الناشر المؤلف نفسه، 2005، ص 19.

(6) باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص 171.

79. **نظرية الحالة النحوية (Case Theory):** نظرية من نظريات النحو الكلي تهتم بتفسير الحالات الإعرابية للمركبات الاسمية وما يتبعها من حركات إعرابية[1].

80. **نظرية الحدود (Bounding theory):** نظرية من نظريات النحو الكلي تهتم بحدود التغيير الذي يطرأ على بنية الجملة، والعوامل التي تفرض تلك الحدود[2].

81. **نظرية الربط (Binding theory):** نظرية من نظريات النحو الكلي تهتم بعلاقات الإحالة بين العناصر اللغوية في الجملة[3].

82. **نظرية السين البارية (X–bar Theory):** وهي صياغة جديدة لقوانين البنية التركيبية تحسب حساب التشابه المنتظم والمطرد بين المركبات ذات الرؤوس المختلفة[4].

83. **نظرية العمل (Government theory):** نظرية تقوم على تحديد مفهوم العمل وأسسه ومبادئه وتفسر بعض الظواهر في نحو اللغات الإنسانية[5].

84. **نظرية المحور "نظرية ثيتا" (The matic theory):** نظرية من نظريات النحو الكلي تختص بتحديد العلاقة بين المعجم والتراكيب[6].

85. **نواة الجملة (nuleus of sentence):** ويقصد بها مكوِّنات الجملة الأساسية كالفعل والفاعل في الجملة الفعلية[7].

---

(1) باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص 135.

(2) المرجع نفسه، ص 118.

(3) المرجع نفسه، ص 170.

(4) المرجع نفسه، ص 97.

(5) المرجع نفسه، ص 147.

(6) المرجع نفسه، ص 109.

(7) مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، ص199.

86. **واضح (Explication)**: صفة للقواعد التي تذكر جميع العلاقات والتحويلات القائمة بين الجمل دون الأخذ بأي اعتبار وكأنها أمر مفهوم لا يحتاج للتوضيح[1].

87. **وصف تركيبي (Structural description)**: وهو وصف التركيب النحوي الذي سيكون مدخلاً ينطبق عليه قانون تحويلي، ويدعى هذا تحليل التركيب[2].

(1)مبارك، معجم المصطلحات الألسنية ، ص104.

(2) المرجع نفسه، ص78.

المراجع

أ. المراجع العربية:

القرآن الكريم.

أحرشاو، الغالي (1993). **الطفل واللغة**، ج1، الناشر المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان، ط1.

الاستراباذي، رضي الدين (د. ت). **شرح الرضي على الكافية**، ج2+ج4، تحقيق وتعليق يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق، طهران.

استيتية، سمير (2005). **اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج**، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، إربد، ط1.

إسماعيلي، حافظ والعناتي، وليد (2009). **أسئلة اللغة أسئلة اللسانيين حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية**، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1.

الأشموني، علي بن محمد (1998). **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**،ج2، تحقيق حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت.

أبو أصبع، صالح (2011). أكثر من الاحتفاء، **مجلة جامعة فيلادلفيا الأردنية**، العدد الثامن.

الإفريقي، ابن منظور (د. ت). **لسان العرب**، دار صادر، بيروت.

ڤـــــال، جان (د. ت). **الفلسفة الفرنسية من ديكارت الى سارتر**، ترجمـــة فـــؤاد كامل، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة.

الأنباري، أبو بركات (د. ت). **الإنصاف في مسائل الخلاف**،تحقيق جودة مبروك محمد، راجعه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1.

الأنصاري، ابن هشام (1959). **شرح قطر الندى وبل الصدى**، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط10.

الأنصاري، ابن هشام (1994). **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، علّق عليه وشرح شواهده عبد الغني الدقر، الدار المتحدة للطباعة والنشر، ط2.

الأنصاري، ابن هشام (2000). **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، ج3، راجع الكتاب وصححه يوسف البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان.

الأنصاري، ابن هشام، (1994). **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، ج2، حققه هادي حمودي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2.

الأنصاري، ابن هشام (د.ت). **مغني اللبيب**، ج2، دار إحياء الكتب العربية.

أنيس، إبراهيم (1978). **من أسرار اللغة**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط6.

أنيس، إبراهيم (1996). **الأصوات اللغوية**، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1.

الأوراغاي، محمد (1990). **اكتساب اللغة في الفكر اللغوي القديم**، دار الكلام للنشر والتوزيع، مطابع الميثاق، المغرب.

إيفتش، مليكا (2000). **اتجاهات البحث اللساني**، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، ط2.

أيوب، عبد الرحمن (د. ت). **دراسات نقدية في النحو العربي**، مكتبة الأنجلو مصرية، (ق2).

بارتشت، بريجتيه (2004). **مناهج علم اللغة (من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي)**، ترجمة سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.

باقر، مرتضى جواد (2002). **مقدمة في نظرية القواعد التوليدية**، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1.

بالمر، فرانك (د. ت). **علم الدلالة**، ترجمة مجيد الماشطة، الجامعة المستنصرية، بغداد.

برجشتراسر، (1982). **التطور النحوي للغة العربية**، نشره رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الفاعي، الرياض.

بروكلمان، كارل (1977). **فقه اللغات السامية**، ترجمة رمضان عبد التواب، منشورات جامعة الرياض.

بشر، كمال (1995). **خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

بكداش، كمال، ورزق الله، رالف (1981). **مدخل إلى ميادين علم النفس ومناهجه**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

بكري، محمد بالحاج (2002). تراث العربية والفكر الألسني الحديث "بحث في المنهج والتطبيق"، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، العدد 15، ص39.

بكري، محمد بلحاج، (1988). **التراث وجذور الألسنية**، بحث أُلقيَ في المؤتمر الثاني للنقد، جامعة اليرموك، ص9.

بلعيد، صالح (2002). **نظرية النظم**، دار هومة، بوزريعة، الجزائر.

بن عيسى، عبد الحليم (2006). **البنية التركيبية للحدث اللساني**، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر.

البناني، محمد الصغير (2001). **المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة**، الجزائر، دار الحكمة، (د.ط).

البهناوي، حسام (1992). **القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي**، مكتبة الثقافة الدينية، دار المنهل، القاهرة.

بوزيان، رشيد (1999). **قراءات في اللسانيات التوليدية من العاملية والربط إلى البرنامج الأدنى**، ج2، الناشر نادكوم للنشر والتوزيع، المغرب.

بياجيه، جان (2001). **اللغة والفكر عند الطفل**، ترجمة أحمد عزت راجح وأمين مرسي قنديل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2.

تشومسكي، نعوم (1987). **البنى النحوية**، ترجمة يؤيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1.

تشومسكي، نعوم (1990). **اللغة ومشكلات المعرفة**، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1.

تشومسكي، نعوم (1993). **المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخداماتها**، ترجمة محمد فتيح، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1.

تشومسكي، نعوم (1996). **اللغة والعقل**، ترجمة بيداء علي العلكاوي، مراجعة د. سلمان الواسطي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1.

تشومسكي،نعوم (2005). **آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن**، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة– مصر.

التوحيدي، أبو حيان (د. ت). **الإمتاع والمؤانسة**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج3.

الجرجاني، الشريف علي بن محمد (1992). **التعريفات**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2.

جرين، جوديث، (1992) **التفكير واللغة**، ترجمة وتقديم: عبد الرحيم عمر، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

ابن جني، أبو الفتح عثمان (1965). **الخصائص**،ج1، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، القاهرة.

الحاج صالح، عبد الرحمن (1964). النحو العربي ومنطق أرسطو، **مجلة كلية الآداب**، جامعة الجزائر، العدد1.

الحاج صالح، عبد الرحمن (2011). اللغة العربية بين المشافهة والتحرير، **مجلة فيلادلفيا الثقافية**، العدد السادس.

حجازي، محمود فهمي (2006). **مدخل إلى علم اللغة، المجالات والاتجاهات**، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.

حركات، مصطفى (1418هـ- 1998م). **اللسانيات العامة وقضايا العربية**، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1.

حسام الدين، كريم زكي (1985). **أصول تراثية في علم اللغة**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط2.

حسان، تمام (1978). **اعادة وصف اللغة العربية ألسنياً**، بحث نشر في ندوة اللسانيات و اللغة العربية، العدد4، الجامعة التونسية.

حسان، تمام (1979). **اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة العامة المصرية للكتاب**، القاهرة.

حساني، أحمد (د.ت). **مباحث في اللسانيات**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ط.

حسن، عباس (د. ت). **النحو الوافي**، ج1، دار المعارف، القاهرة، ط9.

حمّاد، محمد عمر (2000). **موسوعة أعلام فلسطين من القرن الأول حتى الخامس عشر هجري، ومن القرن السابع وحتى القرن الحادي والعشرين ميلادي**، ج3، خزانة الوثائق الفلسطينية، وزارة الإعلام، دار الوثائق ودار السبيل، دمشق.

حموي، صبحي (2000). **المنجد في اللغة العربية المعاصرة**، دار المشرق، بيروت، ط1.

خرما، نايف (1978). **أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

الخلايلة، عبد الكريم؛ واللبابيدي، عفاف (1990). **تطور اللغة عند الطفل**، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط1.

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (1992). **المقدمة كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان**

الأكبر، تحقيق المستشرق الفرنسي أ.م. كاترمير، عن طبعة بـــاريس ســـنة 1858، المجلد الثالث، مكتبة لبنان، بيروت لبنان.

خليل، إبراهيم (2007). **في اللسانيات ونحو النص**، دار المسيرة، عمان.

خليل، حلمي (1986). **اللغة والطفل دراسة في ضوء علم اللغة النفسي**، دار النهضة العربية، بيروت.

الخولي، محمد علي (1981). **قواعد تحويلية للغة العربية**، دار المريخ، الرياض، ط1.

الخولي، محمد علي (1988). **الحياة مع لغتين "الثنائية اللغوية"**، الناشر المؤلف نفسه، الرياض.

الخولي، محمد علي (2000). **مدخل إلى علم اللغة**، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن.

الخولي،محمد علي (1982). **معجم اللغة النظري**، مكتبة لبنان، بيروت.

داود عبده،(1979). **نحو تعليم اللغة وظيفياً**، مؤسسة دار العلوم، الكويت، ط1.

دي بوغراند، روبرت (1988). **النص والخطاب والإجراء**، ترجمة تمام حسن، عالم الكتب، القاهرة، ط1.

دي سوسير، فردنياند (1985). **دروس في الألسنية العامة**، ترجمة صالح الفرماوي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس.

الراجحي، شرف الدين؛ وحنا، سامي عياد (2003). **مبادئ اللسانيات الحديث**، دار المعرفة الجامعية.

الراجحي، عبده (1979). **النحو العربي والدرس اللساني الحديث**، بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت.

الراجحي، عبده (1979). **النحو العربي و الدرس الحديث بحث فـــي المـــنهج**، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (1986). **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان، بيروت.

رحالي، محمد (2003). **تركيب اللغة العربية مقاربة نظرية جديدة**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء – المغرب.

رضوان، محمد مصطفى (1976). **نظرات في اللغة**، دار الكتب الوطنية، ط1.

روبنسون، ديف؛ وجروفز، جودي، (2001). **ديكارت**، ترجمة إمام عبدالفتاح إمـــام، المجلس الأعلى للثقافة، المطابع الأميرية.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (1988). **البرهان في علوم القرآن**، ج3، قدم له وعلق عليه مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

زكريا، ميشال (1982). المكون الدلالي في القواعد التوليدية والتحويلية، **مجلة الفكر العربي المعاصر**، مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد 18.

زكريا، ميشال (1983). **الألسنية علم اللغة الحديث المبـــادئ والاعـــلام**، المؤسســـة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2.

زكريا، ميشال (1983). التطور الذاتي في الألسنية التوليدية التحويلية، **مجلة الفكر العربي المعاصر**، العدد الخامس و العشرون، بيروت.

زكريا، ميشال (1986). **الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية –الجملة البسيطة–**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

زكريا، ميشال (1986). **الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعـــد اللغـــة العربيـــة – النظرية الألسنية–**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

زكريا، ميشال (1986). **الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.

زكريا، ميشال (1992). **بحوث ألسنية عربية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.

زكريا، ميشال (1993). **قضايا لسانية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1.

الزمخشري، محمود بن عمر، (د. ت). **المفصل في علم العربية**، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط2، لبنان.

زهران، حامد (1975). **علم نفس النمو**، عالم الكتب، القاهرة، ط3.

زوين، علي (1986). **منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث**، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1.

سامبسون، جيفري (1993). **المدارس اللغوية التطور والصراع**، ترجمة أحمد فهيم، الكراعين، ط1، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

سامي عيد حنّا؛ كريم زكي، حسام الدين؛ جريس، نجيب، (1997). **معجم اللسانيات الحديثة**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.

السبيعي، سعود بن حميد (1415هـ – 1995م). ابن خلدون و ليس تشومسكي: المؤسس الحقيقي لنظرية الملكة اللسانية، **مجلة جامعة أم القرى للبحوث المحكمة**، السنة الثامنة، العدد العاشر، العام.

ابن السراج، ابو بكر محمد بن السري بن سهل (1985). **الأصول في النحو**، ج1، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.

السعيدي، الحسن (2005). **المقولات الوظيفية في الجملة العربية دراسة صرفية تركيبية**، الناشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بسايس– فاس، المغرب، ط1.

سيبوية، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (2004). **الكتاب**. تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

السيد، محمود أحمد (1982). **في طرائق تدريس اللغة العربية**، منشورات جامعة دمشق، دمشق.

السيد، عبد الحميد سليمان (2003). **سيكولوجيا اللغة والطفل**، دار الفكر العربي، القاهرة.

السيد، فؤاد البهي (1975). **الأسس النفسية للنمو**، دار الفكر العربي، مصر الجديدة، ط4.

سيرل، جون (1979). تشومسكي والثورة اللغوية، **مجلة الفكر العربي**، العددان 8-9، مارس، بيروت.

السيوطي، جلال الدين (1976). **الاقتراح في علم أصول النحو**، تحقيق وتعليق أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1.

السيوطي، جلال الدين (1980). **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، ج2، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، ط1، الكويت،.

السيوطي، عبد الرحمن (1977). **الفرائد الجديدة**، ج2، تحقيق الشيخ عبد الكريم المدرس، مطبعة الرشاد، بغداد.

الشايب، فوزي (1999). **محاضرات في اللسانيات**، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط1.

الشرقاوي، السيد (2002). **الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي**، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة.

صالح، عبد الرحيم (1992). **تطور اللغة عند الطفل وتطبيقاته التربوية**، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط1.

الصبان، أبو العرفان محمد بن علي، (د. ت). **حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، ج2، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

أبو عاصي، حمدان رضوان (2007). التطورات النظرية والمنهجية للنظرية التوليدية في نصف قرن، **مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية**، المجلد 4، العدد 3، أكتوبر، ص157.

عاقل، فاخر (1968). **مدارس علم النفس**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1.

عبابنه، يحيى؛ والزعبي، آمنه (2005). **علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات**، دار الكتاب الثقافي، الأردن- اربد.

عبد الجليل، عبد القادر (2002). **اللسانيات الحديثة**، دار صفاء للطباعة والنشر، الأردن، ط1.

عبد اللطيف، فاتن (2008). **نمو الطفل والتعبير الفني**، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، ط1.

عبد اللطيف، محمد حماسة (1983). **النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي**، دار السلام، القاهرة.

عبد اللطيف، محمد حماسة (1984). **العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث**، دار الفكر العربي، الكويت.

عبدالتواب، رمضان (1997). **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3.

عبدالجليل، منقور (2001). **علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي**، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق.

عبده، داود (1973). **أبحاث في اللغة العربية**، مكتبة لبنان، بيروت.

عبده، داود (2005). **من قضايا اللغة العربية**، دار الكرمل للنشر والتوزيع، ط1.

عبده، داود (2010). **دراسات في علم أصوات العربية**، الجزء الأول، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، ط2

عبده، داود؛ وحلو، سلوى (1991). **في لغة الطفل**، ج1، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، ط2.

ابن عصفور، الأشبيلي (1980). **شرح جمل الزجاجي**، ج1، تحقيق صاحب أبو جناح، جامعة الموصل.

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (1964). **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ج1، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط14.

علوي، حافظ اسماعيلي (2009). **اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته**، دار الكتاب الجديد، المتحدة، بيروت، لبنان، ط1.

علوي، شفيقة (2004). **محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة**، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، ط4.

العلوي، يحيي بن حمزة بن علي بن إبراهيم (1995). **كتاب الطراز**، راجعه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

علي، محمد محمد يونس (2004). **مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة**، بيروت، لبنان، ط1.

عمايرة، خليل (1984). **في نحو اللغة وتراكيبها دراسات و آراء في ضوء علم اللغة المعاصر**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جده، ط1.

عمايرة، خليل (د. ت). **في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي والنفي اللغوي وأسلوب الاستفهام**، دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر، مكتبة المنار، الزرقاء، ط1.

عمر، أحمد مختار (1988). **علم الدلالة**، عالم الكتب، بيروت، ط2.

عمر، أحمد مختار (1995). **محاضرات في علم اللغة الحديث**، عالم الكتب، بيروت، ط1.

العمودي، مطاوع محمد (2005) **النظرية التوليدية التحويلية أصولها وأهدافها وأثرها في التحليل اللغوي**، الناشر المؤلف نفسه، (د. م).

العناتي، وليد؛ والجبر، خالد (2007). **دليل الباحث الى اللسانيات الحاسوبية العربية**، دار جرير للنشر و التوزيع، عمان، الاردن، ط1.

عيد، محمد (1979). **الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون**، عالم الكتب، القاهرة، ط1.
محمد فتيح، منشورات دار الفكر العربي، القاهرة، 1993.

غالي، محمد محمود (1976م). **أئمة النحاة في التاريخ**، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1.

فابر، بول (1992). **مدخل إلى الألسنية مع تمارين تطبيقية**، ترجمة طلال وهبة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1.

فاخوري، عادل (1980). **اللسانية التوليدية والتحويلية**، منشورات لبنان الجديد، بيروت، لبنان،ط1.

الفارابي، أبو نصر محمد (1346هـ). **رسائل الفارابي**، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند.

الفارابي، أبو نصر محمد (1970). **الحروف**، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت.

ابن فارس، أحمد (1963). **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة و النشر، بيروت – لبنان.

الفاسي الفهري، عبد القادر (1998). **المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي المعرفة اللسانية**، دار توبقال، الدار البيضاء- المغرب، ط1.

الفاسي الفهري، عبدالقادر (1982). **اللسانيات العربية نماذج تركيبية ودلالية**، دار تويقال، الدار البيضاء.

الفاسي الفهري، عبدالقادر (1985). **اللسانيات واللغة العربية**، نماذج دلالية وتركيبية، دار توبقال، الدار البيضاء.

الفاسي الفهري، عبدالقادر (1990). **البناء الموازي**، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1.

الفارسي، أبو علي (1983). **المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات** ج1، تحقيق صلاح الدين السنكاوي، مطبعة العاني، بغداد.

فريحه، أنيس (1981). **نظريات في اللغة**، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ط2.

فضل الله، مهدي (1986). **فلسفة ديكارت ومنهجه نظرة تحليلية نقدية**، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2.

فك، يوهان (1980). **العربية ودراسات في اللغة واللهجات والأساليب**، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة.

فندريس،ج (1950). **اللغة**، تعريب عبد الحميد الدواخلي وحمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، مطبعة نخبة البيان، باريس.

فوك، كاترين؛ وقوفيك، بيارلي (1984). **مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة**، ترجمة منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

القاسمي، علي (2008). بين علم النفس وعلم اللغة: كيف يكتسب الطفل لغته الأم، **مجلة العرب الأسبوعي**، العدد 137، السنة الثالثة، السبت 1/12، 26.

قدورة، أحمد محمد (2008). **مبادئ اللسانيات**، دار الفكر، دمشق، ط3.

قدورة، محمد عبدالرزاق (1991). علما الطبيعة واللسان صنوان عند تشومسكي، **مجلة مجمع اللغة العربية** بدمشق، ج3، م66، ص545.

القرطبي، ابن مضاء (د. ت). **الرد على النحاة**، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر.

كارل، ديتربونتبخ، (2010). **المدخل إلى علم اللغة**، تحقيق سعيد حسن بحيرى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط2.

كرم الدين، ليلى (2004). **اللغة عند الطفل ما قبل المدرسة نموها السليم وتنميتها**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1.

كلاس، جورج (1981). **الألسنية ولغة الطفل العربي أنموذج الطفل اللبناني**، مطبعة نمنم، بيروت، ط1.

كلاس، جورج (1984). **الألسنية ولغة الطفل العربي**، مؤسسة خليفة للطباعة، لبنان، ط2.

كنعان، علي أحمد (2005). **الخبرات اللغوية في رياض الأطفال**، منشورات جامعة دمشق، دمشق.

ليونز، جون (1985). **نظرية تشومسكي اللغوية**، ترجمة وتعليق حلمي خليــل، ط1، الإسكندرية، دار المعارف الجامعية.

ليونز، جون (1987). **اللغة والمعنى والسياق**، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط1.

لوشن، نور الهدى (2001). **مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، المكتبة الجامعية، الإسكندرية.

مؤمن، أحمد (2002). **اللسانيات،النشأة والتطور**، ديــوان المطبوعــات الجامعيــة، الجزائر.

ابن مالك، محمد بن عبد الله بن عبد الله (1967). **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، دار الكتاب العربي، القاهرة.

المالكي، ابن الحاجب النحوي (1995). **كتاب الكافية في النحو**، شرحه رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1.

مبارك، مبارك (1995). **معجم المصطلحات الألسنية (فرنسي- انكليزي- عربي)**، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط1.

المبرد، أبو العباس محمَّد بن يزيد،(1994). **المقتضب**، ج2، تحقيق محمَّد عبد الخالق عضيمه، الناشر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية لجنة إحياء التراث الاسلامي، القاهرة، مصر.

المتوكل، أحمد (1985). **دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي**، الدار البيضاء، دار الثقافة.

مجمع اللغة العربية، (2004). **المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية**، ط4، مادة ملك.

محسب، محيي الدين (د. ت). **انفتاح النسق اللساني دراسة في التداخل الاختصاصي**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1.

محمد، سلمى عبد الباقي؛ ومرهون، علي فاضل؛ وعثمان، زينب إبراهيم (2010). الترجمة الآلية من العربية إلى الإنكليزية لبعض أنواع الجمل الفعلية، بحث مستل من أطروحة دكتوراه، **مجلة علوم ذي قار**، العراق، المجلد2، العدد الأول، كانون الثاني، ص93.

محمد، محمد سعد (2002). **في علم الدلالة**، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.

المزيني، حمزة بن قبلان (1410هـ-1990م). **مراجعات لسانية**، الناشر النادي الأدبي بالرياض، ط1.

المزيني، حمزة بن قبلان (1420هـ). **تشومسكي في عيد ميلاده السبعين**، صحيفة الرياض، السعودية، الخميس 10/27/.

المسدي، عبد السلام (1981). **التفكير اللساني في الحضارة العربية**، الدار العربية للكتاب، ط1، تونس.

المسدي، عبد السلام (1984). **قاموس اللسانيات**، الدار العربية للكتاب، تونس.

المسدي، عبد السلام (1994). **قضايا في العلم اللغوي**، الدار التونسية للنشر، تونس.

المشايخ، محمد (1992). **دليل الكاتب الأردني**، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان.

ملحم، اياد، (1993). **صناع الحضارة أعلام القرن العشرين**، تعريب ، دار الحسام للطباعة والنشر، بيروت، ط1.

مناصرة، عزالدين (2011). داود عبده الإنسان وعالم اللغة، **مجلة فيلادلفيا الثقافية**، العدد الثامن.

منظمة الأمم المتحدة للطفولة، (1995). **نمو الطفل وتطوره من عمر سنة إلى ثلاث سنوات، سلسلة اليونيسيف للطفولة المبكرة2 دليل المتدربين**، مكتب اليونيسيف عمان.

مور، تيرنس وكارنلغ، كريستين (1998). **فهم اللغة نحو علم لغة لما بعد مرحلة جومسكي**، ترجمة حامد الحجاج، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

موسى، عطا محمد (2002). **مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين**، دار الإسراء، الأردن، ط1.

الموسى، نهاد (1980). **نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث**، المؤسسة العربية، عمان.

الموسى، نهاد (2000م). **نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية العربية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.

نحلة، محمود احمد (1988)، **مدخل إلى دراسة الجملة العربية**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

النعيمي، حسام سعيد (1990). **ابن جني عالم العربية**، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط1.

النعيمي، حسام سعيد (1989). **أصوات العربية بين التحول والثبات**، سلسة بيت الحكمة للنشر والتوزيع، جامعة بغداد.

الهاشمي بكوش، فاطمة (2004). **نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي**، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.

هلبش، جير هارد (2003). **تاريخ علم اللغة الحديث**، ترجمة سعيد البحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1.

وافي، علي عبد الواحد (د. ت). **نشأة اللغة عند الإنسان والطفل**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

وافي، علي عبد الواحد (د.ت). **علم اللغة**، دار نهضة مصر، ط7.

الوعر، مازن (1982). النظريات النحوية والدلالية في اللسانية التحويلية والتوليدية، **مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية**، الجزائر، العدد 6، ص27.

الوعر، مازن (1987). **نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية**، دار طلاس، دمشق.

الوعر، مازن (1988). **قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث**، دار طلاس، دمشق، ط1.

الوعر، مازن (1989). **دراسات لسانية تطبيقية**، دار طلاس، ط1، دمشق.

الوعر، مازن (2001). **دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة**، دار المتنبي للطباعة والنشر، دمشق.

ياكوبسون، رومان (1994). **ست محاضرات في الصوت والمعنى**، ترجمة حسن ناظم، وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1.

ابن يعيش، ابو البقاء موفق الدين (د. ت). **شرح المفصل**، ج5، عالم الكتب، بيروت.

ب. المراجع الأجنبية:

Chomsky Naom (1981). **Lecteres on government and binding**, foris publications, Holland, first edition.

Chomsky, Naom (1993). **A minimalist program for linguistic Theory**, (Cambridge, Mass, Mit press) and Chomsky: The minimalist program (Cambridge, 1955, Mass, Mit press)

Chomsky, Naom, (1998). **Aspect of the Theory of Syntax,** 20th printing (the M.I.T press .

Chomsky, Naom, (1976). **Syntactic Structures** (Paris, the hagne) 12 **printing**, new york.

Chomsky, Naom, (1998) **Aspect of the Theory of Syntax**, 20th printing (the M.I.T press), p.p 120-122 and 128-145.

Chomsky, Naom,(1973). **Studies on Semantic in generative grammar**, (the Hague mouton 1972) and: Conditions on transformations, New York.

Chomsky**,** Naom: **(**1974**)piece in the middle East**, new york.

Chomsky, Naom: (1986). **Knowledge of language: its Nature, origin and use**, New York praeger:

Chomsky, Noam. (1965), **Aspects of the Theory of Syntaxes**, new york.

Chomsky, Noam. (1965), **Aspects of the Theory of Syntaxes**, J.C. Milner Editions du deuil.